



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الفيصل محمد بن سعود للفنون
مركز البحوث

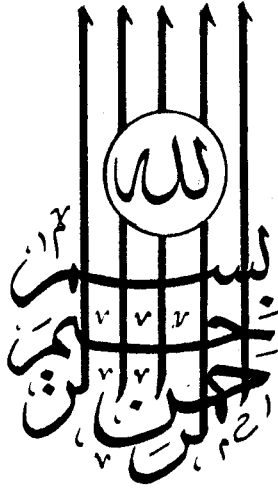
بحوث أسبوع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

الجزء الأول

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م



الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

فهرس الجزء الأول

(المحتويات)

الموضوع	الصفحة
مقدمة معالى مدير الجامعة	٩
معلومات عن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب	١٩
(حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية)	٣٥
١ - محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد	٣٧
للدكتور التهامى نقرة	
عقيدة التوحيد	٣٩
دعوة الإسلام إلى التوحيد	٤٢
خطر فساد العقيدة	٤٦
محمد بن عبد الوهاب	٤٩
دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته	٥٥
٢ - الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مدينة الموصل	٧٣
للواء الركن محمود شيت خطاب	
٣ - الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب	٩١
للدكتور عبدالله بن صالح العثيمين	
الرسائل من حيث الصحة	٩٣
أسلوب الرسائل	٩٧
الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة	١٠١
الحالة الدينية فى نجد عند ظهور دعوة الشيخ	١٠١

١٠٤	حالة البادية
١٠٥	بدء الدعوة في نجد
١٠٧	أسلوب الدعوة
١٠٨	المعارضة النجدية
١١٣	علماء الاحساء والدعوة
١١٤	الأشراف والدعوة
١١٧	٤ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية لفضيلة الشيخ اسماعيل محمد الأنصاري
١١٩	مجدد القرن الثاني عشر
١٢٠	ولادته ونشأته
١٢١	مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٣١	من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٤٠	تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٤٤	مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب
	دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى ما عليه السلف
١٤٧	الصالح
١٥٠	من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٥٢	وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٥٩	٥ - المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفضيلة الشيخ حمد الجاسر
١٦٤	مقدمة
١٦٤	زوجة الإمام محمد بن سعود
١٦٦	ابنة محمد بن سعود
١٦٨	والدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١٦٩
١٨٢ زواج الشيخ
١٨٩ بنات الشيخ
	(اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة)
	٦ - اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب
١٩١ والسنة
	لمعالى الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ
١٩٣ مقدمة
١٩٤ الدعوة تنشط من عقاها
١٩٥ التخطيط للدعوة الاصلاحية
١٩٥ انتقال الشيخ إلى الدرعية
١٩٦ لقاء الشيخ بالأمير
١٩٨ الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان تركز عليهما
	الدعوة السلفية
٢٠٩ خاتمة
	٧ - اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب
٢١١ والسنة
	لفضيلة الشيخ مناع القطان
٢١٣ بيئة الشيخ وعصره
٢١٨ اعتقاد دعوة الشيخ على القرآن والسنة
٢٢٢ أولاً : تأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة
	ثانياً: منهجه في الدعوة إلى العقيدة يرتكز على الأدلة
٢٣٣ من الكتاب والسنة
	ثالثاً : منهجه في الفقه يعتمد على اختيار مايدعمه الدليل
٢٣٩ وإن خالف مذهبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داعية التوحيد

في

«موطن التوحيد»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

هذه بلاد مصطفاه:

فأول بيت وضع للناس - أى لعبادة الله وحده لا شريك له - كان في مكة المكرمة:
«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين».

وفي مهد التوحيد، وموطنه العريق - مكة المكرمة - صدع المسلم الموحد الحنيف الأواب أبو الانبياء - ابراهيم عليه السلام - بكلمة التوحيد، وأمر هو وابنه اسماعيل - عليها السلام - بأن يطهرا بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن يرفعا القواعد من البيت، وقد دعوا الله تعالى أن يجعلها مسلمين له، ومن ذريتها أمة مسلمة له، وأن يبعث في العرب رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

وقد وصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يثبتوا على التوحيد وأن يستمسكوا بالاسلام أبدا: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبنس المصير. وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون».

وأعظم أدلة الاصطفاء، وأجل براهين الاجتباء أن الله تعالى اختار من العرب - أهل هذه البلاد - رسولا نبيا، واماما للموحدين، وسيدا للمتقين، اختار محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم - من ولد إسماعيل عليه السلام.

لقد كانت مكة المكرمة منبته ومنشأه ومرباه وممشاه، وكانت المدينة المنورة مهجره ومقامه، ومشواه، وكانتا - مكة والمدينة - متنزلا لكلمات الله عليه صلى الله عليه وسلم.

فصدع امام الموحدين بالحق، وبشر وأنذر، وبلغ وجاهد، وأحيا أصول التوحيد، وجدد معالمه، ورفع لواءه، وأمات الوثنية والشرك وقضى عليهما، وطهر الجزيرة من آثارهما في العقيدة والعبادة والتشريع والأعراف والتقاليد والعادات، في الحياة الخاصة والعامة، وبنى أمة على التوحيد الخالص، لا تعبد إلا الله، ولا تدعو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه.

وكان آخر كلماته - قبيل أن يلتحق بالرفيق الأعلى - : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

....

لقد قضى الله أن تكون هذه البلاد «مقرا» للتوحيد، وقاعدة لا نطلاقه، ومناخا لنسباته الطيبة الطاهرة الزكية اللطيفة.

وصدق الله حيث يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

فبعلمه المحيط - سبحانه - «جعل» محمدا نبيا رسولا، وبعلمه المحيط - جل شأنه -

«جعل» هذه البلاد «موطنا» للرسالة، فلفظ «حيث» يقصد به «الرسول» متلقى الرسالة ومستودعها ومبلغها، ويقصد به «المكان» أيضا باعتباره - أى لفظ حيث - ظرفا مكانيا .

ومن الأدلة الباهرة - في هذا المقام - أن المعنيين - اصطفاء الإنسان، واصطفاء المكان - وردا على لسان إبراهيم - عليه السلام - وهو يدعو ربه ويرجوه .

ورد معنى اصطفاء الإنسان في قوله تعالى: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم».

وورد معنى اصطفاء «المكان» في قوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا..» وقوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» وقوله تعالى: «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» .

ولقد قضى الله أن (تظل) هذه البلاد خالصة للتوحيد، مطهرة للركع السجود، حفيظة على أصول الإسلام.

ومن مظاهر قضائه - سبحانه - أنه كلما حاول الشرك، أو حاولت الوثنية أن ترفع صوتها، أو تنشر آثارها وموبقاتها، قيض الله عبدا من عباده الموحدين، وسخره ليديم على الوثنية، ويكبت سدنتها، ويلغى قبائها ومباخرها وسائر مظاهرها.

ومن هؤلاء الأئمة الموحدين الداعين الى عقيدة التوحيد، الناصرين لمنهج أهل السنة والجماعة: الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وطيب ثراه، وأكرم نزله، وأعلى درجاته في الجنة.

لقد ظهر الشيخ الإمام في حقه يمكن أن نسميها «حقية انتشار البدع والجهالة»، كان كثير من الناس - في تلك الحقبة - يفسدون عقائدهم ويلوثونها بما يبطل نياتهم وأعمالهم ، كانوا يتوسلون بغير ما شرع الله، ويستعينون بغير الله، ويدعون غير الله.

وكانوا يحكمون بغير ما أنزل الله.
وكانوا قد اتخذوا أضرحة وقبابا وقبورا مخصصة يؤمنونها.

وكانت البدع والخرافات والأوهام، كالتطير والتنجيم والسحر قد انتشرت انتشارا
ألقى وظيفة العقل والتفكير.

وكان الجهل طاما بسبب قلة العلم، وندرة العلماء، وبسبب أن كثيرا من العلماء
الموجودين يومئذ قد التاث علمهم بحيث لا يزيد العامة إلا خبالا.

هنالك جرد الشيخ الإمام نفسه لله، وحمل لواء الدعوة، وتوكل على الله وصدع بالحق.

وكانت قضيته الكبرى هي: «التوحيد»، وهذا من توفيق الله له إذ يسره لكى يبدأ
بما بدأ به الأنبياء والمرسلون.

وللاخلاص والصدق ثمارها البانعة في هذه الحياة الدنيا، فقد أرى الله تعالى عبده
محمد بن عبد الوهاب شيئا من ثمار غرسه، ونتائج عمله في هذه الحياة «وما عند الله خير
وأبقى».

وهذا من عاجل بشرى المؤمن.

نعم، واجه الشيخ مشقة وعنتا وصدودا بادىء ذى بدء، بيد أن الثبات على الحق،
واليقين بأن الله سينصر دعوته، أذهبا المشقة والعنت والصدود.

وفي خلال سنوات تغير الحال، واستجاب الناس، وانتصرت دعوة التوحيد، ولا يذكر
انتصار دعوة التوحيد إلا مقترنا - تاريخيا وموضوعيا - بذكر اماميها معا: الإمام محمد
ابن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله. فبتوفيق الله تفاهم الرجلان العظيمان
وتعاهدا على نصرته الإسلام - عقيدة وشريعة.

فقد علم الرجلان أن «الدين» هو الأساس الوحيد لقيام الملك وصلاحه واستقامته
واستمراره، كما علما أن الدعوة - بلا سلطة أو دولة - تفقد امكانات الدعم والرعاية
والحراسة.

وهذا منهج علمي وعمل صحيح، فإن الانفصال المروع بين الدعوة والسلطان جر المسلمين إلى ضعفين:

ضعف مكانة الدعوة على المستويين : الداخلي والخارجي.
ضعف الدولة من حيث تناقص الولاء ، واضطراب الأساس، ورفع البركة.

ان الحكم الإسلامي ظهير للدعوة ، وفي كنفه تظهر وتتمكن، وفي ذلك يقول الشيخ الإمام: «ان هذا الذي انكروه على وأبغضوني وعادوني لأجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرها يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في «بلدي» لأجل أن الدولة لا ترضى «بذلك»، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه».

وهناك أمر جد مهم، ينبغى الانتباه إليه ونحن نتحدث عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ، هذا الأمر هو: «المنهج».

فللشيخ الإمام «منهج» ينبغى أن نتعرف على «خصائصه» ذلك أن هذه الخصائص كانت سببا - بعد توفيق الله - في نجاح الإمام .

وإذ نبرز هذه الخصائص، ندعو العلماء وطلاب العلم إلى مزيد من البحث والدراسة، حتى يمكن استخراج المنهج المتكامل الذي استخدمه الشيخ ووجد أمر الدين في ضوئه، وباستخراج هذا المنهج وتحريره يظفر طلاب العلم بأهم ما يحتاجون إليه وهو: «المنهج الصحيح».

ومن خصائص منهج الامام :

- ١ - المحاجة بـ «الدليل» والوقوف عنده.
- ٢ - الاعتماد على «منهج» أهل السنة والجماعة في فهم الدليل نصا أو في تكوينه استنباطا.

- ٣ - النفاذ إلى الموضوع دون لجاج، أو تطويل، أو لف ودوران أو اعتساف.
- ٤ - وضوح الرؤية ، واستبانة الطريق.
- ٥ - معرفة «الواقع» معرفة صحيحة.

وتوكيدا على منهج الشيخ الإمام ، وتجديدا لصياغة انتاجه العلمى، وتوسيعا لنطاق التعريف به، نظمت جامعة الإمام محمد بن سعود ندوة علمية موسعة، شارك فيها صفوة من علماء الإسلام ومفكره ومثقفيه.

وكان من أهداف تنظيم هذه الندوة :

- أولا : التقصى العلمى لكل ما كتبه الامام.
- ثانيا : تحرير انتاجه على يد مجموعة من العلماء الموثوقين.
- ثالثا : تصنيف هذا الانتاج وطبعه وتوزيعه .

وقد تم ذلك كله والله الحمد والمنة.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حين بذلت هذا الجهد العلمى ، وأدت هذا العمل الفكرى، إنما انبعثت إلى ذلك بحافز أدائها لأهم وظائفها وهى: خدمة علوم العقيدة والشريعة. وطردا لأداء أهم وظائف الجامعة، انتخب «مركز البحوث» طائفة من البحوث التى قدمت فى تلك الندوة، وجمعها فى هذا الكتاب الذى تقدمه لطلاب العلم والدعاة بخاصة ، وللمسلمين بعامة ، بل لكل من يرغب فى التعرف على الحق، ويتحرى الخير.

وهذا الكتاب ثمرة طيبة من ثمار «مركز البحوث» الذى نأمل أن تكثر ثمراته، وأن يزهو نشاطه العلمى والفكرى، وأن يطرد عطاؤه فى شتى المجالات التى تقع فى دائرة تخصصه واهتمامه.

ولئن تضمنت البحوث المنتخبة تقديرا لأصحابها ، فإن الجامعة لتذكر - بالتقدير والاعزاز - كل الذين أسهموا بإنتاجهم وجهودهم فى تلك الندوة.

لقد مضى القول بأن علوم العقيدة والشريعة لا تنتعش، ولا تقوى، ولا تتمكن - كما ينبغي أن تتمكن - إلا في «حكم إسلامي» يحمي جناب التوحيد، ويطبق الشريعة، ويرعى الدعوة والدعاة. ولقد رأينا ذلك واضحا في عهد الامامين: محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله.

ورأينا ذلك - حديثا - في عهد الملك عبدالعزيز، حينما شجع العلماء على قيامهم بواجبهم في نشر العلم والدعوة، ومن أبرز العلماء في عهده ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله، الذي تولى تأسيس الكليات والمعاهد العلمية والاشراف عليها، وقد كانت نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولقد عرف ذلك بنو الملك عبدالعزيز وخلفاؤه، فلزموه من خلال حراستهم لعقيدة التوحيد، وتطبيقهم للحدود، ورعايتهم العظيمة لعلوم العقيدة والشريعة، وخدمتهم الصادقة للدعوة.

وعلى سبيل المثال، فإن الامكانيات التي تتحرك بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - - مالا، وحرية في العمل والنشاط، وتنظيما للندوات العلمية، وتشجيعا وتأييدا - إنما هي جزء من الامكانيات التي تسخرها المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين.

من هنا، وتطبيقا لمبادئ الإسلام وأخلاقه في الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم نقول: إن هذه المملكة هي القدوة في الترابط الوثيق بين الدعوة والدولة، وبين الإسلام والسلطان، يرعى هذا الترابط ملك يعلم - كما علم جده الأعلى من قبل - أن «الدين» هو أساس الملك الصالح المستقر، ويعلم أن من أهم مسئوليات الملك الصالح: خدمة العقيدة والشريعة والدعوة.

وانا لندعو الله تعالى أن يؤيد - بنصره وتوفيقه - امام المسلمين، وملك هذه البلاد فهد بن عبدالعزيز وولى عهده الأمين.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

مديسر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية

تعريف بأسبوع
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته
واهتدى بهديه وبعد ...

فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
 بالرياض بالدعوة لعقد لقاء لمدة أسبوع تدرس فيه دعوة الشيخ الإمام المجدد المصلح
 محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - واستضافت نحو مائة وخمسين عالما وباحثا وداعية من
 خارج المملكة وداخلها .

وكانت الجامعة خلال أربع سنوات سابقة للقاء قد بذلت جهودا مكثفة لجمع تراث
 الشيخ من مظانه، وتحقيقه، وفهرسته، وطبعه طباعة جيدة، وقدمت ذلك للباحثين، كي
 يكون مصدرا أساسيا لبحوثهم .

وقد تلقت الجامعة من العلماء بحوثهم الموثقة بالمصادر الأساسية وقامت بطباعتها .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ تقوم بهذا العمل، إنما تنطلق من السياسة
 الحكيمة التي تتبناها حكومة المملكة العربية السعودية بدعم كل ما من شأنه جمع كلمة
 المسلمين، والعودة بهم إلى كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -
 واستنفاط طاقاتهم للنهوض بالأمة الإسلامية، والتأسي برجالها المصلحين في دعوتهم
 وجهادهم حتى تسترد حقوقها، وتستعيد مكانتها، وتؤدي واجبها في الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر .

وفي الفترة من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى يوم الخميس ١٤٠٠/٤/٢٧هـ التي
 توافق ١٩٨٠/٣/٨م و ١٩٨٠/٣/١٤م كان انعقاد هذا اللقاء .

الموضوعات المطروحة للبحث في الأسبوع :

رأت الأمانة العامة للأسبوع بعد البحث والمناقشة أن أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح لاستكتاب العلماء والباحثين فيها هي:

- ١ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .
- ٢ - اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة .
- ٣ - صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف .
- ٤ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- ٥ - تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ووجهت الأمانة العامة للأسبوع خطابات دعوة للعلماء والباحثين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، تدعوهم فيها للكتابة في واحد من هذه الموضوعات .

وزودت الأمانة العامة للأسبوع كل باحث بمجموعة كاملة من مؤلفات الشيخ

محمد بن عبد الوهاب التي قامت الجامعة بتحقيقها ونشرها بهذه المناسبة .

حفل الافتتاح

وقد تم حفل الافتتاح لهذا اللقاء العلمي الهادف الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢٦ هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض. وبحضور حشد كبير من المدعوين، من المسئولين وأهل العلم والدعوة، وأساتذة الجامعات وطلاب العلم بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات. وابتدأ الحفل بآيات من كتاب الله الكريم، ثم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز كلمة طيبة أشاد فيها بأهمية هذا اللقاء على تراث الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وحث على الدفاع عن الإسلام، وأداء الحكام والعلماء والمفكرين لواجبهم نحو تحمل الأمانة امتدادا لتاريخ أمتنا المجيدة .

ثم تلا ذلك كلمة معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، وزير التعليم العالي، التي نوه فيها بمكانة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأشار إلى أن التاريخ وحده هو الكفيل بتسجيل هذه المكانة له .

ثم جاءت كلمة ساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. وألقاها نيابة عنه الشيخ عبدالعزيز الفالح، الأمين العام لهيئة كبار العلماء. وقد أشار في كلمته إلى نعمة الإسلام الكبرى وأن مستقبل المسلمين مرهون بالتمسك بالإسلام وتطبيق شريعته في شئون الحياة كلها .

ثم ألقى معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة رحب فيها بالحضور، وتمنى لهم إقامة سعيدة وعودة حميدة، والمخ إلى اعتزاز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعقد هذا اللقاء العلمي، وما سبقه من جهود للاعداد له، وتمنى أن يثمر هذا اللقاء أطيب الثمار، وأكد على أهمية الأثر الواضح في تلاحم الدولة والدعوة، وما أحرزه ذلك من نجاح في تطبيق شرع الله، وذلك في التقاء الإمام محمد بن سعود بالإمام محمد بن عبدالوهاب، وتعاهدهما على نصره دين الله .

ثم ألقى كلمة أعضاء الأسبوع الدكتور إسحاق أحمد فرحان، أستاذ التربية بجامعة اليرموك بالأردن، ورئيس الجامعة الأردنية السابق، أشاد فيها بفكرة عقد هذا اللقاء، وشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على أعماها السديدة، وما قامت به من جمع تراث الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتيسير نشره، ودعا إلى توحيد كلمة المسلمين والتقائهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم توجه الجميع لافتتاح معرض الكتاب الإسلامي الذي أقيم بهذه المناسبة .

وقد تم اختيار معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رئيسا للقاء، واختيار الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وكيل الجامعة وأمين عام الأسبوع نائبا للرئيس، واختيار الدكتور إسحاق أحمد فرحان مقررا عاما .

وتم الاتفاق كذلك على أن تناقش الموضوعات في لجتين :

اللجنة الأولى : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعين الآتيين :

- ١ - اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة .
- ٢ - صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة السلف .

وقد انتخب فضيلة الشيخ مناع خليل القطان رئيساً لهذه اللجنة، والدكتور سيد حجاب مقرراً لها .

اللجنة الثانية : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعات الآتية :

- ١ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .
- ٢ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ .
- ٣ - الدعوات الإصلاحية التي تأثرت بها .

وقد انتخب فضيلة الدكتور عبدالله العجلان رئيساً لهذه اللجنة، والدكتور محمد إبراهيم نصر مقرراً لها .

الندوات والمحاضرات:

عقدت أثناء الأسبوع ندوات هي :

الندوة الأولى : وموضوعها: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .
واشترك فيها:

- ١ - الشيخ محمد بهجت الأثرى .
- ٢ - الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك .
- ٣ - الشيخ إسماعيل الأنصارى .

وقد أدار الندوة الشيخ محمد بن عبدالله العجلان، وكيل الجامعة .

الندوة الثانية: وموضوعها: اعتماد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، وصلتها بمذهب السلف .

واشترك فيها :

١ - د . محمد فتحي عثمان .

٢ - د . عبدالله عبدالماجد .

وأدار الندوة الدكتور على عبدالحليم محمود .

الندوة الثالثة: وموضوعها: الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتأثير الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ .

واشترك فيها :

١ - الشيخ عطيه محمد سالم .

٢ - د . محمد سلام مذكور .

٣ - د . وهبه الزجيلي .

وأدارها الدكتور اسحاق الفرحان .

كما ألقى الأستاذ حمد الجاسر محاضرة بعنوان : المرأة في حياة الشيخ محمد بن

عبدالوهاب .

البحوث المقدمة لاسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلسل
الشيخ أحمد بن عبدالعزيز آل مبارك	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	١
د. التهامي نقرة	محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد	٢
الشيخ محمد بن أحمد العقيلي	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٣
الشيخ عبد الحفيظ عبد العال	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٤
الشيخ يوسف جاسم الحجري	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٥
الشيخ أحمد زيارة	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٦
اللواء الركن. محمود شيبت خطاب	الامام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل	٧
الشيخ حمد الجاسر	المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٨
د. عبدالله العثيمين	الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب	٩
الشيخ إسماعيل محمد الأنصاري	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	١٠
الشيخ محمد يوسف	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١١
الشيخ مناع خليل القضان	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٢
الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٣
الشيخ عبدالله بن سعد الرويشد	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٤

تابع

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلل
الشيخ سياج الدين كاكاخيل	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٥
د. عبدالله عبدالمجيد	منهج دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي والتصور السوداني لهذه الدعوة	١٦
الشيخ الغزالي خليل عيد	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٧
د. علي عبدالحليم محمود	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٨
الشيخ أحمد عبده ناشر	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٩
د. محمد فتحي عثمان	السلفية في المجتمعات المعاصرة	٢٠
د. عبد الوهاب ابراهيم أبوسليمان	خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٢١
الشيخ محمد يوسف	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومماثلتها بشبهات أثرت حول دعوة الشيخ المودودي رحمهما الله.	٢٢
د. عبدالرحمن عميرة	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب	٢٣
الاستاذ عبدالكريم الخطيب	الشبهات التي أثرت حول دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب والرد عليها	٢٤
الشيخ محمد نسيب الرفاعى	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٢٥
أ. د. محمد محمد حسين	دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بين التأييد والمعارضة	٢٦
الشيخ محمد عبدالرحمن	الدعاية المعادية للوهابية في شبه القارة الهندية	٢٧
الشيخ صالح أوزجان	الزعامة على أسنة اقلام النقاد	٢٨

تابع

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلل
د.عبدالبارى عبدالباقي	الوهابيون والتقويم المعاصر لهم	٢٩
أ.د. محمدسلام مذكور	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٠
الاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمى	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في غرب أفريقيا	٣١
د. وهبة الزحيلي	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ	٣٢
الشيخ اسماعيل أحمد	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٣
الاستاذ أنور الجندى	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٤
د. عبدالحليم عويس	أثر دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب في الفكر الاسلامى الاصلاحى بالجزائر	٣٥
الشيخ عطية محمد سالم	دعوة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها	٣٦
د. مصطفى محمد مسعد	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان ابن فودى الاصلاحية في غرب أفريقيا	٣٧
د.محمد السعيد جمال الدين	دعوة الشيخ وأصدائها في فكر محمد اقبال	٣٨
الاستاذ نجيع أحمد عبدالله	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٩
الشيخ عبد القدوس الانصارى	تأثر الدعوات الاصلاحية في العالم الاسلامى بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٤٠

النتائج والتوصيات

من خلال مناقشة الأبحاث المقدمة، وما عرض في اللجان والندوات من آراء وأفكار يقرر المؤتمر النتائج والتوصيات التالية:

١ - أن التجربة الرائدة في العصر الحديث، تتمثل في التلاحم الوثيق بين الدعوة والدولة، وذلك في مناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذه التجربة هي الصيغة الإسلامية الأصلية لقيام الدولة في الإسلام عقيدة وشرعية ومنهاج حياة على أسس راسخة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى المسلمين كافة أن يعمقوا هذه التجربة الفذة في تعاون العلماء والحكام على إقامة حكم الإسلام، وتطبيق شريعته، وشد أزر الدعوة الإسلامية مما يعود على الناس كافة بالنصر والتمكين في الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة .

٢ - أن المسار الصحيح للدعوة الإسلامية إنما يكون باستنادها إلى أصول الدين الحنيف، ومصادره من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فتستمد من هذه الأصول والمصادر وسائلها وأهدافها، وتصوغ أوجه نشاطها صياغة إسلامية وفق ما جاء عن الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وما سار عليه سلف الأمة الصالح .

٣ - أن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة إسلامية أصيلة، نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي حلقة من حلقات الإصلاح والتجديد في أمة الإسلام عبر القرون والأجيال مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وهي في مجال التطبيق تلتزم باتباع النصوص الشرعية والاجتهاد في إطارها، والاسترشاد بأقوال الأئمة السابقين .

ويرى المؤتمرون ضرورة العمل على اعداد طائفة من العلماء ذوى المواهب الخاصة، وتأهيلهم تأهيلاً يمكنهم من الاجتهاد فيما يجد من قضايا ومشكلات في ضوء الكتاب والسنة، حتى تحكم الحياة في جميع مجالاتها بشريعة الإسلام .

٤ - أن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أثراً واضحاً وملموساً في الدعوات والحركات الإصلاحية في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وبعث الثقة في نفوس الدعاة والمصلحين بإمكان نصر الدعوة واتخاذ الإسلام منهج حياة .

ويؤكد العلماء المؤتمرون أن المعيار في وزن الدعوات وتقويمها يرتكز على مدى التزامها بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثر السلف الصالح في الاعتقاد والعلم والعمل والصبر ومحاربة ضروب الشرك والخرافات والبدع .

٥ - أن حياة أئمة الإسلام العاملين من المجددين والمصلحين، بما تميزت به سيرهم من حرص على العلم النافع والعمل به، ودعوة الناس إلى الحق كما جاء في القرآن والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، والصبر على ما تقتضيه الدعوة من مواصلة الجهاد والثبات في مواجهة التحدى، والثقة بعون الله والاعتزاز بدينه اتباعاً لأمره وابتغاء مرضاته - أن حياة هؤلاء الدعاة المهتمين المجاهدين تعد النموذج الرائع لتربية الدعاة واعداد العلماء المصلحين. مما يوجب أن توجه الجامعات والمعاهد والمؤسسات والمراكز الإسلامية عنايتها إلى دراسة حياة هؤلاء العلماء المصلحين العلمية والعملية، وتحليلها للاستفادة مما تحفل به من دروس نافعة حتى تقتفى الأجيال خطاها وتتأسى الناشئة بها، وفي هذا الاستيعاب لمآثر أئمة الإسلام، وأعمالهم الجليلة وسيرهم الراشدة في مجال التربية والتوجيه والاعداد والسلوك، تجديد دائم لدعوة الإسلام في زمن يحتاج فيه المسلمون إلى تألقها، ودفق عطائها، واشراق ضيائها .

٦ - أن إيقاظ روح الجهاد الإسلامي قولاً وعملاً هو الطريق الصحيح للتصدى الحازم لما تواجهه أمة الإسلام من تحديات .

ويرى المجتمعون ضرورة اجتماع كلمة القادة في الشعوب الإسلامية على الحق، وتوحيد جهودهم، واستنفار طاقات شعوبهم لبعث روح الجهاد في سبيل الله والأخذ بأسبابه، وإعداد العدة له بما في ذلك الاعتماد الذاتي في توفير السلاح بإقامة المصانع الحربية اللازمة، حتى لا يظل المسلمون معتمدين في تسليحهم على الشرق أو الغرب .

كما يرون ضرورة تقديم العون المالى والعسكرى للمجاهدين في كل بلد مسلم يقاوم الظلم والطغيان، وبخاصة تقديم العون لتحرير فلسطين المسلمة من وطأة الاحتلال الصهيونى الغاشم الذى انتهك الحرمات الإسلامية المقدسة، وارتكب أشنع الجرائم بحق الشعب الفلسطينى المسلم .

ويرون أيضا أن الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا مطالبة بتأييد حركات الجهاد الإسلامى لتحرير أفغانستان المسلمة، ودعم جهاد المسلمين في اريتريا والفلبين وغيرها .

٧ - أن للمرأة المسلمة أثرها الطيب في تاريخ الإسلام على مر العصور، كما أن لها نصيبا في تحمل أعباء الدعوة، وهذا أمر يستحق التقدير ويستوجب أن يعنى الدعاة إلى الله بالمرأة حتى تأخذ مكانها المناسب، من حيث إعدادها إعدادا صالحا لتربية جيل مسلم صالح، وإسهامها في مجال الدعوة (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

٨ - أن الشبهات التى أثارها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هى من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها من كتابات الشيخ ومنهجه في الدعوة . ويجدر بالدعاة في مختلف أنحاء العالم أن يسلكوا في سبيل دعوتهم الأسلوب الحكيم الذى يدحض بقايا هذه الشبهات، ويوضح الحق الذى دعا إليه الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

٩ - ضرورة العناية بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة، لدراسة العقيدة وإعداد

الدعاة إلى الله وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام والمعاهد والكلليات القائمة .

وأن يكون بين هذه الكلليات والمعاهد والأقسام في العالم الإسلامي تنسيق وتعاون. ويوصى المؤتمرون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتقوية روابطها مع هذه الكلليات والمعاهد، وتقديم الدعم العلمي والمالي لها، لتحقيق أهدافها .

١٠ - أن نشر الدعوة الإسلامية يتطلب الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة، وإعداد فئة من رجال الاعلام المثقفين ثقافة إسلامية واسعة عن طريق إنشاء كلليات ومعاهد وأقسام متخصصة في الاعلام الإسلامي، لينقى هؤلاء الاعلام في البلاد الإسلامية من كل ما يتعارض مع الإسلام، وليوجهه توجيهها إسلامياً تعالج من خلاله قضايا المسلمين، ويسهم في تربية ناشئتهم وينشر الإسلام على الناس كافة .

١١ - ان التقاء علماء الإسلام لمدارسة أحوال المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله والعودة إلى الكتاب والسنة، والتزام أحكام الشريعة الإسلامية، مما يساعد على الصحة الإسلامية ويعزز مسارها .

ويرى الأعضاء أن موسم الحج يتيح فرصة طيبة لمثل هذا اللقاء، وعلى مؤسسات الدعوة والجامعات والهيئات أن تتحمل مسئولياتها ازاء تحقيق هذه الغاية في موسم الحج وغيره من المناسبات .

١٢ - أن تعنى سفارات الدول الإسلامية بعامه وسفارات المملكة العربية السعودية بخاصة بشئون الدعوة الإسلامية، وذلك بتوثيق علاقاتها مع المراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية، ودعمها وتوحيد جهودها، والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها .

١٣ - أن الاعتراف بالحق لذويه، والتذكير بتراث الأئمة المصلحين، والعناية بدراسته والافادة منه، مما تعنى به الأمم الواعية في تاريخها، ولذا يرى المؤتمرون:

أ - أن تتابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خدمة تراث ورسائل الشيخ

- محمد بن عبد الوهاب، وتحقيقها تحقيقاً علمياً، ونشرها .
- ب - إقامة مكتبة خاصة بتراث الامام محمد بن عبد الوهاب وتلامذته، ومن نهج نهجه في الدعوة .
- ج - القيام بالدراسات التحليلية لها من أجل استخلاص الدروس والعبر النافعة منها .
- د - ترجمة المختار منها إلى لغات الشعوب الإسلامية وبعض اللغات الحية .

حياة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

وآثاره العلمية

1874

1874

1874

محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد

للدكتور
التهامي نقرة

أستاذ محاضر في دراسات القرآن والسنة
بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس
ومستشار بالأمانة العامة للجامعة العربية بتونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عقيدة التوحيد

أجل ما في الإنسان قلبه مستقر المعرفة واليقين، وخير ما يثبت فيه عقيدة إلهية واضحة المعالم عميقة الجذور، يغذيها بحياته فتهد له أسس ما في الحياة، وتفتح له آفاق الإيمان، منبع الأحاسيس الرفيعة، ومصدر العواطف النبيلة .

وإذا استقر الإيمان في الوجدان امتزج باليقين، فكان أطيب ثمراته الثقة في الله وصالح الأعمال، وهو المعنى الذي أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما قر في القلب وصدق العمل»^(١).

فالإيمان هو النور الذي إذا افتقده الإنسان، غشيه الظلام، وضل سعيه في الحياة الدنيا، ومن هنا كان أفضل آلاء الله على عباده هدايتهم للإيمان .

قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم:

«يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ

(الحجرات - ١٧)

أَنْ هَدَانَا لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»

وما العقيدة الإلهية إلا عقيدة التوحيد التي بها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه وجعلها وصيته في الأولين والآخرين، فقال جل شأنه.

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»

(الشورى - ١٣)

(١) لم يصح رفعه والمشهور أنه من كلام الحسن البصرى .

فأصول العقيدة وقواعد الايمان التى لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الأفراد والأقوام هى التى أوصى بها رسله، إذ أن دين الله واحد، وحقيقته التوحيد.

وقد رويت الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم أكد هذه الحقيقة فى مثل قوله: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»...

ومن هنا يمكن القول بأن أقدم ديانة ظهرت فى الأرض هى عقيدة التوحيد، وأن التوحيد ليس نهاية الأطوار، بل هو البدء والختام .

وأن الوثنية ليست إلا أغراضا طارئة، نفثت سمومها عندما نسيت الإنسانية تعاليم السماء وانتابت عقيدتها انحرافات، وتمكنت منها أوهام وخرافات، فعن عياض المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى إحدى خطبه: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ...»

وما تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق، صادرة عن سبيل الله، صارفة عن وحدانيته، داعية إلى الشرك .

وكم عانى رسل الله فى سبيل الدعوة إلى التوحيد، واجتثاث الوثنية، فكان أول ما بدأ به نبى الله نوح عليه السلام أن دعاهم إلى عبادة الله وحده .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ -
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »

(الاعراف ٥٩).

وكذلك كانت دعوة هود وشعيب وصالح وغيرهم من الرسل عليهم السلام، كل يقول لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

والتأمل فى سيرة خليل الله ونبيه ابراهيم عليه السلام، وما لاقاه من قومه عبدة

الأوثان كما بين ذلك القرآن، يتجلى له في وضوح جهاد رسل الله، ولا سيما أولو العزم منهم في مقاومة تيار الوثنية، والأخذ بأيدي الضالين الى حظيرة الوحدانية .

فدين الله في جميع الأزمان هو إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية، وما دام الله واحدا فلا بد أن يكون الدين واحدا في العقيدة، ولكن الناس قد تطفئ عليهم الرواسب والفلسفات والأوهام، فتذهب بهم كل مذهب، وليس لهم برهان من عقل ولا سند من نقل، فيضلون ويضلون، ويلبسون الحق الذى جاء به رسل الله اليهم بالباطل الذى صنعتهم ظنونهم وعقولهم، كما فعل اليهود والنصارى إذ ثاروا بالفلسفة الإغريقية التى تعدد الآلهة، وتزعم أن الله - سبحانه - قد أولد الأشياء، وأن طبيعة الخلق إنما هى ولادة شئ منه وصدوره عنه كما تفيض العيون بالمياه، وقد عجزت عقولهم عن تصور خلق الله بنحو الإبداع، ان يقول للشئ كن فيكون، لأن قدرته ذاتية.

فانحرف الزيف باليهود إلى مهاوى الشرك، فادعوا أن لهم إلهًا خاصا بهم، وهو إله إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهة أخرى، ولم يخلص إلههم من صفات الحوادث ولا من شوائب النقص والتجسيم حتى فى أحدث توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين بل بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم، ومن ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من ذهب .

وزادت عقيدتهم فى الله ارتكاسا فى العهد الذى ألف فيه التلمود وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد^(٢).

كما زاغت النصارى بعقيدة الثالوث وهو الآب والابن وروح القدس، ولم تكن هذه العقيدة موجودة فى العهد الجديد، ولا فى أعمال الحواريين ولا فى تلاميذهم الأقربين بل كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، ولكن بولس هو الذى خالف عقيدتهم، وزعم أن المسيح أرقى من إنسان، وأنه عقل سام متولد عن الله، وكان موجودا قبل أن يوجد العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك

(٢) انظر: اليهودية واليهود، على عبدالواحد واقي - ٣٥ - ٤٢ (ط مصر دار الهنا للطباعة) .

تابع للإله، وان الثلاثة مع ذلك إله واحد رغم أن كل واحد منها مستقل عن الآخر، تعالى الله عما يقولون.

وعقيدة الثالوث موجودة في ديانة قدماء المصريين، وفي ديانة البراهمة لدى ملايين الهنود والصينيين والبوذيين.

ومن طريف ما يروى أن مسلماً قال لأحد القساوسة: «إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: هذا محض افتراء، فإن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم وكيف وقد كنت تقول فى وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب؟ فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة؟

قال أحد الشعراء:

عجبا للمسيح بين النصارى	وإلى الله والدا نسبوهُ
أسلموه الى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلوه
فلئن كان ما يقولون حقا	فسلوهم، فأين كان أبوه
ولئن كان راضيا بأذاهم	فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض	فاعبدوهم لأنهم غلبوه (٣)

دعوة الإسلام إلى التوحيد:

وإذا كان التوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول كما يقرر ذلك القرآن فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »

(الأنبياء - ٢٥)

فإن الإسلام هو دين التوحيد الخالص المطلق، وجوهر عقيدته ومحور عباداته وركيزة تعاليمه، والطابع المميز له بعبودية الانسان لله وحده، ومن ثم كانت عنايته

(٣) سيد سابق: العقائد الإسلامية: ٦٤ ط. مصر (١٩٦٧).

الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التي يجب أن يستقر عليها الضمير البشرى في حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق، وعلاقة الخلق بها... فستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وأخلاقهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وما كان يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وتتجلى خصائصها^(٤).

جاء الإسلام وفي العالم ركाम من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والشعائر والتقاليد، اختلط فيها الحق بالباطل، والدين بالخرافة. والضمير البشرى يتخبط في ظلمات وظنون لا يستقر معها على يقين، ولا بد للإنسان من عقيدة تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله.

أما الجزيرة العربية التي نزل فيها القرآن فقد كانت تعج بركام من باطل المعتقدات التي تسربت إليها من اليهودية والنصرانية والفرس ومن الوثنيات القديمة.

فمنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد الجن، ومنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد الأصنام إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها.

وكان بالكعبة التي بنيت لعبادة الله الواحد نحو ثلاثمائة وستين صنماً، وقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التي كانت سائدة في الجاهلية قبل البعثة المحمدية، وأشار إلى كل ذلك بوضوح في عدة سور منه^(٥)، وكان جل ما نزل منه في المرحلة المكية ومدتها ثلاث عشرة سنة يهدف إلى إنشاء عقيدة التوحيد ونشرها في قوم لم يكلفوا بشريعة قط، لوجودهم في فترة من الرسل تمتد من اسماعيل إلى محمد عليهما السلام، وهي مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

(٤) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي ومقرماته: ٤٢ (ط٢ - ١٩٦٨)

(٥) سورة الزمر: ٣: ٤ - والزخرف: ١٥ - ٢٠ وسبأ: ٤٠-٤١ والصفات ١٤٩ - ١٥٩، والنجم: ١٩ - ٢٨.

« لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »

(القصص - ٤٦)

وبتعاقب الأجيال والوراثة والتقليد كاد يتأصل فيهم باطل الشرك ويستحكم، حتى صار من العجب أن يقال لهم «الله واحد»^(٦)

« أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ^ط إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ »

(ص : ٥)

وكم ضرب القرآن من أمثال، وساق من أدلة، وأقام من براهين، على إثبات أن الله واحد في ألوهيته.

وفي ذاته، فلا شريك له في ملكه، وليس كمثل شئ.

وفي صفاته، فليس في أحد من الصفات ما يشبهها.

وفي أفعاله، فليس في أحد غيره مثل فعله، كل شئ في قبضته، وجميع الأمور إليه.

وكم في القرآن ما يعد تصحيحا لما وقعت فيه الديانات المحرفة، والفلسفات الخاطئة في الظلام.

ثم إن المساحة التي تشملها حقيقة التوحيد في ضمير المسلم، وفي عباداته ومعاملاته وفي حياته الخاصة والعامة بعيدة الأغوار فسيحة الأرجاء، حتى صار كل شئ في الإسلام مقاما على التوحيد، ومنبثقا عنه، والمسلم يساق من باطنه لا من ظاهره، والعقيدة هي التي تلقى ظلها على حياته، لذلك اعتبرها القرآن غاية في ذاتها.

قال ابن القيم: «ان كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه: فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما إلزام بطاعته في أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل

(٦) التهامي نفرة: سيكولوجية القصة في القرآن: ١١١ (ط تونس ١٩٧٤).

توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك مما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم^(٧).

فالرجوع إلى الله وحده في التحريم والتحليل وفي التشريع ومنهج الحياة وميزان القيم والاعتبارات والتوجه إليه وحده في الطلب والعبادة والرجاء والخشية والتقوى هو من مقتضيات التوحيد: توحيد الألوهية والسلطان.

لذلك كانت كلمة «لا إله إلا الله» هي مفتاح الإسلام إذ بها يخضع المؤمن لعقائده وأحكامه.

فهى شهادة تتضمن إيمانا تاما بأن الله وحده هو مصدر الخلق والمعرفة وهدف العبادة. فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذ إلهًا وأشرك مع الله غيره، لأنه سبحانه منتهى مطلب الحاجات، ومن عنده وحده نيل الطلبات.

«هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(غافر - ٦٥).

والتوحيد الخالص لله عز وجل ليس بالأمر الهين، إذ هو يتطلب معرفة ويقينا، ومراقبة وخشوعا ومجاهدة للنفس، حتى يكون الله هو غاية المؤمن في أقواله وأعماله، وأن يكون لديه أكبر من كل شئ، إذ بيده أجله ورزقه، ونفقه وضره، وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغرسه في قلب ابن عباس وهو غلام ناشئ، حين قاله له، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله

(٧) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: ج - ٢٨٩/٣ (ط مصر - ١٣٣١).

لك ... وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ... (رواه الترمذى). وبهذه العقيدة التى بثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلوب المؤمنين وصهرها فى نفوسهم، كتب الله لهم النصر فى مواجهة الطغيان رغم قلة عددهم وعدتهم، وأخرجهم من كل محن الابتلاء ظافرين، لأن إيمانهم بالله بلغ درجة اليقين، فهانت عليهم متع الدنيا، واستجابوا لله حين دعاهم لما يحييهم، رغم ما سلط عليهم أعداء الدين من سياط الوحشية والإرهاب، ولم يتخل النصر عن المسلمين إلا حين اهتزت عقيدتهم، واختل إيمانهم.

خطر فساد العقيدة:

وإذا لم يكن على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التوحيد فى عقيدة الإسلام الذى هو الدين عند الله، يصون الروح عن دنس الشرك، وتحريرها من الخنوع لغير الله، والعبودية لكل ما سواه، وخلص العمل من أفة الرياء، وكان من عاجل ثمراته تلك النماذج البشرية الرفيعة التى ضربت أمثلة رائعة فى الكمال الإنسانى، أولئك الذين قيل لهم «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» .

كانوا أعزة تأبى نفوسهم الذلة والاستكانة، لأنهم مرتبطون بالله الواحد الأحد، يستمدون منه العون والسند، ولا ينصاعون للظالم وإن قويت شوكته، وعلا فى الأرض، وأنهم معتصمون بحبل من الله متين، ولا تغرهم الحياة الفانية، ولا نعيمها الزائل، لأنهم واثقون بأن ما عند الله خير وأبقى.

إذا كان هذا أثر العقيدة الإلهية فى النفس والحياة، فإن الانحراف بها عن جوهر التوحيد الخالص الذى دعم بناءه وأقام دعائمه على حقيقة الإسلام الأولى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، هو عدول عن منهج الدين القيم وضلال عن سبيل الله، وتلويث للقطرة السليمة .

وإذا أقفرت الروح من روحانية صادقة، ملأ فراغها الشيطان بأوهام وأباطيل ما

أنزل الله بها من سلطان، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من آية بما لا يدع مجالاً للشك كقوله عز وجل:

«...إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»
(يوسف - ٤٠).

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»
(الأحقاف: ٤)

فأى تمزق ينشئه التصور الخاطيء في ضمير المسلم وحياته، هذا التوزع في التوجه والدعاء والرجاء والشعور والعبادة إلى غير الله؟ إن معقد الدعاء والرجاء هو الذى يملك مفتاح العطاء، وهو واهب الحياة، وليس الذى وهبت له الحياة!

وحس الإسلام في تمحيص القلوب، ونقد الخطرات والاتجاهات مرهف شديد الحساسية، فكيف يسمح لمسلم أن يسلم وجهه لغير الله ويرجو غير الله، وينزل في وهدة يذل فيها لمن هو دونه، أو لمخلوق مثله في البشرية؟

لذلك حذرنا من الشرك بكل صوره وأشكاله، لأن مساربه كثيرة، ومزالقه قد تدق وتخفى فلا يكاد يراها إلا الذين قدروا الله حق قدره، كما ورد في الأثر: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء»، وقد تصير أسباب الهداية بالجهل وسوء الاختيار ذريعة إلى الضلال والغواية، ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله، فيقول:

«وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا»
(الفرقان - ١٧ و ١٨).

قال يحيى بن معاذ: (إن للتوحيد نورا، وللشرك نارا، وإن نور التوحيد أحرق لسينات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين). فإذا رأيت المرء يخشى الناس ولا يخشى الله، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويتغنى رضاهم أكثر مما يتغنى رضاه، ويهرع بالنذور والحاجات إلى من يظنه بابا لله، ويطلب منه ما لا يجوز أن يطلبه من غير الله، وإن أصابه خير نسي ربه، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فاعلم أنه قد أصابه دخل في توحيده، وخلل في إيمانه، ورقة في دينه .

ومن المسلمين من ينسى الحق إذا طال عليه الأمد، ويألف المنكر إذا تكرر أمامه وعمت به البلوى، فيجرفه التيار، ويظن أنه أحسن صنعا حين لم يخرج عن الجماعة، ولم يشذ عنها في موقف أو رأى أو عادة .

ومتى تكرر المنكر وأصبح الخاصة والعامة يرونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ويلمسونه بأيديهم، زال قبحه من أنفسهم إلا من عصم الله من أهل العلم الأتقياء الأقوياء، أولئك الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يسكتون عن الحق خائفين أو مجاملين، ولا مترخصين أو متأولين، وحمد الناس لا يغيرهم، كما أن ذمهم لا يشبههم، وهم قلة نادرة وسط الغثاء، وفيهم من أيقظه الله للإصلاح، ومن بعثه الله على رأس مائة سنة ليجدد أمر الدين كما جاء في الحديث، فانبهرى كالسهم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويحيى روح التوحيد المطلق، ويجلي عن القلوب ما ران عليها من غشاوة الجهل والبدعة، حتى يكون الدين كله لله، وإن حمله ذلك من أذى المبطلين ومقتهم عناء وجهدا وجهادا، ولكنه يقابل السفه بالحلم، والأذى بالصبر والعفو، والعظائم لا يتصدى لها أو ينهض بها غير العظماء .

يروون أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول في دعائه:

«اللهم من كان من هذه الأمة على غير حق - وهو يظن أنه على حق - فرده إلى الحق

ليكون من أهل الحق - اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد فداء فاجعلنى فداء لهم...»^(٨).

إن هذا الجهاد لا يقل خطراً وشأناً عن جهاد الحرب بالسلح، بل هو رغم مغارمه وأهواله يرجح بكل ما ينشد الانتهازيون من مال وجاه .

إنه إصلاح ودعوة لا ينتصر فى ساحتها إلا من طهر نفسه، ونقى قلبه، وباع بالإخلاص والولاء ربه، ونور بالعلم والمعرفة عقله وتسليح باليقين وقوة الحجة، وكان هدفه الأسمى أن يحرر النفوس من عنت الأهواء الجامحة، والجاهلية الغاشية، بما يقدمه من تضحية فى سبيل الحق، وصبر على البلاء، ونشر لتعاليم السماء، وتخليص لها من شوائب المنكرات والبدع، وترغيب فى الخير بما يشيعه بسمو أخلاقه من نبل وفضل.

ومن بين هؤلاء المجددين المصلحين صاحب الدعوة السلفية شيخ الإسلام.

محمد بن عبدالوهاب:

ولد رحمه الله فى بلدة العيينة من نجد سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة. وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، وتلقى مبادئ العلوم والفقهِ الحنبلى عن والده مفتى عيينة وقاضياها، ثم سافر الى الحجاز فى طلب العلم، وكان كثير التردد على علماء مكة والمدينة، مثل العالم الشيخ حياة السندى المدنى صاحب الحاشية على صحيح الإمام البخارى.

ثم ارتحل الى البصرة فتجمع فى درس الحديث والفقهِ .

وبعد ذلك قصد بلدة حريملاء حيث كان والده الشيخ عبدالوهاب قاضيا، وإذا خلا بنفسه عكف على دراسة كتب التفسير والحديث، ومؤلفات العلامة ابن تيمية ومؤلفات

(٨) محمد الغزالي (من معالم الحق) ١٣٦ (ط . مصر ١٩٦٣)

تلميذه ابن قيم الجوزية، وكان تأثيره بهذين العالمين الجليلين واضحا في كتاباته وأفكاره واستدلالاته.

وفي حرملاء جرت حادثة جعلته لا يطمئن على الإقامة بها، فرجع إلى بلدة العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن معمر بحسن القبول، وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التي يعظمها أهل القرية ويذبحون لها، كقبة زيد بن الخطاب، وشجرة أبي دجانة، فسأه ما يرى من هذا الخبط في الضلال، وأقنع أمير البلدة بأن ما يفعله أهلها منكر وبدعة لا بد من وضع حد لها.

فخرج معه يصحبها عدد من الجنود فقطعوا الأشجار التي كان الناس يلوذون بها وهدموا المشاهد والقباب، ومن بينها قبة زيد بن الخطاب، فشكوه إلى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك، فأرسل كتابا إلى عثمان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلده، فخرج منها وولى وجهه نحو الدرعية حيث نزل ضيفا عند أحد تلاميذه وهو الشيخ أحمد ابن سويلم العريني، وذلك سنة ١١٥٨هـ، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود زاره في بيت مضيفه، وجرى بينها حديث حول ما يرى في قوم أهل نجد من الشرك الخفي والبعث عن عقيدة التوحيد، وتسرب البدع المنكرة كدعاء الأموات، وتقديس بعض الأشجار والأحجار، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكان أهل نجد ينتابون قبرا يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور الصحابي المعروف يسألونه قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشجرة تسمى الطرفية، يعتقدون فيها ما كان يعتقد مشركو الجاهلية في ذات أنواط، ومغارة يسمونها مغارة بنت الأمير، ونخلات يختلف إليها النساء اللاتي لم يلدن أو لم يتزوجن، ونحو ذلك مما يمس بجوهر التوحيد في المعتقد، وبالأخلاق الإسلامية في السلوك.

وقد وجد من الأمير أذنا صاغية، وقلبا واعيا، واستعدادا طيبا لحماية ما يعتزم القيام به من دعوة الإصلاح ومقاومة البدع، وطمس مظاهر الشرك وتطهير الدين مما اختلط به من شوائب، وليس ذلك بهين في قوم رانت على قلوبهم خرافات وأباطيل فاجتالتهم عن

الفطرة القويمة لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وقاعدة لتصوراتهم، وأن شعورا قويا متمكنا ليكفى وحده في تحديد نشاط الإنسان واتجاهه في الحياة، يقول باسكال:

إن تهيباتنا وأهواءنا وميولنا متصلة بعاداتنا وماضينا ومزاجنا، فقد تمر بنا الحياة طافحة بالعبر، ولكننا نستثقل فيها كل لطيف ونتجهم أمام كل حقيقة، ونستقبح كل جميل.^(٩)

ولم تكن هذه الحقيقة التي تجهم لها أهل نجد يومئذ سوى عقيدة تصل الناس بربهم من غير وسطاء ولا شفعاء، فيؤمنون بأنه هو وحده صاحب الحول والطول، منه المبدأ وإليه المصير، فتتحرر قلوبهم، وتصلح نفوسهم، وتستقيم حياتهم.

وكان مما اشترطه عليه الأمير ابن سعود لمناصرته قائلاً: «إذا قمنا بنصرتك وجاهدنا معك فلا ترتحل عنا أو تستبدل بنا غيرنا» وكانت نجد في تلك الفترة مفككة الأوصال غير خاضعة لإمارة واحدة مما أدى إلى الفوضى، وسفك الدماء، فتعاهدا على جمع الكلمة وإظهار دين الله، وإصلاح العقيدة والسلوك، وإزالة الشبهات، ومقاومة المحرمات، فدان لدعوته من دان من الهداة والمؤيدين وثار عليه من ثار من الخصوم والمنائين، فأهدروا دمه ودم إخوانه الموحدين، وقد وجد من الإمام البطل محمد بن سعود في هذه المحنة سنداً متيناً، ومدافعاً أميناً ضد العوادي، حتى استقام له الأمر وضمن سلامة الدعوة الإسلامية بعد عشرين سنة من النضال المتواصل، وفي سنة تسع وسبعين ومائة وألف من الهجرة توفي الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه البار عبدالعزيز، رحمة الله عليهما، وعلى كافة المؤمنين الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأخلصوا الدعوة لله .

خلف والده في الحكم ، وفي مؤازرة الشيخ ومناصرته، وملاحقة المتمردين والمنشقين، حتى فتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز ما عدا الحرمين الشريفين، ودانت له نجد كلها، وبعد مضي سبع وعشرين سنة من ولايته توفي الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عن سن تناهز التسعين، وذلك سنة ألف ومائتين وست من الهجرة .

(٩) جميل صليبا: علم النفس - ١٥١ (ط - دمشق - ١٩٤٨).

ومن مؤلفاته رحمه الله ورضى عنه: كتاب التوحيد، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومجموع الحديث مرتبا على أبواب الفقه .

ومن مختصراته: مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ومختصر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوى الحنبلى، ومختصر الشرح الكبير لابن قدامه المقدسى .

وطبع من رسائله في مجلد (مجموعة التوحيد) الذى يحتوى أيضا على رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (طبع دار الفكر) أنواع التوحيد - مسائل الجاهلية - كشف الشبهات - هدية طيبة - أوثق عرى الإيمان - التوحيد الذى هو حق الله على العباد...

وفي مجموعة التوحيد أيضا رسالة لحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن - وموضوعها (بيان المحجة فى الرد على اللجة)، ولأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده الذين أوقفوا حياتهم على بث الدعوة ونشر العلم عدة تأليف مثل: تأسيس التقديس فى الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام فى الرد على الشيخ الإمام، للشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن، وتيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله، وكتاب «دورنا فى الكفاح» لمعالى الشيخ حسن آل الشيخ، وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا إذ تشكلت بإشرافها وتحت رعايتها أمانة عامة تنظم مؤقرا إسلاميا تحت عنوان «اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب» يكون فرصة للتعريف بوجهة هذا الداعية المصلح، وبحقيقة دعوته، وكشف الستار عما وراء الشائعات المغرضة التى لم يكن لها من هدف سوى الطعن على حركته الإصلاحية وعقيدته الدينية، وما أشاعوا حول دعوته فى بعض البلاد الإسلامية، قد يكون للخصومات السياسية والحروب التى دارت رحاها فى فترة من التاريخ بين النجديين، وبين أشرف مكة والأترك والمصريين أوفر نصيب فيها .

ومن هذه الشائعات مثلا أن النجديين ومن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يعظمون النبى صلى الله عليه وسلم ولا يحبونه، ولا يصلون عليه كثيرا، ويعتبرون

التوسل به إلى الله ضلالا، ويقولون لمن يتوسل به أنه صلى الله عليه وسلم ميت لا ينفع ولا يضر، والحي أفضل من الميت .

كيف وهو حي في قبره ومقامه لا يداني، وفضله على أمته لا يضاهاى، وطاعته من طاعة الله وجهه من حبه بل ومن كمال الإيمان، كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة، وقد كان الشيخ عبدالقادر التلمساني أشعريا درس في الأزهر العقائد السنوسية وجوهرة التوحيد وغيرها، وكان كثير الاعتراض على صديقه الشيخ أحمد بن عيسى، وعلى دعوة الإمام ابن عبدالوهاب التى أشيع عنها بأنها قاسية شديدة التزمت والغلو في التفكير، فكان الشيخ أحمد يجيبه بمثل قوله: سبحانك يا رب، هذا بهتان عظيم، كيف ونحن نعتقد أن من لا يصلى على النبی في التشهد الأخير صلاته باطلة، ونعتقد أن من لا يحبه كافر؟ وإنما نحن النجديين ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات، لا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين بأحد سواه، كما جرى على ذلك سلف الأمة، وكان من ثمرات هذه المناظرات التى دارت بينهما مدة طويلة اقتناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف أسلم وأحكم، إذ صار من دعائها وطبع على نفقته كتب كثيرة عنها، كان يوزعها مجانا، مثل: الصارء المكى فى الرد على السبكي لابن عبدالهادى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ونهاية الأمانى فى الرد على النبهانى للألوسى^(١٠).

وليس من شك فى أن التزام آداب المناظرة الهادفة، والجدل النزيه الذى يستقطب معرفة الحق أيا كان مصدره، لما يفتحان آفاقا جديدة فى البحث، ويعدلان الموقف المتطرف ويغيران الاتجاه فى المعتقد والسلوك، سيما إذا توفر مع الجدل والحوار حسن النية والتجرد عن الأفكار المسبقة والتعصب والأنانية.

والحق أن ما أقدم عليه سماحة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأصدقائه العلماء العاملون، من إقامة هذا المؤتمر وجمع الأمانة - التى شكلت لتنظيمه - كل ما كتبه الشيخ ودونه، وتحقيق نسبتها اليه وتوثيقها ونشرها فى طبعة خاصة، وإرسال نسخ منها إلى الهيئات والباحثين الذين قبلوا

(١٠) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: علماء الدعوة : ١٢ - ١٣ (ط المدي ١٩٦٦).

دعوة المؤتمر وأعربوا عن استعدادهم للإسهام فيه، عمل جليل الشأن بعيد الأثر فيه إثراء للمكتبة الإسلامية من جهة، وفيه إنارة الدارسين في البلدان الإسلامية الذين لم تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ وأثاره العلمية المعتمدة من جهة أخرى، وعندئذ يتسنى لهم التعرف على حقيقة دعوته، فيكتبوا عنها - إذا كتبوا - بمنهجية وموضوعية علمية^(١١) تفاديا لكل نقص في المعلومات أو خطأ في نقل النصوص، أو ضعف أو مغالطة في الاستنتاج منها.

وقد أنجزوا بالفعل هذه الأعمال الكبيرة التي تتطلب صبرا وإيمانا وعلما، وأتموا طبع ما يزيد عن عشرة مجلدات من كتب هذا العالم الداعية، ورسائله في العقيدة والآداب الإسلامية والحديث والفقه والسيرة النبوية، فجزاهم الله عن هذا الجهد وعما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقديما قيل: الناس أعداء لما جهلوا، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ... لأن من الناس من يصدر عن أحكاما مرتجلة بتأثير ما تملئ عليهم أهواؤهم وميولهم الشخصية أو بما أصبح له رواج بين الناس في تحسين شيء أو تقييحه، ومدحه أو ذمه، وليس لهم فيما يصدر من آراء وأحكام ومدح وذم سند من نقل صحيح، ولا حجة من عقل حصيف.

وكيف يكتب لعقيدة زائفة أو زائفة أن تستقر في القلب، وليس لها مدد من قوة إلهية ولا سند من هدى رباني؟ فهل يقام بناء على غير أساس؟

وإذا كانت المنهجية في البحث العلمي تعتمد على مصادر صحيحة موثوق بنسبتها إلى أصحابها بعيدا عن كل تزيف أو ادعاء أو تشويه، فإن ما قدمته أمانة هذا المؤتمر للباحثين ينم عن روح علمية أصيلة، وعن جدية وإخلاص للحقيقة والتاريخ.

حدثني صديق لي: أن مجلسا جمع بينه وبين بعض العائدين من الحرمين الشريفين بعد أداء فريضة الحج، أثرت فيه عدة قضايا دينية، وانطباعات طيبة وثناء عاطر على أهل المدينة المنورة، وما يتسمون به من لطف وفضل - وكان مما استدرك به أحد الشيوخ الحاضرين - ولكنهم - للأسف الشديد - وهابيون، فقال صديقي مصححا: بل إنهم

(١١) لجنة التحقيق لمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ق ٣/١٠ و٤ (ط. مطابع الرياض).

حنابلة سلفيون، والنسبة هنا ليس لها من مبرر، ولا معنى لتسمية الدعوة التي قام بها محمد بن عبد الوهاب بالوهابية، لأنها ليست مذهباً في العقيدة كالأشعرية ولا في الفقه كالمالكية، بل هو تابع لغيره فيها، وإن شئت فقل: هو سلفى العقيدة حنبلى المذهب، وما قام به من دعوة إلى التوحيد لا يعدو أن يكون إحياء لمذهب السلف، وإن شئت قلت: هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال أحد الحاضرين الحق أن كثيراً من الحجيج يجهلون مناسك الحج وأدابه، ويفعلون ما قد يجر إلى الشرك الخفى، ومنشأ هذا الخلط والخطب أنهم أميون، وليست لهم ثقافة دينية، ولم يتلقوا قبل سفرهم أداء فريضة الحج من المسؤولين عن الإرشاد الدينى والتوجيه والوعظ في بلدانهم أى توجيه، ولا معلومات، وقد سمعت أحد الحجيج فى المواجزة النبوية الشريفة يدعو الرسول بما لا يدعى به سوى الله كقول بعضهم: «بك لذنا يا رسول الله من كل ما نخشى فعجل بالفرج».

فهل يكون اللياذ بغير الله، وهل يكون طلب التعجيل بالفرج من سواه ؟

دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته

وكلمة التوحيد أو كلمة التقوى «لا إله إلا الله» تضمنت نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها لله الواحد الأحد، واللياذ من أنواع العبادة، إذ هى دعاء والدعاء مخ العبادة كما صح فى الحديث، فإن غاية ما يقع من اللائذ والمستغيث والمستعين، إنما هو الدعاء بالقلب واللسان، وقد وعد الله من قصر الدعاء عليه بالإجابة والإنابة، وذلك هو توحيد الأنوثة الذى أمر الله به فى كثير من الآيات كقوله تعالى:

«وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۗ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۗ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۗ»

(الجن ١٩-٢٢).

كما نهى الله عن الاستعاذة بغيره :

«وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»

(الجن - ٦)

هذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يبلغه، ولكن الجهل بما بعث الله به رسوله قد عم هذه الأمة إلا ما شاء الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: أ جعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده» (١٢)

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله).

واستنادا إلى ذلك ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قسم العقيدة أن من الشرك أن يستغيث أحد بغير الله أو يدعو غيره (١٣).

ولما سئل حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن أبيات من البردة للبوصيري قال فيها غلو، مثل قوله:

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العم

قال: إن ذلك من الشرك، لأن فيه صرف خصائص الربوبية لغير الله، ولقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه.

وقال في رده على من اعترض عليه ميرنا الشاعر من الشرك بقوله: حمه الله من ذلك، ويكفيه في نفي هذه الشائعة قوله في أول القصيدة:

(١٢) بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - مجموعة التوحيد: الرسالة ١٣ - ٤٣٩.

(١٣) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - ق/٤٢/١.

« دع ما ادعته النصارى في نبيهم »

قال: (إن هذا يزيد شناعة ومقتا لأنه تناقض بين، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول) ثم قال: وهذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلها حق الله على عباده، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه:

«... وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُعْتَدِينَ»
(الأنعام ١١٩) (١٤).

وقال تعالى:

«لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ»
(الرعد : ١٤)

وقول البوصيري:

إذا لم تكن في معادى أخذاً بيدي :: فضلا وإلا فقل، يازلة القدم

وهو مناف لقوله تعالى:

«وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» (الانفطار: ١٧-١٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة كما روته الصحاح: « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا» فتأمل ما بين هذا وبين قول

(١٤) الرسالة ١٣ من مجموعة التوحيد: بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٤٣٨.

الناظم من التضاد والتباين، وأما قوله: «فان من جودك الدنيا وضررتها...» فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ...

وفي الحديث الصحيح: لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال (ولا أنا، إلا أن يتخمدني الله برحمته).

وقوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم» لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى:

« قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... »

(الأنعام: ٥٠)

إن إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلى الله وحده، لا يضاف إلى غيره من خلقه، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله، فما أجزأ هذا القائل على الله في سلب حقه، وما أعداه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين الموحدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره، أو شر منه، أو دونه فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عياناً، والله المستعان.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (وقد رأينا ذلك والله عياناً من هؤلاء الجهلة الذين

ابتلينا بهم في هذه الأزمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنة، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا^(١٥).

والحق أن جينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفانا بما له من فضل علينا، وإعجابنا بأخلاقه وكمالاته، وتقديرنا لمنزلته الرفيعة عند الله، ومدحنا إياه مدح المحبين المخلصين، كل ذلك لا يمنعنا من اعتبار ما بين الخالق والمخلوق من حدود لا يمكن أن تحول أو تزول:

« أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » (النحل : ١٧)

فليس لأحد أن يبغي على هذه الحدود فيتجاوزها، ويتوجه إلى مخلوق بما لا يجوز أن يتوجه به لغير الخالق، إذ في ذلك تنقص للألوهية وهضم للربوبية، ومساواة بالله رب العالمين .

ففي حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء، وأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قالت لها أمها: قومي إلى رسول الله فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحده ولا إياكما، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي، وفي رواية: «بحمد الله لا بحمدك»

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم قال: سمعت جبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك، إنى لأستعظم قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم: بحمد الله لا بحمدك، فقال عبدالله: ولت الحمد أهله .

وكان صلى الله عليه وسلم مثال التواضع لله .

قال له وفد بنى عامر: أنت سيدنا، فقال: السيد هو الله تبارك وتعالى، وقال له جماعة: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل، (رواه النسائي بسند جيد)

(١٥) المصدر السابق : مجموعة التوحيد: ٤٤٩ - ٤٥٣.

وقد عد الإمام محمد بن عبد الوهاب أن هذا الحديث ونحوه مما حمى الرسول به حمى التوحيد، وسد به طرق الشرك^(١٦).

وقال في كلمة التقوى والتوحيد: هي الفارقة بين الكفر والإسلام ... وليس المراد قولها باللسان مع الجهل لمعناها، فإن المنافقين يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قال لا إله إلا الله مخلصا » وفي رواية (خالصا في قلبه)، وفي رواية (صادقا في قلبه) وفي حديث آخر، من قال (لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .. إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي أثبتتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة، واعلم أن الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية .

والإله معناه: الولي الذي فيه السر، كما يطلقه عوام نجد في زمانه (ومثلهم في العالم الإسلامي كثير) على من يعتقدون فيه من الأشخاص، ويقصدون به أن ذلك الشخص المعتقد فيه قادر على النفع والضرر، وأنه يصلح لأن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فصاروا يقصدون به ما يقصد بلفظ (الإله) .. ظنا منهم أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ..

والكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١٦) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب «الباب ٦٥» ١٤٦.

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ
الْأُمُورَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ...» (يونس: ٣١).

لكن الذى كفرهم أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو ألا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره^(١٧)

ثم يورد الشيخ ما ينتحله هؤلاء من المبررات والأعدار الواهية فيجيب: (فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدير، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، فقل: كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيراً، والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما حكى عنهم القرآن:

«... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...» (الزمر: ٣)

«وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ...» (يونس: ١٨).

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز آية تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» (الإسراء: ٦٧)

(١٧) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب: القسم الأول : ٣٦٣ - ٣٦٦.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر، تركوا السادة والمشائخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف.. وعبدالقادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١٨)

والحقيقة التي لا مراء فيها أن مثل هذا الصنيع عبث ولغو، فليس بين الله وبين عباده وسطاء ولا سماسرة.

وحين سرت هذه اللوثة بين المسلمين في جميع أنحاء الأرض أفسدت عقيدتهم وكادت تفسد عليهم حياتهم ومصيرهم، حتى نسوا الله نفسه، وذكروا ما دونه من طواغيت، ومن أنبياء أو من أولياء:

« وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »
(الزمر: ٤٥)

ومن هنا ظفر هؤلاء الشركاء بنصيب الأسد في كل شيء، في العبادة والإخلاص والسؤال والندر، والحب والحماسة، ولم يبق لله فاطر السماوات والأرض شيء يذكر من ذلك.

وفي الحديث القدسي: (إنني والإنس والجن في نبي أعجب، أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري).

وحسب الدنيا ضلالا أن تعمى عن إشراق التوحيد في أنحاء الوجود. (١٩) فدعوة

(١٨) المصدر السابق ٣٦٩.

(١٩) محمد الغزالي: عقيدة المسلم ٥٠ (ط. مصر: ١٩٥٢)

الإمام إلى التوحيد الخالص تتجاوز حدود نجد إلى العالم الإسلامي كله وفيه بدون تعيين ولا استثناء من يدعون من دون الله عبادا أمثالهم، وينذرون لهم النذر، ويتقربون إليهم بالقرايين ويجعلونهم لله أندادا.

قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه :
«من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار».

وقد كان الاستعمار الفرنسى بتونس يشجع ماديا وأديبا على إقامة ما يسمى عندنا (بالزردة)؛ وهى ذبح الأنعام فى موسم معين، ينصب الناس فيه الخيام حول ضريح الولى المقصود أيا ما وليالى، استجابة للدعاء، والتماسا للبركة، ويحتفلون مع المشعوذين على أنغام المزامير ودق الطبول ونقر الدفوف، كما كان يشجع الطريقة المنحرفة عن طريق الهدى.

ولا شك أن هذه المسالك الشائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه، واضطراب المقصد، وكما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالي: فإن التوحيد فى الإسلام حقيقة وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية .

ولسنا ممن يجب تصيد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافا، واستباحة حقوقهم ظلما وعدوانا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد أدنى انحراف .

لقد اهتمت حكومة انجلترا فى سبيل مكافحة الشيوعية بالحالة الدينية فى مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح احمد البدوى بطنطا هذا العام، ويقول الشيخ الغزالي معقبا على ذلك:

(والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى، فطالما أوفدت لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط، لا ما يستدعى الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف من فضائل الإسلام وأنظمتهم وأدابه شيئا، ولو دعوا لواجب دينى صحيح لفروا

نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار، وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور، للوفاء بالنذور، والابتهاال بالدعاء، ولمن النذر؟ ولمن الدعاء؟ إنه أول الامر للسيد، فإذا جادلت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوي، وأكثر أولئك المغفلين لغطا يقول لك: نحن نعرف الله جيدا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أظهر منا نفسا وأعلى درجة، وهذا الكلام على فرض مطابقتها لواقع القوم، غلط في الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجى معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا^(٢٠)

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ...»

(الشورى : ٢٨)

ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخطبه في التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، وبما يقوى الإيمان ويصلح العقيدة ويدحض الشبهات، لاستناده في الاستدلال إلى الكتاب والسنة، وكفى بها حجة على الضالين والمفتريين، وعمله بما يدعو إليه، وكفى بذلك أسوة للمقتدين .

وهو كثيرا ما يفترض سؤالا يجيب عليه، ليلقن الدعاء ما يجب أن يتسلحوا به من أدلة النقل والعقل في دعوتهم إلى التوحيد، كقوله في الرسالة السابعة «الأصل الجامع لعبادة الله وحده»:

«فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى؟ قلت: من أنواعها: الدعاء والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرغبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، الذي هو من خصائص الإلهية ودليل الدعاء: قوله تعالى:

(٢٠) محمد الغزالي: عقيدة المسلم: ٥٥

«وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»

(الجن : ١٨)

ودليل الاستغاثة : قوله تعالى:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...»

(الأنفال: ٩) (٢١)

وفي بيانه للشرك وتعريفه ذكر له ثلاثة أنواع:

١ - شرك أكبر وهو: شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.

فمن شرك العبادة: قوله تعالى:

« وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »

(المائدة : ٧٢).

ومن شرك النية والقصد: قوله تعالى:

« مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ ﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

(هود : ١٥-١٦).

ومن شرك الطاعة قوله تعالى:

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ »

(التوبة : ٣١)

(٢١) مؤلفات الشيخ الامام ... ق: ١/٣٧٩ - ٢٨٠

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا عبادتهم إياهم، كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدكم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية. (رواه الترمذى).

ومن شرك المحبة قوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...»^ط

(البقرة: ١٦٥)

٢ - شرك أصغر وهو: الرياء، لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم «اليسير من الرياء شرك».

٣ - شرك خفى، قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»

لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم).

وعد من الشرك الخفى: الحلف بغير الله، لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك».

وكذلك قول بعضهم في القسم: والله وحياتك يا فلان، وقولهم في الاعتراف بالفضل لولا الله وفلان، ولكن يجوز أن يقال: لولا الله ثم فلان^(٢٢) عملاً بقوله جل وعلا:

«...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

(البقرة: ٢٢)

واعتبر أن الإيمان بالله يتوقف على الكفر بالطاغوت، لقوله تعالى:

(٢٢) المصدر السابق: ١٠٩

«... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا
أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

(البقرة: ٢٥٦)

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو
مطاع في غير طاعة الله ورسوله .
والطاغيت كثيرة، ومن رؤوسهم:

١ - الشيطان: لقوله تعالى:

« أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰٓبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
رُوٓءِيَءٌ
عدوٌّ مبینٌ »

(يس : ٦٠)

٢ - الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، لقوله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُخَاجِكُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا »

(النساء : ٦٠)

٣ - الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، لقوله تعالى:

« وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ۗ فَذَلِكُمْ نُجِزِيهِ جَهَنَّمَ ^ع _(٢٣) »

الأنبياء - ٢٩ .

(٢٣) مؤلفات الشيخ الامام .. ق ٣٧٩/١

يقول الشيخ رحمه الله في رسالته الثانية عشرة:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وقد أسهب القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في تنقص الصالحين والتقصير من حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم» (٢٤).

وما يزال هذا الخلل الخطير في دعامة التوحيد يعصف بالعقيدة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ولتخبط الكثيرين في لجج الوثنية، أو ما يشبهها في المعنى والحقيقة، لأن عقولهم لم تتحرر من الأوهام الفاسدة التي لا تنفك عن العقيدة الباطلة، ونفوسهم لم تنتزه عن الملكات السيئة التي تلازم تلك الأوهام، وقلوبهم لم تتخلص من تعدد المعبودين أشخاصا كانوا أم غير أشخاص كاهوى والمال:

«أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...» (الجماعية: ٢٣)

وكما قال الشيخ محمدم عبده فإن التوحيد الخالص: ألا يخضع الإنسان لأحد إلا الخالق السماوات والأرض، وقاهر الناس أجمعين.

وبهذه العقيدة تجلب للإنسان نفس حرة كريمة، وأطلقت إرادته من القيود التي كانت تعقدها بإرادة غيره، سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلهية كإرادة الرؤساء والسيطرين، أو إرادة موهومة اخترعها الخيال، كما يظن في القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها، وافتكت عزيمته من أسر الوسطاء والشفعاء.. والمتكهننة والعرفاء، وزعماء السيطرة على الأسرار، ومنتحلي حق الولاية على أعمال العبد، فيما بينه وبين الله، الزاعمين أنهم واسطة النجاة، وبأيديهم الإشقاء.. والإسعاد، وبالجملة فقد أعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين، فصار الإنسان بالتوحيد عبدا لله خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه. (٢٥).

(٢٤) المصدر السابق: ق : ٣٩٣/١.

(٢٥) محمد عبده: رسالة التوحيد: ١٣٨ (ط - دار المعارف - مصر).

ويعجبني في هذا الصدد ما قاله القشيري في تفسيره للآيات المتضمنة قصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام، بذبح ولده "فلما بلغ معه السعي" (إشارة الى وقت توطين القلب على الولد.... ويقال في القصة: إنه رآه ذات يوم راكبا على فرس أشهب، فاستحسنه ونظر إليه بقلبه، فأمر بذبحه، فلما أخرجه عن قلبه واستسلم لذبحه ظهر الفداء وقيل له: كان المقصود من هذا فراغ قلبه عنه) (٢٦).

وقد أفاض الشيخ محمد بن عبد الوهاب القول في إخلاص العمل لله، وتفرغ القلب من كل ما يشغل عنه أو يوجه إلى غيره، وهي دقائق لا يحسها إلا من مارس الإيمان وعاش تجاربه الروحية، فهو يقول: (الفقر للمخلوق وصف لازم لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، فهو محتاج إلى الله من جهة ربوبيته، فلا نستعين بغيره، ومن جهة الألوهية، فلا يعبد غيره، كما قال تعالى:

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٥)

فإن لم يعبد خسر الدنيا والآخرة، وإن لم يعنه على عبادته لم يقدر على عبادته ...

وإذا كان الخلق كلهم فقراء إلى الله والله يرحمهم بما شاء من الأسباب، فالله الذي أمرنا بالصلاة والسلام على نبيه هو الذي يثينا على ذلك... فعلى العبد أن يلاحظ التوحيد والإنعام.. ولكن هؤلاء جعلوا الهدية له بمنزلة الهدية إلى الله وكانهم يتقربون إليه كما يتقربون إلى الله، فجعلوا المخلوق كأنه الرب الغنى عنهم، المجازي لهم، وجعلوا الرب محتاجا إلى عبادتهم وهو لم يبرئ من الشرك والابتداع والغلو، هؤلاء الذين يهدون العبادات إلى الأنبياء لطلب الأجر منهم.

أما إشراكهم فقد ضاهوا المخلوق بالخالق .

وأما الابتداع: فهذا العمل لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٦) القشيري: لطائف الاشارات: ج: ٥/ ٢٣٨ ط. مصر ١٩٧٠.

والغلو: حيث جعلوا في البشر شوباً من الربوبية والإلهية، ثم هم في تقربهم إلى غير الله بالأعمال يشبهون المتوكلين على غير الله المستغيثين بغيره. (٢٧)

(والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه، فلا تزال تلتفت إلى غير الله إما خوفاً وإما رجاء، فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخلص توحيده من شوائب الشرك) (٢٨).

ويظهر مدى تأثر ابن عبد الوهاب بابن تيمية من خلال آرائه وحججه، ومن خلال المسائل التي لخصها له، والتي طبعت في كتاب (ملحق المصنفات)، وقد بلغت مائة وخمسة وثلاثين مسألة.

أما دعوته التي ضمنها دراساته وفتاويه وخطبه ورسائله في فترة ضعف فيها كيان الدولة الإسلامية وتوقف المد الإسلامي، كما قال معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتاب ملحق المصنفات: «فإنها لم تكن دعوة إلى أمر غريب، بل هي دعوة إلى العودة لدين الله والاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله والوقوف عندهما، وتحرير العقائد مما خالطها من شوائب، والعقول مما تفتش فيها من عادات وخرافات... فوجدت مناخاً صالحاً، وقوة تتبناها، وتدفع بها وتحميها ...

وميزة الإسلام أنه يجتمع في دعوته الفكر والعمل، والمنهج والتطبيق، والتشريع والحكم، ولا بد أن يؤمن به الناس، ويلتزموه ويدافعوا به، ويدافعوا عنه... (٢٩)

وما أشد حاجة المسلمين اليوم - حيثما كانوا - إلى دعاة واعين مصلحين عاملين. فجعل السواد الأعظم منهم بحقيقة دينهم، وطغيان الطواغيت في الأرض، وتأثير الأيدلوجيات الاقتصادية والاجتماعية على العقول، والدعايات الإعلامية لمختلف المذاهب الفكرية التي لا تمت إلى الدين بصلة، وتجروا الناس على الاجتهاد في الدين، وتحكيمهم العقل في الوحى، وانحرفهم عن عبادة الله الحق، وسيطرة المادة عليهم، كل

(٢٧) مؤلفات الشيخ الامام : ملحق المصنفات : ١١٠ - ١١١.

(٢٨) المصدر السابق : ١١٤.

(٢٩) المصدر السابق : تقديم: عبدالله بن عبدالمحسن التركي : ٢.

ذلك نتجت عنه جاهلية حديثة، أو جاهلية القرن العشرين كما سماها الأستاذ الداعية محمد قطب، وكما كشف عن ملامحها، وأوضح ما تولد عنها من فساد في التصور، والعقيدة والسلوك، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، والفن... (٣٠)

وجل رجال الفكر الإسلامى لم يولوا الدعوة إلى الله من عنايتهم وجهدهم ما أولوه للبحث في قضايا العقيدة، حتى كادوا يحولون الإيمان من بساطته إلى قضايا فلسفية وأقيسة منطقية ومناقشات كلامية، فعدلوا به عن نهج الفطرة، ولم يستطيعوا أن يحولوه من فكر إلى عمل ومن نظر إلى تطبيق، أما سواد العامة، فلم يتحرروا من ربكة الأسباب القريبة الخاضعة لعوامل التغير والفناء وتقلبات الظهور والاختفاء، بل ركنوا إلى الحرافات وإلى تلك الظلال المتقلصة، وأهتتهم الأسباب الظاهرة عن التوجه إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فكان مثلهم في ذلك كمثل الذى يرى تفرق منابع الأنهار في الأرض، ولا يذكر أن مردتها جميعا إلى أصل واحد، وهو الماء الذى أنزله الله من السماء، فسلكه ينابيع (٣١)

وفي أفريقيا السمراء ما تزال بعض التأثيرات الوثنية القديمة تطفئ على العقيدة الإسلامية، وتقوم بعض تصرفات القبائل هناك على رمز «الطوطم» وعلى مخلفات القرون البائدة، مثل قبائل البامبرا في مالى، وقبائل اليوروبا في نيجيريا.

يقول (رو) الكاتب الفرنسى فى كتابه: «الإسلام فى الغرب»:

«إن هناك وثنيين يذهبون إلى المسجد مع المسلمين، وقد جرت العادة عندهم أن يخفوا وثنيتهم ليظهروا بمظهر الرقى والتقدم، لأن المجتمع الوثنى أصبح يعتقد أن الإسلام صنو التقدم. (٣٢)

ولئن جاء الأوروبيون إلى أفريقيا السمراء بنوع من الحضارة، فإن الإقبال عليها من

(٣٠) محمد قطب: جاهلية القرن العشرين: ٤٧ - ٤٨ (ط دار الشروق: ١٩٧٨)

(٣١) محمد عبدالله دراز: الدين: ١٣٢ (ط الكويت: ١٩٧٤).

(٣٢) j.p roux ; I , Islam en occident : 29(PARIS1959)

الأفارقة في السنوات الأخيرة تضائل بصورة لاحظها المسيحيون أنفسهم، لأنها كانت مقترنة بتجارة الرقيق والتمييز العنصري، والاستبداد والاستغلال والمخدرات والخمور والفساد الخلقى، وبالتالي فإنها لم تحمل معها المساواة ولا التسامح المسيحي المزعوم.

وفي أفريقيا اليوم اتجه جديد نحو الإسلام، فقد أصبح الوثنيون عباد التعاويذ ينظرون إلى الوثنية صورة من صور التخلف الأفريقي، ولكن بعض الطوائف المسيحية والكنيسة تعمل على تغذية الروح الوثنية ومسايرتها، إذ هي عندها أفضل من الإسلام، ولكن بدون جدوى، فإن كسب الإسلام لأقوام جديدة في مناطق تشاد ونيجيريا ومالي يعتبر نصراً مستمراً للإسلام ولحضارته وقيمه.

إن هذه الأوضاع الجديدة في أفريقيا السمراء وما عليه كثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من تمزق وانحراف وبدع وبعد عن عقيدة التوحيد، .. واقتراب من الوثنية والشرك، كل هذا ونحوه، ليفرض علينا مسؤوليات دينية مضاعفة في مجال الدعوة لإزاحة ما ران على القلوب من غشاوة البدع والمنكرات، حتى لا تبقى نظرتها قاصرة عن النفاذ في بواطن الأمور وعن الامتداد إلى منابها.

فلا بد أن نعرفهم بما يجهلون، ونذكرهم بما ينسون، ونبيهم إلى ما هم عنه يغفلون.

ولا بد للجامعات الإسلامية أن تولى شعبة الدعوة والإرشاد في كلياتها ومعاهدها العليا ما تستحق من عناية واهتمام، لإعداد دعاة علماء عاملين يضطلعون بأعباء الدعوة الإسلامية، ويحسنون التبليغ بدفع وتشجيع من المؤسسات والمنظمات، كجامعة الإمام محمد بن سعود، ورابطة العالم الإسلامي، والمنظمة العالمية للشباب الإسلامي.

حيا الله العاملين لخير الإسلام والمسلمين، وأجزل لهم المثوبة.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإمام محمد بن عبد الوهاب
في مدينة الموصل

للواء الركن

محمد شيب فطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

ذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري الموصل^(١) في كتابه: (غرائب الأثر)^(٢)، في حوادث سنة ثمان ومنتين وألف الهجرية، أن الإمام «محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلامة مولانا ملاحمد الجميلي^(٣) وأخذ عنه الكثير^(٤)».

وقد ذكر هذا المؤرخ هذا الخبر في معرض الحديث عن وفاة الإمام دون أن يذكر سنة قدومه الموصل ولا مدة مكوثه فيها طالبا للعلم.

ومن المعروف أن الإمام توفي سنة ست ومنتين وألف الهجرية لا سنة ثمان ومنتين وألف الهجرية، كما أورد المؤرخ العمري في كتابه: (غرائب الأثر)، وقد يكون سبب هذا الخطأ هو تأخر وصول نعي الإمام الى المؤرخ في الموصل، لصعوبة المواصلات البريدية في حينه، ولأن الأخبار تنقل بوسائط بدائية بالأشخاص المتنقلين سيرا على الأقدام أو على الدواب، كما أن البريد لم يكن منتظما يؤمن انتقاله بسرعة ولا كان منتظما بين (نجد) حيث توفي الامام (الموصل) حيث يقيم المؤلف العمري.

* * * *

- (١) ياسين العمري: انظر سيرته في: منهل الأولياء (٣٠٨/١)، ومنية الأدياء (٢٨/١١). وزبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية (٢٨-١٦).
- (٢) غرائب الأثر في حوادث ربيع القرن الثالث عشر - نشر الدكتور صديق - الموصل ١٣٥٩هـ.
- (٣) انظر سيرته في شامة العنبر (٣٣٥-٣٣٨) ومنهل الأولياء (٢٧١/١) والسيف المهند (مخطوط) والدر المكنون (مخطوط). (٤) غرائب الأثر ٣٤.

والمؤرخ العمري كان معاصرا للإمام، فقد ولد في الموصل سنة سبع وخمسين ومئة وألف الهجرة^(٥) (١٧٤٤م)، وتوفي بعد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين وألف الهجرة^(٦) (١٨١٦م)، والإمام محمد بن عبد الوهاب ولد سنة خمس عشرة ومئة وألف الهجرة (١٧٠٣م)، وتوفي سنة ست ومئتين وألف الهجرة (١٧٩٢م)^(٧)، فهو شاهد عيان، لأخباره قيمة خاصة، وكان دقيقا في تسجيل الأحداث الدائرة في مدينة الموصل^(٨)، معنيا بذلك أشد العناية، ومعروفا بالصدق والاستقامة في تأريخه للحوادث، وليست له مصلحة مادية ولا معنوية تحمله على إقحام رحلة الإمام الى الموصل، ودراسته على أحد شيوخها، فالمؤرخ العمري متصوف^(٩) شديد التمسك بالصوفية والدفاع عنهم، يصف نفسه بأنه: «حسن الاعتقاد بالأولياء الكرام، و المشايخ العظام»^(١٠) بينما الإمام سلفى ملتزم أشد الالتزام بالسلفية والدفاع عنها، لا يرضى العمري عن مسلك الإمام السلفي^(١١)، لأنه يناقض مذهبه ومشربه.

كما أن المؤرخ العمري كان معاصرا للشيخ حمد الجميلي الذي توفي سنة سبعين ومئة وألف الهجرة^(١٢) (١٧٥٦م)، وترجم له في كتابه المخطوط: (السيف المهند في من اسمه أحمد)، مما يدل على أنه كان وثيق الصلة بالشيخ الجميلي، يعرف طلابه وشيوخه وأقرانه من علماء الدين، كما ترجم للشيخ الجميلي أيضا المؤرخ الموصلى محمد أمين بن خيرالله

(٥) منهل الأولياء (١/٣١٠).

(٦) زبدة الآثار الجلية ٢٢.

(٧) الأعلام (١٣٧/٧) وترجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامى ٤٩٣.

(٨) زبدة الآثار الجلية ٢٠.

(٩) غاية المرام ٣٧٣.

(١٠) غرائب الأثر ٢٥.

(١١) غرائب الأثر ٣٥.

(١٢) منهل الأولياء (١/٢٧١).

الخطيب العمري، أخو المؤرخ ياسين العمري في كتابه: (منهل الأولياء) (١٣)، وقرأ عليه (١٤)، مما يدل على أن الشيخ الجميل وثيق الصلة بالأسرة العمريّة.

والذين خبروا الحياة الاجتماعية في (الموصل)، يعلمون أن الصلة في الأسرة العلمية طلابا وشيوخا، هي أقوى وأمتن من الصلة في الأسرة العائلية: فقراءة العلم في الموصل الحدياء أعمق جذورا من قرابة النسب، والطالب بالنسبة لشيخه ولد متعلم، والشيخ بالنسبة لتلميذه والد ومعلم.

وأهل الموصل مهما تعلو منزلة أحدهم جاها وثراء ومكانة وسلطانا، يتواضع لأصحاب العمام من علماء الدين أشد التواضع، ويحترمهم ويوقرهم ويحذب عليهم وهم يقدمونهم ويسرون وراءهم ولا يتقدمون عليهم، ويتنازلون لهم عن صدور مجالسهم تطوعا، وينصتون لأقوالهم وينفذون لهم رغباتهم، وقلما تجد موصليا أصيلا يجهل تفاصيل أخبار رجال الدين ونشاطهم العلمي وجهودهم في الدعوة إلى الله.

لا عجب في أن يتناقل الطلاب أخبار شيوخهم شفاها وتسجيلا، ويتناقل الشيوخ أخبار طلابهم حديثا وتدوينا، ويدون المؤرخ تلك الأخبار بأمانة وصدق.

* * *

- ٣ -

ولا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها في تكوينه العلمي واتجاهه الفكري، إغفال المصادر والمراجع التي ترجمت له وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب: (غرائب الأثر) متأخرا في سنة (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) لمؤرخ غير متهم في صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدور معظم تلك المصادر والمراجع، وقد كان هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجه للناس، والواقع أن كتاب: (غرائب

(١٣) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء (١/٢٧٢-٢٧٢).

(١٤) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

الأثر) مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين، فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب.

وقد اقتصرت تلك المصادر والمراجع على ذكر رحلة الإمام إلى مدينة (البصرة) العراقية، ولم تتطرق إلى رحلاته العلمية الأخرى^(١٥)، ولكن قسما منها ذكر رحلاته إلى أمصار إسلامية أخرى خارج (نجد) ، ومن تلك المراجع كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي صنعه حسين خلف الشيخ خزعل، فقد جاء فيه «ان رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب امتدت إلى بغداد وكرديستان وإيران وبلاد الترك والشام وبيت المقدس»^(١٦).

وهذا المؤلف وغيره يقصد بتعبير: (كرديستان)، هو ما نطلق عليه اليوم (شمالى العراق) ، وكان تعبير: (كرديستان) يطلق على منطقة شمالى العراق قبل الحرب العالمية الأولى، فأصبح بعد تكوين العراق الحديث بحدوده الجغرافية يسمى بشمالى العراق.

ويبدو أن مؤلف كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) نقل المعلومات التى أوردها فى كتابه مما دونه (مرجيلوث) فى دائرة المعارف الإسلامية^(١٧)، فهو الذى ذكر أن الإمام رحل إلى (كرديستان) مع أن الناقل ألف كتابه وأخرجه للناس سنة ١٩٦٨ م !

وبالإمكان استنباط زمان ومكان قضاء الإمام رحلته العلمية إلى شمالى العراق بالمقارنة بين ما جاء فى المصادر والمراجع التى تحدثت عن رحلته إلى (كرديستان) دون أن

(١٥) انظر سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد «٢٠» والاعلام للزركلى (١٤٧/٧)، ومحمد بن عبد الوهاب لمسعود الندوى.

(١٦) انظر التفاصيل فى كتاب: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٥-٦٨)، ومرجيلوث فى دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩)، وبرجس «٧»، وبالغريف (٣٦٣/٤)، وهيويس (٦٥٩)، وزويمير (١٩٢) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينها. انظر الهامش: ٤ من كتاب محمد بن عبد الوهاب.. لمسعود الندوى (٤٠/٤٦).

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩) وهناك فى إيران منطقة كرديستان وفى تركيا أيضا.

تذكر البلد الذي استقر فيه، وما جاء في المصدر الجديد: (غرائب الأثر) ، ولعل في هذا الاستنباط ما يضيف جديدا على سيرة الإمام .

كانت رحلة الإمام الى العراق سنة (١١٣٦هـ - ١٧٢٤م) ، فمكث في بغداد ثلاث سنوات، أى أنه كان في بغداد حتى سنة (١١٣٩هـ / ١٧٢٧م)، ثم رحل الى شمالي العراق، فجاهاها بلدا بلدا، وقضى في هذه الجولة سنة واحدة^(١٨)، فقد غادر (نجدا) سنة ١١٣٦هـ.

وفي شمالي العراق مراكز علمية مهمة وبخاصة في كركوك والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك وزاخو، ولكن أهم تلك المراكز دون شك ليس على نطاق شمالي العراق بل على نطاق العراق كله والبلاد العربية هو مركز الموصل العلمي، فالموصل هي حاضرة شمالي العراق وأكبر مدنه، وأكبر المدن العراقية بعد بغداد، وكانت تستقطب أبرز شيوخ شمالي العراق بخاصة وقسما من علماء البلاد الإسلامية بعامه، وكان يؤمها الطلاب والشيوخ لارتشاف العلم من مناهلها الثرة.

«لأن فيها أربعا وأربعين مدرسة علمية^(١٩)» في أيام زيارة الإمام لها، عامرة بعلماء الدين الأعلام، غاصة بطلاب العلم الموصلين وغيرهم.

ومن المعلوم أن رحلة الإمام العلمية الى ربوع شمالي العراق ، لم تكن للاصطياف أو الاطلاع على المعالم السياحية، بل كانت جهادا في سبيل العلم وحده، فليس من المستغرب أنه جاب المراكز العلمية في شمالي العراق ، ولكنه قضى معظم عامه الدراسي في المركز العلمي الرئيسي: الموصل، وهو عام ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م)

وهذا يعنى أن الإمام دخل الموصل طالبا وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاما، لأنه ولد سنة (١١١٥هـ - ١٧٠٣م)، وهو العمر الذي يكون فيه الطالب في أوج نشاطه الذهني لتلقى العلم والإقبال عليه والتأثر به وبالمحيط من الطلاب والشيوخ والأحداث.

(١٨) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٥-٦٦) وانظر كتاب: الموصل في العهد العثماني (٤١٤- وما بعدها).

(١٩) انظر التفاصيل في: مدارس الموصل في العهد العثماني - سعيد الديوه جي بغداد ١٩٦٤م.

ولعل من أسباب إيثار الإمام للموصل على غيرها من المراكز العلمية في شمالي العراق، هو أن الموصل عربية بسكانها وتقاليدها ولغتها، وكانت عربية أصيلة قبل الفتح الإسلامي وأيام الفتح الإسلامي سنة ست عشرة الهجرية^(٢٠)، وبعد الفتح حتى اليوم، هذا بالإضافة الى أنها أكبر مركز علمي في شمال العراق.

أما سائر المراكز العلمية الأخرى في شمالي العراق، فهي ليست عربية بسكانها ولغتها: كركوك تركية، والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك.. وزاخو كردية، ولكن العربية هي لغة العلم في المراكز العلمية كافة، لأن العربية هي لغة الكتاب العزيز.

ولكن، هل زار الإمام جميع المراكز العلمية في شمالي العراق، وكم قضى من وقت في كل مركز علمي زاره ؟

ذلك ما يصعب الإجابة عليه، ما دمنا ملتزمين بالنصوص التاريخية التي تحدثت عن رحلة الإمام العلمية في شمالي العراق، ولكنه يمكن الاستنتاج أنه قضى معظم عامه الدراسي هذا في الموصل الحدياء.

* * * *

- ٤ -

وكل طالب علم يتأثر بأستاذه الذي يعلمه، والطلبة الذين يتلقون العلم معه، والمحيط الذي يعيش فيه، والأحداث التي تكتنفه.

وقد كان الشيخ حمد الجميلي الأستاذ الذي اختاره الإمام من شيوخ الموصل يقرأ عليه، فمن المفيد أن نتذكر شيئاً من سمات الشيخ الجميلي الشخصية والعلمية، لنعرف مبلغ تأثيره في تلميذه محمد بن عبد الوهاب الذي كان في ريعان الشباب.

كان فقيهاً فاضلاً، جمع بين المعقول والمنقول، وزاحم الفحول، وتصدى للتدريس

(٢٠) الطبري (٤/٣٦٣٥) وابن الأثير (٢/٥٢٣-٥٢٤).

فانتفع به الناس^(٢١)، حاز من الحكمة خيرا كثيرا^(٢٢)، وكان أوحد عصره علما وأجلهم فهما^(٢٣)،

وفي سنة (١١٦٩هـ - ١٧٥٥م) بنى الوزير محمد أمين باشا الجليلي جامع (الباشا) في مدينة الموصل من ماله ومال أبيه الحاج حسين باشا الجليلي^(٢٤)، فاختر الوزير الشيخ الجميلي ليكون أول مدرس في مدرسة جامع^(٢٥)، وكان للجميل الحظ الأوفر عند حكام الموصل وولاتها والقبول التام ومن ندماء أعيانهم من أخلص أصدقائهم، ليس بينه وبينهم حجاب^(٢٦)، وهذا يدل على أنه برز في علمه وتفوق على أقرانه من علماء الدين، فأصبح شيخ شيوخ مدينة الموصل.

ويبدو أنه لم يتقرب لذوى السلطان في محاولة للتكسب، «أراه مع ما هو عليه من مدارسة العلم، له من كسب يده، والتمسك بعروة الأسباب أو في سهم لا يعتمد بعد الله إلا على معاش اخترع أسبابها، ومصايد للرزق ابتدع اكتسابها، وذلك لئلا يكون كلاً على الناس» فعمل بزازا وحماميا^(٢٧)، أو عمل في الحرفتين معا في أن واحد. وهذا دليل على أن ذوى السلطان احتاجوا إليه فقربوه، ولم يتقرب إليهم، ولم يكن بحاجة إليهم، لأنه غنى ماديا بعمله، ومعنويا بعلمه، وليس لديهم ما يطمع فيه.

لقد قدمه عقله وعمله وحرصه على كرامة العلم والعلماء.

والذين أرخوا لعلماء الدين في الموصل، نصوا على المتصوفة منهم وذكروا لهم طريقتهم في التصوف، وأكثرهم نقشبندية أو قادرية، ولم ينصوا على أن الشيخ الجميلي كان متصوفا.

(٢١) منهل الأولياء: (١/٢٧١-٢٧٢).

(٢٢) شامه العبد (٣٣٥).

(٢٣) السيف المهند في من اسمه احمد (مخطوط).

(٢٤) جوامع الموصل (١٨١).

(٢٥) جوامع الموصل (١٨٥).

(٢٦) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

(٢٧) شامه العنبر (٣٣٥-٣٣٦).

ومن الواضح أن الشيخ الجميلي أثر في تلميذه محمد بن عبد الوهاب في راحة عقله، وغزارة علمه، وفي التزامه بالكتاب والسنة وكرامة العلم والعلماء باعتباره العلم عبادة من أجل العبادات لا تجارة من أرباح التجارات.

والشيخ الجميلي نسبة الى (جميل) مصغراً^(٢٨)، وهو من أعراب البادية: ولكن ما استحضرت من العلوم في خزانة محفوظته، أجرتها على لسانه جرى الماء المسجوم، كما قيل:

فلو بدا لشيوخ الحضرة قمن له مستقبله وقلن الفضل للبادي^(٢٩)

ولعل من أسباب اختيار الطالب محمد بن عبد الوهاب الدراسة على الشيخ الجميلي بالإضافة الى أن الشيخ عالم متين، هو أنه من أعراب البادية، والجنس للجنس يميل، وقد وافق شن طبقه، كما يقول المثل العربى المشهور.

أما أثر أقران محمد بن عبد الوهاب فيه يوم كان طالباً في الموصل، فهو أثر كل طالب علم بأقرانه، فالحديث عنه حديث معاد.

أما أثر أهل الموصل بالطلاب الذين يعكفون على الدراسات الدينية، فإن طالب العلم، كما كانوا يطلقون على طلاب المدارس الدينية، كان موضع احترامهم العميق وحفاوتهم البالغة واهتمامهم الكبير، وكان أهل الموصل يراعون فقراء الطلاب حق الرعاية فتنهال عليهم العطايا والهدايا، ويدعون الى الأفراح والولائم، فلا يشعر الغريب منهم بغريته، ولا الفقير بفقره، وكان سكنى الغرباء في المدارس الدينية التي كانت تزودهم بالغذاء والكساء والغطاء، بالإضافة الى رعاية شيوخهم وأغنياء البلد وحكامها، تلك الرعاية التي لا مثيل لها في المدن الأخرى إلا نادراً.

- ٥ -

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتيح للطالب الشاب وهو في الموصل أن يشهد أزمة

(٢٨) منهل الأولياء (١/٢٧٦).

(٢٩) شامة العنبر (٣٣٥) والجميليون اليوم سكنوا الرمادى والفلوجة وبغداد، وعانة وسامراء والموصل وغيرها من المدن العراقية وتحضروا ولم يبقوا أعراب بادية كما كانوا قبل مائة وخمسين سنة خلت.

نبوءة النبي جرجيس عليه السلام^(٣٠) الذي له مرقد معروف في الموصل يزار^(٣١)، محاط
بجامع كبير يطلق عليه (جامع النبي جرجيس)^(٣٢)

فقد أنكر الشيخ احمد بن الكولة^(٣٣) نبوءة النبي جرجيس، فآثار موجة عارمة من
الإنكار والاحتجاج في الموصل أولاً، ثم انتقلت الى المدن المجاورة، فانبرى الشيخ على بن
الدباغ الحلبي الموقت في (حلب)^(٣٤)، يرد عليه في كتاب أسماه: (تحاف الأنام بأخبار
سيدنا جرجيس عليه السلام)^(٣٥)، ثم بعث بكتابه الى الموصل مع قصيدة نظمها في
النبي جرجيس عليه السلام^(٣٦)، ظهرت في بعض لسان الأعزة فلتة في حق سيدنا نبي
الله جرجيس، فامتطت لها الأراجيف ظهور العيس الى (حلب)، فرد هذه الفلتة هذا
(الموقت) بتأليف كتاب نفيس، يذكر في هذا الكتاب إثبات نبوءة هذا النبي الكامل، ثم
بعث مع الكتاب قصيدة في مدح نبي الله جرجيس.....^(٣٧)

وتصاعدت أزمة ابن الكولة تصاعدا مخيفاً الى أن بلغت ذروتها في الموصل، حيث
تألب عليه المشايخ وأصحاب الطرق ومعه المريدون والأتباع فشكوه الى والي الموصل،
وكان يومذاك الحاج حسين باشا الجليلي، فأرسل اليه يأمره بالتوقف عن هذا الإنكار^(٣٨)»

وتختلف الروايات في حقيقة موقف الشيخ أحمد بن الكولة بعد ذلك، فمن قائل: (إنه

(٣٠) انظر: قصة نبي الله جرجيس عليه السلام في: منهل الأولياء (٢٣/٢-٣٢)

(٣١) انظر ما جاء عن المرقد في: منية الأدباء (٩٤-٩٦)

(٣٢) جوامع الموصل (١٠٧-١٢٧).

(٣٣) انظر سيرته في: السيف المهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط) ومنهل الأولياء (١/٢٨٤) والروض النضر

(٢/٢٩-٣٠)

(٣٤) انظر سيرته في: شامة العنبر (٢٣٠) وسلك الدرر (٣/٢٣٣) وإعلام النبلاء (٧/١٢٨)

(٣٥) توجد نسخة منه في مكتبة دار الحلبي في الموصل بخط مؤلفها الذي فرغ من كتابتها سنة ١١٤٥هـ.

(٣٦) انظر: نص القصيدة في شامة العنبر (٢٣٢-٢٣٦) في اثنين وتسعين بيتاً.

(٣٧) شامة العنبر (٢٣٢).

(٣٨) السيف المهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط).

تاب وأتاب^(٣٩)، ومن قائل : (إنه أصر على موقفه)^(٤٠)، ومن قائل: (إنه أطاع ظاهرا وأنكر خفية)^(٤١).

ومهما يكن موقف ابن الكولة، فليس ثمة دليل على أن هذه الدعوة السلفية قد خمدت، فقد استمر في حملته على المقامات والمشاهد وعلى من يتخذها وسيلة للتكسب^(٤٢)، إلى أن توفي سنة (١١٧٣هـ - ١٧٥٩م)^(٤٣).

وحمل الريبة بعد ابن الكولة ابنه الشيخ محمد الذي كان : «شديد الإنكار على جميع الأولياء»^(٤٤).

وبذلك انقسم الموصليون الى فريقين: فريق محافظ متأثر بالطرق الصوفية، وفريق سلفى يدعو الى نبذ تقديس الأولياء ، والى مقاومة الصوفية، وجمع كل فريق ما استطاع من حجج للدفاع عن آرائه.

لقد كان هدف الدعوة السلفية مقاومة نفوذ المشايخ أصحاب الطرق الصوفية، ومقاومة تقديس مرآقد الأولياء ، وتنقية الدين من البدع بالعودة الى التمسك بالكتاب والسنة، وكانت حركة ابن الكولة احدى الفورات في الموصل من فورات الدعوة السلفية، سبقها فورات كثيرة وأعقبها فورات كثيرة، فالدعوة السلفية في الموصل قائمة في الماضي والحاضر وستبقى قائمه في المستقبل.

ولقد شهدنا في أيامنا صراعا عنيفا بين دعاة السلفية من علماء الدين والمتصوفة والمقلدين، وكانت ولا تزال مؤلفات السلفية القدامى كالإمام ابن تيمية والجدد كالشيخ محمد رشيد رضا، شائعة في الموصل ، يقبل عليها الناس إقبالا شديدا.

(٣٩) السيف المهند في من اسمه احمد (٣ مخطوط).

(٤٠) منهل الأولياء (٢٨٥/١)

(٤١) الدر المكنون (٥٨٥ مخطوط).

(٤٢) الموصل في العهد العثماني (٤٠٩).

(٤٣) ابن الخياط - ترجمة الأولياء في الموصل الهدايا - المقدمة (١٣).

(٤٤) غرائب الأثر (٣٥).

وقد شاءت الأقدار أن يعيش الطالب محمد بن عبد الوهاب في الموصل وسط المعركة الفكرية التي أثارها الشيخ أحمد بن الكولة، ولا ريب في أنه تأثر بها، للتشابه التام بين آرائه التي دعا إليها فيما بعد، وبين مبادئ سلفي الموصل، الداعية إلى نبذ زيارة القبور وبناء القباب وتكبير العمائم وتوسيع ثياب علماء الدين، ووضع الأستار والعمائم والثياب على الأضرحة، والاستعانة بجاه أصحابها، والتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة^(٤٥)، فقد أكمل الله دينه وأتم نعمته على المؤمنين، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وصاحبها في النار.

* * * *

- ٦ -

تلك لمحات سريعة غير متسعة عن عام دراسي أو بعض عام لرحلة علمية إلى مدينة الموصل الحذباء من رحلات الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى أمصار العالم الإسلامي، في وقت كانت كل أمصار المسلمين مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم أو الرزق، لا تفصل بينها الحدود والسدود، لا تحتجاز إلا بجواز سفر وسمة دخول، تؤهله للاجتياز مدة معينة من الزمن، يعتبر فيها (أجنبياً) تلاحقه الشرطة وتراقبه العيون، وقد أصبحت تلك الأمصار الإسلامية مفتوحة لغير المسلمين مقلنة بوجه المسلم، فيها المسلم من غير أهلها غريب اليد والوجه واللسان، لا يواسيه أحد ولا يعينه على تحمل أعباء الحياة.

وقد كان طلاب العلم والعلماء قبل أن تقام الحدود والسدود بين ديار المسلمين، يرحلون لطلب العلم والارتشاف من منابعه على زبدة العلماء الأعلام علماً وعملاً وورعاً، فيحلون أهلاً وينزلون سهلاً، ويتسابق الناس للحفاوة بهم واستضافتهم وتزويدهم بالغذاء والكساء والغطاء والعطاء، فمتى يعود المسلمون إلى ما كانوا عليه، ومتى يصبحون كالجسد الواحد أخوة في الله !

(٤٥) الموصل في العهد العثماني (٤١٤-٤١٥).

لقد أقامت قوانين الأرض بين أمصار المسلمين الحدود والسدود، ومزقت الجسد الواحد الحى، فأصبح أعضاء وأشلاء متفرقة بلا حياة، وكانت مساجد المسلمين تخرج الدعاة، فأصبحت معاهد المسلمين تخرج الموظفين، وكان في كل مصر من أمصار المسلمين عدد عديد من العلماء الأعلام، فأصبحت تلك الأمصار تخلو من العلماء، وكان العلماء المسلمون يحكمون أصحاب السلطان، فأصبحوا اليوم يستخذون للحكام، وكان الأمراء على أبواب العلماء، فأصبح العلماء على أبواب الأمراء، وكانوا فقراء بالمال أغنياء بكرامة العلم والعلماء، فأصبحوا أغنياء بالمناصب والمرتبات فقراء بكرامة العلم والعلماء، وأقفلت المدارس الدينية فخلت المساجد والجوامع من العلماء الدعاة الذين يرجون ما عند الله، وفتحت المدارس المدنية فعمرت بيوت الله بأصحاب الشهادات الموظفين الذين يرجون ما عند الناس، وأقفلت ديار المسلمين من الأئمة المرشدين الآبقية تعد على الأصابع من علماء الدين المعتمدين الذين تعلموا في الجوامع، وأينعت ديار المسلمين بأصحاب الشهادات الموظفين الذين تخرجوا في الجامعات، وأثر خريجو المعاهد المدنية الذين تعلموا العلوم الدينية فيها منابر الجامعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن منبر الجامعة الذى يشغله المسلم وغير المسلم أدم من منبر الجامع الذى يشغله المسلم دون غيره، وهكذا غزر الانتاج بكثرة الخريجين وساء التوزيع بقله رجال الدين.

لقد صنعت الحدود ووضعت السدود في ديار المسلمين، تلك القوانين الوضعية الذى جاء بها نابليون من فرنسا وربط خيوله في فناء الأزهر، وجاء بها المستعمر ليزل المسلمين ويفرق كلمتهم ويستعيدهم ويجعل منهم مسلمين جغرافيين.

وسحقت المدارس الدينية المبادئ الوافدة والتعليم الغربى المستورد، الذى يسلب المسلم عقيدته ويعمر قلبه بالاتجاه المادى، فيصبح كالحیوان يهيمه المسكن المريح والطعام الفاخر والجنس، ولا يهتم بما بعد الحياة، والمرء كما يعيش في الدنيا يرحل الى الآخرة، فلا بد أن يكون لمصيره في الآخرة من تفكيره ونشاطه أوفى نصيب، والمبادئ الوافدة والتعليم الغربى تعمل للدنيا ولا تعمل للآخرة، والحضارات المادية ماتت الى الأبد بعد موت دعائها، والحضارات التى بقيت هى الحضارات التى جمعت بين المادة والروح، وقد أكثر الحكام المسلمون من حديثهم عن الإنجازات المادية، ونسوا المتطلبات الروحية، وستفنى

تلك الإنجازات - إن وجدت - مالم تتركز على أسس روحية مستمدة من تعاليم الدين الحنيف.

يجب أن نتعلم من سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب والأئمة الأعلام من علماء المسلمين، مما يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا، فنعيد الحكم بشريعة الله ونتخلق بخلق القرآن، ونطبق حكم القرآن لغة وعقيدة وشريعة، ومثلاً علياً، ونتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، لتزول الحدود والسدود، وتسود رسالة المسجد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يهدينا حكماً ومحكوماً إلى سواء السبيل...
وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * * *

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير):

- ١ (الكامل في التاريخ - بيروت - ١٣٨٥هـ .
الجندي (أنور الجندي):
- ٢ (تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي - القاهرة - .
حسين خلف الشيخ خزعل: ١٩٧٠م
- ٣ (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - بيروت - ١٩٦٨م .
الزركلي (خير الدين الزركلي):
- ٤ (الأعلام - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٣٧٣/١٣٧٨هـ .
الديوه جي (سعد الديوه جي):
- ٥ (جوامع الموصل في مختلف العصور - بغداد - ١٣٨٢هـ .
- ٦ (مدارس الموصل في العهد العثماني - مستل من مجلة سومر - بغداد - ١٩٦٤م .
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):
- ٧ (تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - ١٩٦٠م .
عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور):
- ٨ (الموصل في العهد العثماني - النجف - ١٣٩٥هـ .
العمري (عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري):
- ٩ (الروض النضر في ترجمة أدباء العصر - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - بغداد - ١٣٩٥هـ .
العمري (محمد أمين بن خير الله العمري):

- (١٠) منهل الأولياء ومشرّب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء تحقيق سعيد الديوه جى - الموصل - ١٣٨٨هـ.
- العمري (ياسين بن خير الله العمري):
- (١١) الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون - مخطوط - توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٤٤٤٩).
- (١٢) زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية - تحقيق: عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور) - النجف الأشرف/١٩٧٤م.
- (١٣) غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الرابع عشر - عنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي - الموصل - ١٣٥٩هـ.
- (١٤) السيف المهند في من اسمه أحمد - مخطوط - في مكتبة سعيد الديوه جى.
- (١٥) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء - تحقيق سعيد الديوه جى - الموصل - ١٣٧٤هـ.
- الغلامى (محمد بن مصطفى الغلامى):
- (١٦) شامة العنبر والزهر المعنبر - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - بغداد - ١٣٩٧هـ.
- المرادى (محمد خليل المرادى):
- (١٧) سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر - القاهرة - ١٢٩١هـ.
- الندوى (مسعود الندوى):
- (١٨) محمد بن عبدالوهاب - ترجمة وتعليق عبدالعليم عبدالعظيم البستوى - مراجعة وتقديم محمد تقى الدين الهلالى - الرياض - ١٣٩٧هـ.

الرسائل الشخصية
للشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور

عبد الله بن صالح العثيمين

رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة الأثر في مسيرة التاريخ الإسلامي الحديث. ومن هنا كان الاهتمام الكبير بكل ما يتعلق بصاحبها، وكثرت الكتابات عن حياته ودعوته وما ترتب عليها من نتائج. بل إن نجاح هذه الدعوة أسهم في حفز همم بعض الكتاب إلى التعمق في دراسة شخصيات علمية سبقتهم زمنياً، ونادت بمثل أو بعض ما نادى به.

والكتابات التي ظهرت عن الشيخ محمد مختلفة من حيث العمق والسطحية ومن حيث الإنصاف والتحيز، ومن حيث الجودة وعدمها. والمؤمل أن تكون من نتائج هذا الأسبوع دراسات تجمع بين العمق والحياد والإبتكار، وألا نجد الكثير منا في نهاية الأمر يردد مع الشاعر العربي القديم قوله:

ما أَرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

لقد كتب الكثير عن حياة الشيخ محمد شاباً متعطشاً للعلم أبناً وجدته، وصاحب دعوة مصمماً على بذل كل ما يكفل نجاحها، وزعيماً مساهماً مساهمة كبيرة في توجيه أمور دولة فتيحة. كما كتب الكثير عن أصول دعوته وتأثيرها في مجتمعه وفي مجتمعات إسلامية أخرى.

وبحثى المتواضع المقدم إلى هذا الأسبوع لا يتطرق إلى أي جانب من الجوانب السابقة بصفة تفصيلية مستقلة. لكنه محاولة لإيضاح ما تحتوى عليه رسائل الشيخ الشخصية من أهمية، خاصة فيما يتعلق بشخصيته والظروف المحيطة بدعوته.

الرسائل من حيث الصحة:

من أهم الأمور التي ينبغي للباحث أن يعنى بها التأكد من صحة النص الذي يحاول دراسته. فما لم يصل إلى قناعة علمية بصحة ذلك النص، فإنه من العبث محاولة

استخلاص النتائج منه. وهذا ما سأحاول لفت الأنظار اليه في مقدمة هذا البحث.

لقد عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياة طويلة حافلة بنشاط مختلف النواحي: فمن المعروف أن حياته بصفته صاحب دعوة، ومساهمًا في توجيه دولة تقرب من ستين عاما، وطول حياته، وتعدد جوانب نشاطه، يجعلان المرء يتوقع أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جدا. لكن ما أثار عن الشيخ من رسائل لا يتفق مع ذلك التوقع. وعلى هذا الأساس فإن الباحث يكاد يجزم بأن كثيرا من رسائله الشخصية قد ضاع.

وموقف ابن غنام، الذي يعود اليه أكبر الفضل في إيراد ما أثر من هذه الرسائل، موقف يدعو إلى التأمل: فهو من ناحيته قد أورد من رسائل الشيخ ما هو مختلف الطول والقصر من حيث المضمون، بل انه في أحيان نادرة قد أورد شيئا من رسائل خصوم الشيخ تمهيدا لتدوين رده عليها. لكنه من ناحية أخرى: نص على أنه لم يدون كثيرا من أجوبة الشيخ عن بعض المسائل خشية الإطالة^(١). فهل عامل ابن غنام بعض رسائل الشيخ الشخصية معاملته لبعض أجوبته؟ أم أنه لم يعثر إلا على تلك الرسائل التي أوردتها في كتابه؟ مهما يكن من أمر فإن ما أورده ابن غنام منسوبًا إلى الشيخ يبدو صحيحا.

على أن هناك مصادر أخرى نسبت إلى الشيخ رسائل قليلة غير التي ذكر ابن غنام. وقد جاءت هذه الرسائل ضمن القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الذي أفرده بعض الأخوة الكرام المهيتين لهذا الأسبوع لجميع الرسائل الشخصية المنسوبة اليه. وقد جعل هؤلاء الأخوة تاريخ ابن غنام أصلا قابلا به وأضافوا اليه ما لم يرد فيه. ولا شك أن ما قام به هؤلاء الأخوة يستحق الثناء والتقدير. وبمقدار ما يكون الجهد يأتي اهتمام الباحث بما عمل. ولهذا فإنه من المستحسن الوقوف عند بعض ما عمله أولئك الأخوة.

من دراسة القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد تبدو للمتأمل ملاحظتان:
الأولى: أنه يوجد اختلاف في بعض عبارات الرسائل المعدة في هذا القسم وبين

(١) روضة الأفكار والأفهام... طبعة أبا بطين، القاهرة ١٣٦٨ هـ ج ١ ص ١٧٥، وسوف يشار اليه فيما بعد بروضة فقط.

أصلها في تاريخ ابن غنم دون الإشارة الى مواضع الاختلاف. من ذلك مثلا: رسالة الشيخ إلى علماء مكة المكرمة، ورسالته الى الشريف أحمد بن سعيد^(٢).

والملاحظة الثانية: أن بعض الرسائل المضافة الى ما ورد في تاريخ ابن غنم ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه. لنأخذ مثلا: الرسالة التي يقال إن الشيخ أرسلها الى عالم من أهل المدينة، فهي لم ترد إلا في الدرر السنينة، ولم يذكر اسم العالم الذي أرسلت اليه. ومن غير المرجح أن يرسل الشيخ رسالة الى عالم من علماء تلك البلدة دون ذكر اسمه. وبالإضافة الى ذلك: فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ. والمتتبع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه عادة يبدوها بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان. لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الشيخ المعتاد.

وقريب مما سبق يمكن أن يقال عن تلك الرسالة التي يدعى أن الشيخ بعثها إلى عبدالله الصنعاني، فإنها لم ترد إلا في الدرر السنينة. ولم ينص فيها على اسم مرسلها. وإذا قورنت بالرسالة التي كتبها عبدالله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبدالعزيز، يتضح أن هناك تشابها كبيرا بين أجزاء من الرسالتين من حيث الأسلوب والمضمون^(٣). ولعل في هذا ما رجح أن الذي كتب الرسالة الى الصنعاني هو الشيخ عبدالله بن محمد وليس أباه.

أما الرسالة التي يقال إن الشيخ محمدا بعثها إلى أهل المغرب فمن الواضح عدم رجحان كونها له، وذلك لعدة أسباب: الأول: ما قيل عن الرسالتين السابقتين المنسوبتين اليه من حيث انفراد صاحب الدرر السنينة بإيرادها، وعدم النص فيها على اسم مرسلها. الثاني: أنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين الى بيت الله الحرام. الثالث: - وهو أهمها - أن هذه الرسالة قد شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا. وقد ذكرت المصادر التونسية وصورها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود بن عبدالعزيز في الحجاز.

(٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ، طبعة جامعة الإمام ص ٤١، ٣١٢. وسوف يشار اليه فيما بعد بشخصية. وقارن ذلك بروضة ٨١/٢ و١١٤.

(٣) انظر شخصية ص ١٠٠ - ١٠١ وقارنها بالدرر السنينة ٢٧ ج ١ ص ١٢٧

وهذا يتلاءم مع السبب الثانى وهو أن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودى فى الحجاز. وعلى هذا الأساس فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبدالله بن محمد الذى كان مع سعود بن عبدالعزيز عند دخوله مكة، كما ذكر سابقا.

وقد ورد فى القسم الخامس من مؤلفات الشيخ رسالة قيل إنها جواب منه عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه. وقد ذكرت هذه الرسالة فى مجموعة الرسائل والمسائل، إضافة الى ذكرها فى الدرر السنية. وأسلوبها مشابه لأسلوب الشيخ فى كثير من كتاباته. لكن ورد فيها ما يثير انتباه الباحث. ذلك أنه وردت فيها عبارة:

«هو مضمون ما ذكرت فى رسالتك أن الشيخ محمدا قرر لكم ثلاثة أصول»^(٤). وقد يبدو للمرء أن من كتب هذه العبارة لابد أن يكون غير الشيخ محمد. لكن قد يكون الشيخ أورد نص العبارة التى كان قد كتبها من أرسلت اليه هذه الرسالة. وقد وردت فى الرسالة أيضا عبارة:

«هذا الذى يدعو إليه ابن عبدالوهاب»^(٥). ولو كان الكاتب لها تلميذا للشيخ أو أحد أنصاره لكان من المرجح أن يضع كلمة «الشيخ» قبل ابن عبدالوهاب. وتعبير الشيخ عن نفسه بابن عبدالوهاب موجود فى رسائله^(٦).

ومن ناحية أخرى فإن فى هذه الرسالة ما يشير الى أنها قد كتبت وعبدالله المويس لا يزال حيا .

«ومع هذا: يقول لكم شيطانكم المويس إن بنيات حرمة وعبائهم يعرفون التوحيد فضلا عن رجالهم»^(٧).

لكن ورد فيها ما نصه: «ككيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟»^(٨).

(٤) شخصية ص ١٧٢

(٥) المصدر السابق

(٦) روضة ١٢٢/٨

(٧) شخصية ص ١٧٣

(٨) المصدر السابق

ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة ١١٤٥ هـ - فإن هذه الرسالة - حسب العبارة السابقة - تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥ هـ تقريبا. ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين^(٩).
ومما سبق يتضح أنه رغم قلة ما أثر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رسائل شخصية، فإن نسبة قليلة من هذا المأثور تحتاج الى تدقيق وإعادة نظر.

أسلوب الرسائل:

إذا كان لأسلوب الكاتب دور في اكتشاف حقائق شخصيته، فإن رسائله أبلغ من كتاباته الأخرى في إلقاء الضوئ على تلك الحقائق. ولعل أهم نقطة يلاحظها المتأمل في أسلوب رسائل الشيخ، تمسك كاتبها بالأصالة والبساطة.
فأغلب هذه الرسائل يبدأ بمثل العبارة الآتية:
«من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
وبعد:».

ومن الواضح أن هذا الأسلوب ينسجم انسجاما كاملا مع المحيط العربي الذي كان الشيخ عائشا فيه؛ ذلك المحيط الذي لم يشهد آنذاك غزو المؤثرات الأجنبية، وهو في نفس الوقت يتفق اتفاقا تاما مع أساليب السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية. وفي ذلك ما يوضح رغبة الشيخ في تتبع خطى أولئك السلف في هذا المضمار.

لكن بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة في أسلوب الشيخ، فإنه كان - فيما يبدو - على استعداد للتنازل قليلا عن هذا التمسك إذا كان يظن أن في التنازل مصلحة عامة لدعوته: فهو - مثلا - كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلبا أو إيجابا في مسيرة الدعوة، ولذلك خرج أسلوبه في رسالته اليهم عن أسلوبه المعتاد في كثير من رسائله.

فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلف:

«من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام. نصر الله بهم سيد

(٩) ابن بشر: عنوان المجد.. طبعة ٢ لوزارة المعارف، ١٣٩١ ج ١ ص ٤ - ٥٥

الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١٠).

وكان - أيضا - يقدر مكانة حاكم تلك المدينة المقدسة وتأثيره الإيجابي لو تعاون مع دعوته. ولذلك بدأ رسالته اليه بعبارات تدل على نوع من المهارة في المجاملة اللبقة. فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء بالعز في الدارين؛ بل تجاوزه الى الإشارة الذكية بأن الشريف بصفته النسبية أولى بنصرة الدعوة:

«بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل الى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف»^(١١).

والشيخ اذ يؤمل انضمام رئيس قبيلة كبيرة الى دعوته يضيف في أول رسالته اليه ما يعتقده من عوامل التأثير. فهو حين كتب الى زعيم إحدى القبائل في الشام قال:

«من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان وأعاده من نزعات الشيطان.. أما بعد:»^(١٢).

وإذا كان المتأمل في أسلوب الشيخ يرى تمسك صاحبه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ - أيضا - من خلاله ذكاه ومحاولته بالاستفادة من كل ما يراه مفيدا لمصلحة دعوته. فبالإضافة الى ما تقدم نراه حين يحاول كسب أهل منفوحة والرياض عن طريق قاضي الدرعية، يصفه في رسالته اليهم بقوله:

«إن عبدالله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه»^(١٣).

(١٠) روضة ١٤٤/٢

(١١) روضة ٨٠/٢ ويلاحظ أن كلمة «حضرة» معناها هنا لم ترد في كتابات الشيخ الا في موضعين: أحدهما في هذه الرسالة، والثاني: في رسالته الى السويدي في العراق. ولعل السبب في استعماله لها في هذين الموضعين فقط اعتقاده أن التأثير بهذا النوع من الأسلوب واضح في القطرين المجازي والعراقي.

(١٢) روضة ١٥١/١

(١٣) روضة ١٤٦/١

مع أنه يخاطبه في رسالة أخرى بقوله:
«أنتم ومشائخكم ومشاينهم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميزوا بين دين محمد صلى
الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحي»^(١٤).

ومن ذلك - أيضا - إثارة النخوة في نفس المخاطب. فهو يحاول إقناع مخاطبه بقوله:
«إن لك عقلا، وإن لك عرضا تشح به، وإن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما
تبيعه بالزهايد»^(١٥).

ويستثير هم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله:
«والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم، فضلا عن صماصيم بنى زيد»^(١٦).
بل إن جبه لنجاح دعوته جعله يقوى عامل الأمل على بادرة اليأس، فهو يخاطب
عبدالله بن عبداللطيف الإحسانى بقوله:
«ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضى الله عنه في
أوله»^(١٧).

مع أنه كان - فيما يبدو - يتسا من استجابته له حيث يقول في نفس هذه الرسالة:
«وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله،
وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات»^(١٨).

ومما يلاحظه المتأمل في رسائل الشيخ اتصافه في حالات قليلة بنوع من الحدة. وهو
أمر ذكره عن نفسه في رسالته الى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب^(١٩). وكانت هذه
الحدة تظهر عادة في التعامل مع خصم نشط الحركة، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفا
جدا.

فالشيخ - مثلا - يبدأ رسالته الى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبرة التالية:

(١٤) روضة ١/١٥٥

(١٥) روضة ١/١٠٧

(١٦) شخصية ص ٢٩٢

(١٧) روضة ١/٥٤

(١٨) روضة ١/٣ - ٥٤

(١٩) روضة ١/١٥٧

«الذى يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب. فإن كان هذا فهكم فهو من أفسد الأفهام»^(٢٠).

ويخاطبه فيها بقوله :

«صار لكم عند ضامة في معكال، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء»
وقوله: «أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله»^(٢١).

ويعبر الشيخ عن انفعاله أحياناً بأسلوب تهكمى لاذع. فهو يصور عبدالله المويس بصورة من يقول:

«اعرفونى اعرفونى ترى جاى من الشام»^(٢٢).

وأحياناً لا يذكر اسمه، وإنما يرمز اليه «بصاحب الشام» أو «شاميكم»^(٢٣).
وأسلوب الشيخ في رسائله الشخصية متقيد - على العموم - باللغة الفصحى وقد أعد إعرابها.. لكنه في أحيان قليلة يخرج عن هذا التقيد، فتد فيه عبارات أو كلمات يمكن أن تعتبر لغة عامة. وهذا الأمر شائع في رسائل الشيخ الى النجديين بصفة خاصة .

ففى رسالته الى محمد بن عباد وردت عبارة:

«تذكر ان ودك نبين لك ان كان فيها شىء غاترك»^(٢٤).

وفى رسالته الى عبدالله بن سحيم يقول:

«فلما غربلك الله بولد المويس»... «لا وجه سميح ولا بنت رجال»^(٢٥).

ورسالته الى قاضى الدرعية وابنه أكثر احتواء من غيرها على مثل هذه التعبيرات. بل ان هذه التعبيرات هى الصفة الغالبة فيها .

(٢٠) روضة ١٣٨/١ و١٤٢

(٢١) روضة ١٠٠/١

(٢٢) روضة ١٩/١ - ١٢١

(٢٣) روضة ١٠٤/١

(٢٤) روضة ١٠٢/١ و١١٦

(٢٥) روضة ٦/١ - ١٥٧

الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة :

الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

تحدث ابن غنام وابن بشر وغيرهما من أنصار دعوة الشيخ محمد عن الحالة التي كان يعيشها النجديون قبيل بدء هذه الدعوة. وقد أعطى هؤلاء صورة قائمة عن تلك الحالة. لكن ابن بشر نفسه أشار الى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة. والدارس لما كتبه أولئك العلماء، مثل المنقور، يرى وضوح تلك الصفات فيهم. والمتأمل في سوابق ابن بشر يلاحظ أن حاضرة نجد، على الأقل، كانت بصفة عامة تقوم بالواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج. وماورد من شعرتلك الفترة، كشعر جبر بن سيار، ورميزان ابن غشام، وحيدان الشويعر لا يتفق مع الصورة القائمة التي تصف بها بعض المصادر حالة نجد آنذاك. ومع ذلك : فإن ماورد في رسائل الشيخ محمد يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح كثير من جوانب الحالة الدينية في نجد قبيل بدء دعوته.

من المعروف أن قضية الاعتقاد بالأولياء أو من تعتقد ولايتهم، كانت من الأمور المهمة التي قام حولها نقاش حاد بين الشيخ محمد وخصومه، ورسائله الشخصية حافلة بالحديث عنها من عدة جوانب. فهي تحتوي على أسماء تذكر أن بعض النجديين كانوا يعتقدون بأصحابها. ومن هذه الأسماء: شمسان وداريس وتاج^(٢٦). وتذكر الرسائل أن مما كان يفعله أصحاب هذه الأسماء أخذ النذور من الناس^(٢٧). كما أنها تذكر - أيضا -

(٢٦) روضة : ١/١٣٠، ١٥٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢١٦، ٢٢٦. ويلاحظ أن الشيخ أحيانا يقول : أولاد شمسان وأولاد ادريس (روضة ١/٢١٦)، وأحيانا يقول : شمسان وأولاده (روضة ١/٢٢)، أو يقول : محمد بن شمسان (روضة ١/٢٢٦).

(٢٧) روضة ١/٢١٦.

أسماء بعض من كانوا يعتقدون بأولئك الأشخاص^(٢٨). ويستفاد من رسائل الشيخ أن هذه الأمور كانت متوافرة في مناطق نجدية دون أخرى؛ فمنطقة العارض وما يليها جنوبا - خاصة الخرج - كانت متأثرة بها، بينما كانت منطقة القصيم - مثلا - خلاف ذلك.

فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله بن علي ومحمد بن جازان «أهل القصيم غارهم أن ما عندهم قبب ولا سادات... لكنه كان يأخذ عليهم عدم معاداتهم لأهل الشرك^(٢٩).

ورسائل الشيخ توضح موقفه ممن يرضون باعتقاد الناس بهم، ويأخذون النذور، غاية التوضيح. فقد كان يكفرهم. وغالبا ما وصفهم بالطواغيت. لكنه أحيانا يصفهم بصفات أخرى مثل: المردة الشياطين أو الكلاب^(٣٠).

ومما يتعلق بالقضية السابقة موضوع التصوف. ومن المعروف - أيضا - معارضة الشيخ للتصوف أو لبعض أنواعه على الأقل. ولعل من أطرف إشارات معارضته له لمزه لخصمه عبد الله المويس بأن أحد مشائخ مشائخه كان متصوفا، وكان يلقب بلقب العارف بالله^(٣١). ومما يتوقعه المرء خلو محيط مثل المحيط النجدي آنذاك من المذاهب الصوفية. لكن رسائل الشيخ تشير الى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض، مثل ولد موسى بن جدعان، وسلامة بن مانع^(٣٢). وأفراد مغمورون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعته أية صلة. لكن اذا سلم بصحة ماورد في رسالة الشيخ، فانه يلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكون جزءا من مدينة الرياض الحالية.

(٢٨) مثل طالب الحمض. انظر روضة ١٠٤/١، ١٥٤، ١٥٦.

(٢٩) شخصية ص ٢٢٢.

(٣٠) روضة ١٧٨/١ و ٢١٧.

(٣١) روضة ١٢٠/١.

(٣٢) روضة ١٤٧/١.

وتشير رسائل الشيخ - أيضا - الى أن سليمان بن سحيم كان يذهب لحضور المولد ويقراه على الناس، وأنه كان يكتب الحجب المشتملة على الطلاسم^(٣٣). وكان سليمان من سكان معكال المذكورة سابقا.

وعبارة الشيخ لاتنص بصراحة على حدوث الاحتفال بالمولد في نجد. وهي على أية حال الإشارة الوحيدة من الشيخ وغيره التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة.

ومن الأمور التي ناقشتها رسائل الشيخ والمتعلقة بالتصوف والأولياء، مسألة كتابي دلائل الخيرات، وروض الرياحين. ويفهم من النقاش حولهما أنها كانا من الكتب المقررة في نجد آنذاك. وقد ادعى سليمان بن سحيم في رسالته التي بعثها الى العلماء خارج هذه المنطقة أن الشيخ أحرقهما^(٣٤). وقد نفى الشيخ في رسالته الى السويدي إحراقه للكتاب الأول، وذكر أن سبب ما روج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألا يصير في قلبه أجل من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن^(٣٥). كما نفى ابن غنام إحراق الشيخ لكتاب روض الرياحين^(٣٦). وقد يبدو للبعض نوع من الغرابة في تعليل الشيخ لما أشيع عنه حول كتاب دلائل الخيرات. ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بالألا يصير في قلوب الناس أجل من كتاب الله شيء آخر. ومن الملاحظ أن الإمام الصنعاني قد مدح الشيخ بقوله:

وحرق عمدا للدلائل دفترا . . أصاب ففيها مايجل عن العد
ولم يعلق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هذا البيت في تاريخيها بأى شيء
عليه^(٣٧)، كما يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن الدعوة
قال:

(٣٣) روضة ١/١٤٠.

(٣٤) روضة ١/١١٢.

(٣٥) روضة ١/١٥٣.

(٣٦) روضة ١/١٢٩.

(٣٧) روضة ١/٤٧: عنوان ١/٦٩.

«ولا تأمر بآتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين»^(٣٨).

حالة البادية :

وتشير رسائل الشيخ محمد الى مسألة في غاية الأهمية وإن لم تكن من المسائل التي كثر النقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها. فالشيخ يذكر أن كثيرا من أبناء البادية كانوا لا يمارسون الواجبات الدينية: بل إن كثيرا منهم كانوا لا يؤمنون بقضية مهمة من قضايا العقيدة، وهي البعث بعد الموت. ففي رسالته الى محمد بن عبيد يقول :

«ومن المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم... ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض»^(٣٩).

وفي رسالته إلى سليمان بن سحيم يقول:

«ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها»^(٤٠).

وإذا علم أن البادية آنذاك كانت تشكل قسما كبيرا من سكان هذه المنطقة، أدركت خطورة هذه المسألة. ولقد كان حدوث مثل هذا الأمر متوقعا لسيادة الجهل الديني لدى هؤلاء - كما تشير إليه عبارة الشيخ الأخيرة - ولعدم وجود سلطة مهتمة بهذا الموضوع.

(٣٨) الدرر السنية ١/١٢٧.

(٣٩) روضة ١/١٠٨.

(٤٠) روضة ١/١٤٤.

ولعل هذا هو السبب الأساسي في توقف الشيخ في الحكم على من اتصفوا بالصفات المذكورة في بداية دعوته، كما ذكر ابن غنام^(٤١). لكن لا بد أن ذلك التوقف لم يدم حين توافرت فيهم الشروط التي ذكرها الشيخ في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم:

«تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع إقرارهم أن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر؛ لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنادا»^(٤٢).

بدء الدعوة في نجد :

من المعروف أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد قبل وفاة أبيه سنة ١١٥٣هـ. فقد ذكر ابن بشر أن الشيخ أقام على الدعوة مدة سنين حتى توفي أبوه^(٤٣). وهذا يعني أن الدعوة قد بدأت سنة ١١٥٠هـ أو قبل ذلك. ومن هنا فإن كلامه لا يحدد السنة التي بدأت فيها الدعوة. وليس في رسائل الشيخ ما يفيد إفادة كاملة في هذا التحديد، لكن فيها ما يلقي بعض الأضواء. فقد وردت في رسالته إلى عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي عبارة: «اجتمعت بك من نحو عشرين»^(٤٤).

وقد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ :

«اجتمعت بك من نحو عشر سنين»^(٤٥).

(٤١) روضة ٣٣/١.

(٤٢) روضة ٣/١ - ١٦٤.

(٤٣) عنوان ٢١/١.

(٤٤) روضة ٥٠/١.

(٤٥) شخصية ص ٢٥٠.

وواضح أن العبارة في هذه النسخة تبدو أصح من العبارة الواردة في تاريخ ابن غنام. وإذا سلم بصحتها فإن الشيخ كان في الأحساء قبل كتابته هذه الرسالة بعشرة أعوام. فمتى كتبت هذه الرسالة؟

ليس هنالك نص محدد في تاريخ ابن غنام على زمن أو مكان كتابتها: لكن المتأمل في رسائل الشيخ يمكنه أن يستنتج بعض الأمور التي قد تساعد في هذا الموضوع. فقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله أنه تألم لكتابته مع أهل الأحساء ضده^(٤٦). وذكر في رسالته اللتين بعثها من العيينة إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب أنها كانا يستهزان بجواب ابن فيروز، وأن أمر عبد الوهاب أشق عليه من أمر أهل الأحساء^(٤٧). فإذا كان عبد الله بن عبد اللطيف قد كتب مع أهل الأحساء، وكانت كتابتهم حين كان الشيخ في العيينة، فإنه من المرجح أن تكون رسالة الشيخ إليه قد كتبت في هذه البلدة. لكن إذا كان من المعروف متى سافر الشيخ من العيينة إلى الدرعية فإنه من غير المعروف يقينا متى قدم من حريملاء إلى العيينة. فقد يكون قدومه إليها بعد شهر من وفاة أبيه، وقد يكون بعد سنة أو سنتين. وإذا فإنه من المحتمل أن تكون إقامته في العيينة بين سنتي ١١٥٣ و١١٥٧هـ، وعلى هذا الأساس فإن رسالته المذكورة تكون قد كتبت في هذه الفترة. ويكون اجتماعه بعبد الله بن عبد اللطيف في الأحساء خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١١٤٣ و١١٤٧هـ. وبما أن الشيخ لم يطل الإقامة في الأحساء على الأرجح، فإن وصوله إلى نجد من أسفاره خارجها كان أيضا في الفترة المذكورة. ومعلوم تاريخيا أنه بدأ دعوته في حريملاء بعد وصوله إليها مباشرة.

ولاشك أن معارضة بعض علماء نجد للشيخ قد بدأت منذ بدئه الدعوة، وقد ذكرت المصادر الأصلية حدوث المعارضة له قبل وفاة أبيه، وفي رسائله ما يؤيد ذلك، فقد جاء في رسالة له من العيينة أن عبد الوهاب بن عيسى كان يعمل ضد الدعوة منذ أكثر من خمس سنين^(٤٨). وذلك يعني أن معارضته قد بدأت منذ سنة ١١٥٢هـ على الأقل.

(٤٦) روضة ٥٠/٨.

(٤٧) روضة ٧/٨ - ١٥٨.

(٤٨) روضة ١٥٧/٨.

أسلوب الدعوة:

تبين رسائل الشيخ أن من أساليب نشر دعوته مراسلة من كان يعتقد تأثيرهم على الناس؛ سواء من أمراء المنطقة أو علمائها، وإجاباته عن أسئلة من كتبوا إليه يستفسرون عن حقيقة هذه الدعوة أو جانب من جوانبها^(٤٩). ومن بين تلك الأساليب - أيضا - ما كان يقوم به الأنصار والدعاة في البلدان النجدية المختلفة من شرح للدعوة أو مجادلة لخصومها. فكان ابن عيدان - مثلا - أحد المدافعين عنها في الوشم^(٥٠). وكان موسى بن سليم يقرأ رسالة كتبها الشيخ وعلق عليها أحد خصومه معترفا بصحة ما فيها في عدة بلدان من إقليم العارض^(٥١). وكان ابن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء بلدة الرياض^(٥٢).

وفي رسائل الشيخ ما يؤيد قول ابن غنام من أنه كان في بداية أمره يدعو معارضيه بأسلوب هادئ. فهو يقول في رسالته الى أحمد بن يحيى :

«هذا ابن اساعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام.. وكتابناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن ومازادهم ذلك إلا نفورا»^(٥٣).

ويقول عن عبد الله المويس أيضا :

«استدعيته أولا بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة»^(٥٤).

ويبدو أن هذا الأسلوب اللين كان متبعا في مرحلة مبكرة جدا من نشاط الدعوة. وكان

(٤٩) هذا الأمر واضح في أكثر رسائله ويبدو أن هذا الأسلوب قد حقق نجاحا طيبا، كما كانت الحال بالنسبة لقاضي الدرعية الذي ذكر الشيخ أنه كان من أكبر أسباب قبول الناس للدين. انظر روضة ١٥٦/٨.

(٥٠) روضة ٩٧/١.

(٥١) روضة ١٤٠/٨.

(٥٢) روضة ١٤١/٨.

(٥٣) روضة ١٧٢/١.

(٥٤) روضة ١٠٣/٨.

اتخاذها في البداية ضروريا لعدة أسباب، منها ما يتوقعه المرء من أن المعارضة في بداية الأمر لم تكن عنيفة جدا، لأن الدعوة آنذاك لم تكن قد حققت من النجاح ما يشعر معارضيهما بالخطر، ويدفعهم بالتالي الى انتهاج أسلوب قوى ضدها. وإذا سلم بذلك فإنه كان من المتوقع أيضا أن يكون موقف صاحب الدعوة تجاههم غير شديد. ومنها أن الشيخ كان يأمل في اجتذاب بعض المعارضين الى جانبه. والأسلوب اللين من عوامل كسب الآخرين. ومنها أن الشيخ كان يحس بغربة بعض ما كان يدعو اليه لدى مجتمعه. ومن هنا كان لابد من انتهاج أسلوب اللين - مرحليا على الأقل - لتلا يكون رد الفعل في غير صالح الدعوة.

يقول الشيخ في إحدى رسائله:

«لولا أن الناس الى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله الا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه، لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم»^(٥٥).

ومن المعروف بطبيعة الحال أن زعماء الدعوة حين رأوا الظروف مناسبة، اتخذوا أهم أسلوب من أساليب نشرها، وهو الجهاد.

المعارضة النجدية:

واضح من رسائل الشيخ أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد. فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالما أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات. ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين عبد الله المويس من حرمة، وسليمان بن سحيم من الرياض.

ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف.

(٥٥) روضة ٦/١ - ١٥٧.

فمنهم من عارضه منذ البداية واستمر في معارضته^(٥٦)، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ماجاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غير موقفه مع مرور الزمن^(٥٧)، ومنهم - أيضا - من كان متأرجحا في تأييده ومعارضته^(٥٨). وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين أعطوا أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة؛ قالوا عنه دين أهل العارض^(٥٩)، وقالوا إنه مذهب خامس^(٦٠)؛ كما ادعوا أنه بدعة خرج أول ماخرج من خراسان^(٦١).

ويبدو أن أسباب معارضة أولئك النجديين للدعوة كانت متعددة؛ رغم توافر بعض الأسباب لدى الجميع فإن بعضها قد توافر عند شخص دون آخر، ومن غير العدل إهمال جانب الاقتناع الشخصي لدى فريق من هؤلاء بعدم صحة بعض ماكان يدعو اليه الشيخ. كما أنه من السطحية عدم ملاحظة تغير موقف البعض طبقا لانتقال الدعوة من مرحلة الى أخرى، ومناداتها بأمر لم تكن تنادى بها، أو تطبيقها أمورا لم تكن تطبقها في بداية الأمر. ولعل أوضح دليل على ذلك ماذكره الشيخ نفسه في إحدى رسائله حيث قال :

«صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال^(٦٢)».

وقوله في رسالة أخرى :

«إنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال لكانوا على دين الله ورسوله^(٦٣)».

(٥٦) من هؤلاء المويس.

(٥٧) مثل ابن سحيم.

(٥٨) مثل عبد الله بن عيسى.

(٥٩) روضة ١/١٦٧.

(٦٠) روضة ١/١٣٩.

(٦١) روضة ١/١٠٢ و ١١٦.

(٦٢) روضة ١/٧ - ١٠٨.

(٦٣) روضة ١/١٥٠.

ومن المعروف أن قتال أصحاب الدعوة لخصومهم لم يحدث في أول بدايتها.

ويعطى الشيخ في إحدى رسائله سببين أساسيين لتغير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الى مناوأتها : الأول : أن العامة ستقول اذا كان مايدعو اليه الشيخ هو الحق فلم لم تدعونا اليه قبله؟ وعدم سؤال العامة لهم عنه لا يبرر سكوتهم. وهذا يمكن أن يقال عنه بعبارة أخرى : إن هؤلاء.. المعارضين خافوا أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية، لأن الناس سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم، فإن كانوا لم يعرفوا الحكم قبل الشيخ فعلمهم قليل. وان كانوا علموا الحكم وأخفوه فإخلاصهم مفقود. وفي كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم. والسبب الثاني: لتغير موقفهم في نظر الشيخ إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة^(٦٤).

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ السابق، لأن هذا الموضوع كان بطريقة مابين المسائل التي ذكرها ابن سحيم في رسالته الموجهة الى العلماء خارج نجد ليوقفوا ضد الدعوة^(٦٥). لكن السبب الأول من التعليل لا يمكن قبوله دون تحفظ، فلو كان سليمان بن سحيم وأمثاله يرون أن اعترافهم بصحة الدعوة قد يهز من مكانتهم الاجتماعية، لما اعترفوا بصحتها منذ البداية. ولعل السبب الأساسي في تغير موقفهم انتقال الدعوة من طور الى آخر مختلف نوعا ما.

وتشير الرسائل - أيضا - الى أن تغير موقف بعض المعارضين النجديين كان نتيجة تأثير البعض الآخر، كما حدث بالنسبة لتأثير المويس على عبد الله بن سحيم^(٦٦). كما تشير الى أن عدم انضمام بعض علماء نجد الى الدعوة ناتج عن عدم القدرة على اقتناع الأمراء بها^(٦٧).

(٦٤) روضة ١١٤/٨.

(٦٥) روضة ١١٣/٨.

(٦٦) روضة ١١٦/٨.

(٦٧) روضة ١٠٩/٨ و١٦٢.

وتبين الرسائل أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة كان مختلف الجوانب. وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابة ضدها. والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى. ويأتي في طليعة هؤلاء الكتاب المعارضين، سليمان بن سحيم، وعبد الله المويس، وسليمان بن عبد الوهاب. ومن الجدير بالذكر أن بعض ماكتبه المعارضون النجديون - باستثناء الأخير من الثلاثة المذكورين - يكاد يكون مفقودا. ولاشك أن أصول كتاباتهم لو وجدت لكان ارتياح الباحث إليها أعظم. لكن رسائل الشيخ - على أية حال - تلقى أضواء على بعض مضامين تلك الكتابات. فقد ورد في هذه الرسائل أن سليمان بن سحيم كتب أربعة أشياء : أولها تلك الرسالة التي بعثها الى العلماء خارج نجد والتي أورد ابن غنم نصها في تاريخه^(٦٨). وقد أورد فيها كاتبها خمس عشرة مسألة اعتبرها مأخذ على الشيخ.

الثاني : رسالة وصلت الى عبد الله بن سحيم. وقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله أنها تحتوي على أربع وعشرين مسألة^(٦٩). وهي وإن اشتملت على بعض ماجاء في رسالة سليمان الى العلماء خارج نجد.. الا أنها لا تحتوي عليها كلها، كما يتضح من جواب الشيخ. وهي - أيضا - تشتمل على مسائل لم ترد في رسالة سليمان المذكورة أولا^(٧٠).

الثالث : رسالة أشار إليها في رسالته الى سليمان بقوله :
«أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب»^(٧١).

ومناقشه الشيخ في هذه الرسالة يوضح أن رسالة سليمان أو قرطاسته المشار إليها هنا غير الرسالتين السابقتين^(٧٢).

(٦٨) روضة ١١/١ - ١١٣.

(٦٩) روضة ١٣/١ - ١٢٢. ويلاحظ أن ابن غنم أورد رسالة الشيخ على أنها ردا على رسالة سليمان الموجهة الى العلماء خارج نجد.

(٧٠) قارن ماجاء في الرسالتين : روضة ١١/١ - ١١٣ و ١٣/١ - ١٢٢.

(٧١) روضة ١٣٨/١.

(٧٢) قارن روضة ١٣٨/١ - ١٤١، روضة ١١/١ - ١١٣ و ١٣/١ - ١٢٢.

الرابع : أوراق ذكر الشيخ أنه وقف عليها. ومضمونها مختلف عما جاء في الكتابات المذكورة سابقاً^(٧٣).

أما المويس، فقد أشار الشيخ في رسالته الى عبد الله بن سحيم الى أنه ألف كتاباً بعثه الى أهل الوشم. وقال إنه مشتمل على ثلاثة موضوعات :
الأول : علم الأسماء والصفات أو العقائد.
والثاني: التوحيد والشرك.
والثالث: الاقتداء بأهل العلم.

وقد ناقش الشيخ الموضوعين الأولين في رسالته الى عبد الله، لكنه ترك مناقشة الموضوع الثالث؛ لأنه كما يقول قد أرسل رأيه حوله الى المويس نفسه^(٧٤).

الوجه الثاني من أوجه نشاط المعارضة النجدية : مجادلة أنصار الدعوة في البلدان المختلفة. مثال ذلك : مجادلة ابن اسماعيل جماعة الشيخ في ثرمداء، ومجادلة سليمان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض^(٧٥).

الوجه الثالث من أوجه ذلك النشاط : الاتصال بالعلماء، وذوى النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته. مثال ذلك : ما ذكر سابقاً من إرسال سليمان بن سحيم كتاباً إلى العلماء خارج نجد، وشكواه له عند أهل الحرمين^(٧٦). وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه، ويستثيرونهم ضده^(٧٧). كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن اسماعيل إلى أهل قبة أبي طالب وأغرروهم بعدم اتباع الشيخ^(٧٨).

(٧٣) روضة ١٨/١ - ٢٢٠.

(٧٤) روضة ٩٧/١ - ١٠٣.

(٧٥) روضة ١٠٦/١ و ١٢١.

(٧٦) روضة ١٣٩/١.

(٧٧) روضة ١٠٩/١ و ١٦٠.

(٧٨) روضة ١٠٩/١ و ١٦٠.

وواضح أن الاتجاه الى الاستنجد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها.

الوجه الرابع من وجوه نشاط المعارضين المحليين : ترويح الكتب التي ألفها علماء غير نجديين ضد الدعوة بين الناس، كما روج المويس وابن عبيد كتاب القباني البصرى، وكما روج المويس وابن اسماعيل كتاب ابن عفالق^(٧٩).

علماء الأحساء والدعوة :

وتلقى رسائل الشيخ أضواء على الدور الذى قام به بعض علماء الأحساء تجاه دعوته، وتبين أوجه النشاط التي كانوا يزاولونها، ومن ذلك كتابة الكتب ضده، وإرسالها الى زعماء المعارضة النجديين لتأييدهم أو إقناع من كان منضما اليه بمفارقتها. وتوضح هذه الرسائل أيضا بعض النقاط التي ركز عليها أولئك العلماء.

ومن هذه الأمور : قضية الاجتهاد، والتنويه على أن الشيخ لم يكن مؤهلا لممارسته^(٨٠). وقد أوضح الشيخ بدوره موقفه تجاه هذا الموضوع غاية الإيضاح في رسائله^(٨١).

ومن تتبع رسائل الشيخ، يتضح أنه كان في طليعة العلماء الأحسائيين الذين قاموا بالكتابة ضده القاضي عبد الله بن عبد اللطيف. ومن الواضح أيضا أن الشيخ محمدا كان شديد الحرص على ضم ذلك العالم الى جانبه، أو على الأقل التزامه الحياد بينه وبين خصومه^(٨٢). ومن أولئك العلماء محمد بن عفالق الذى يقول الشيخ عنه إنه زعم في كتابه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه الحجة^(٨٣).

(٧٩) روضة ١٠٦/١ . (٨٠) روضة ٥٢/١ .

(٨١) روضة ٥١/١ .

(٨٢) انظر مدح الشيخ له وتودده اليه في الرسالة التي بعثها اليه. روضة ٥٠/١ - ٦٠. وقد أشار الحداد في مصباح الأنام ص ٤ - ٥ الى أن اسم كتاب عبد الله ضد الشيخ سيف الجهاد لدعى الاجتهاد.

(٨٣) روضة ١٠٦/١. ومن بين كتابات ابن عفالق رسالة اسنها :

«تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين» وربما كانت المقصودة هنا. على أن له رسالة أخرى بعثها الى عثمان ابن معمر. وفيها الكثير من الاستشهاد بأقوال ابن تيمية.

كذلك كان منهم ابن مطلق وابن فيروز. وقد أورد الشيخ في إحدى رسائله بيتين من الشعر قال.. إن أحدهما ورد في مصنف ابن مطلق والثاني في مصنف ابن فيروز^(٨٤). وكان الثلاثة الأولون في نظر الشيخ أشد عداوة من ابن فيروز: فقد قال عنهم: «أما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل. أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك». أما ابن فيروز فانه - كما يقول الشيخ - أقر بهم الى الإسلام^(٨٥).

ويبدو أن الشيخ كان يدرك خطر أولئك العلماء الأحسائيين: لأنه حذر محمد بن سلطان منهم تحذيرا شديدا بعد أن سمع أنه سيعرض كلامه عليهم^(٨٦).

ومن الأمور التي أشارت اليها رسائل الشيخ، وجود القبور التي يعتقد فيها أناس من أهل الأحساء^(٨٧)، بل وجود أمور تضاد أصل الإسلام على حد تعبيره^(٨٨). ولم يكن غريبا في مثل هذه الظروف أن يعتبر الشيخ تلك المنطقة بلد مشركين^(٨٩).

الأشراف والدعوة:

سبقت الإشارة الى أن الشيخ كان يدرك أهمية علماء مكة ومدى تأثيرهم، كما كان يدرك مكانة حاكم تلك المدينة. لذلك كانت مجاملته لكل منها واضحة في أسلوبه. وفي رسائله ما يبين أن المعارضة النجدية قد أدركت أيضا هذه المكانة وتلك الأهمية. وكان أن بذل زعمائها جهودا كبيرة لكسب قادة مكة الى جانبهم ضد الشيخ. وواضح من تلك الرسائل أن جهودهم قد أثمرت. فقد بعث علماء مكة مكاتيب الى نجد تؤيد المعارضين للدعوة^(٩٠). واتخذ حكام تلك المدينة موقفا عدائيا منها، فسجنوا فريقا من أنصارها حين قدموا للحج، ومنعوا أتباعها من أداء فريضته مدة طويلة^(٩١).

(٨٤) روضة ١/١٦١.

(٨٥) روضة ١/١٦١.

(٨٧) روضة ١/١٦٥.

(٨٦) شخصية ص ٢ - ١٢٥.

(٨٨) روضة ١/١٦٦.

(٨٨) روضة ١/٥٩.

(٩١) روضة ١/١٠٩ و ١٦٠.

(٩٠) روضة ١/١٦١.

وكان الشيخ يعترف بحق آل البيت الذين ينتسب اليهم أشرف مكة ويقول: إن الله شرفهم على أهل الأرض^(٩٢).

بل إنه لام بعض أنصاره الذين انتقدوا أحد الأشراف لساحه بتقبييل يده ولبسه عمامة خضراء، مشيرا الى أن لبسهم الأخضر حدث قديما تمييذا لهم لئلا يظلموا أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم.

لكن موقفه هذا لم يمنعه من مهاجمة ماكان سائدا في منطقة تحت حكم الأشراف؛ بل إن رسائله لاتلقى الضوء على ماكان سائدا فيها مما له صلة بالعبقيدة فحسب، وانما تشير الى نوع من الانحطاط الخلقي الغريب. فيقول في رسالته الى البكيللي عن الوضع في مكة :

«حتى آل الأمر بالهتيمييات المعروفات بالزنا والمصرييات يأتون وفودا يوم الحج الأكبر، كل من الأشراف معروفة بغيته منهن جهارا»

وواضح مافي هذه العبارة من تعميم دفع اليه - فيما يبدو - شعور عميق بظلم موجه ضد من كتبه. لكن وجود هذا الانحطاط الخلقي عند البعض على الأقل أمر ملفت للنظر.

أيها السادة:

إن ماورد في هذا البحث جزء مما تحتوى عليه الرسائل الشخصية للشيخ محمد وهو - كما لاحظتم - لم يتعرض لبعض أصول الدعوة المعروفة، ولم يورد مافي هذه الرسائل من مناقشة حولها. ولاشك أن من له عناية بمثل هذه الأمور سيجد في الرسائل الشيء الكثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العالمية

تفضيلة الشيخ
إسماعيل محمد الأزهري

بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين.. وبعد :

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود في الملاحم من سننه، والحاكم في الفتن من مستدرکه، وصححه ورواه البيهقي في معرفة السنن له، كلهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمراد بتجديد الدين إحياء ما اندرس من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإماتة ما ظهر من البدع.

وقد اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا أحد أولئك المجددين الذين أشار اليهم هذا الحديث الشريف، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(١) الذي بزغ به في القرن الثاني عشر قمر التجديد، وانتصرت به راية التوحيد، فنقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

مجدد القرن الثاني عشر

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن

(١) نقل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الامام محمد بن عبد الوهاب عن ابن غنام أن أكبر عصره شهدوا له بأنه من جملة المجددين لما جاء به سيد المرسلين وأن فضلاء أهل مصر والشام والعراق والحرمين تواتر عنهم الشهادة له بأنه مجدد الدين. أفاد ذلك في مصباح الظلام ص ٢٧.

محمد بن بريد بن مشرف^(٢) التميمي، نسبة الى تميم الذي قال الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - في بنيه «مازلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم : «هم أشد أمتي على الدجال قال : وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه صدقات قومنا». وكانت سبية منهم عند عائشة فقال : «اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» رواه البخارى في باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع... الخ من صحيحه ج ٥ من شرح فتح البارى.

ولادته ونشأته

ولد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بيت أضاف الى شرف النسب شرف العلم؛ فإن والده عبد الوهاب كان عالما ذا معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما، قاضيا وله أسئلة وأجوبة. ذكر ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» أنه اطلع عليها واستفاد منها. وسليمان والد عبد الوهاب كان فقيه زمانه متبحرا في علوم المذهب، قد انتهت اليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، ذكر ذلك في ص ٧٢ وقال بعد ذكره «رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتابا في المناسك» وذكر أنه - أى سليمان - كان معاصرا للبهوتي الحنبلي، وأنه اجتمع به بمكة المكرمة.

وذكر العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب نفس ما ذكره ابن بشر، قال «ووالده - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - هو مفتي تلك البلاد، وجده مفتي البلاد، وأثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصرا للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب، اجتمع به بمكة»^(٣).

وهكذا كان أعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناء أعمامه علماء أجلاء، كما اتصل

(٢) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ ص ٣٧٩ - طبعة مطبعة المنار.

العلم في ذرية الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.. نسأل الله أن يستمر ذلك فيهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما ذلك على الله بعزيز.

مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

تلقى الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - العلم عن مشايخ كثيرين كما نص عليه غير واحد من أئمة العلم.

قال العلامة الشيخ حسين بن غنام في الفصل الثاني من «روضة الأفكار والأفهام»^(٤). «وأخذ - أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمدي، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراسا من غير سامة ولا تعب ولا التباس. ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار وجد في الطلب الى ما يليه من الأمصار وما يجاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وثار لهلاله أقمار، فوطيء الحجاز والبصرة لذلك مرارا، وأتى الأحساء لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني الى أن قال : «وقد سمع - أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - الحديث والفقه عن جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، وحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه»^٥.ه. والى ما ذكره ابن غنام هنا يشير العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بقوله في «مصباح الظلام» ص ٨ : «وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي»^(٥).

(٤) ج ١ ص ٢٦ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) ج ١ ص ٢٧.

وقال الشيخ عبد اللطيف في « مصباح الظلام »^(٦) «وقد اجتمع - أي : الإمام محمد ابن عبد الوهاب - بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها، وأجازه بعضهم، ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الأحساء وهي اذ ذاك أهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره، وسمع عن والده وعن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه». وقال في موضع آخر من هذا المصدر «مصباح الظلام»^(٧): اشتهرت رحلة شيخنا - رحمه - الله - وساعه للعلوم، واجتماعه بأعيان وقته، وقد أخذ الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي - مفتي الديار النجدية في وقته - وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الإمام أحمد معروف مقرر عندهم، وسمع الحديث من أشياخ الحرمين في وقته، وأجازه الكثير منهم، ومن أعلامهم محدث الحرمين الشيخ محمد حياة السندی، وكان له اكبر الأثر في توجيهه الى إخلاص توحيد عبادة الله والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة. ورحل الى البصرة وسمع من أشياخها ورحل الى الأحساء: وهي اذ ذاك أهلة بالعلماء، فسمع منهم وأخذ عنهم وعرف قدرة أهل العلم والنهي»^{١.هـ}.

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف - أيضا - في ذلك في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب بعد أن ذكر قراءته الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل على والده قال^(٨) - «ثم بعد ذلك رحل - أي : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل الى البصرة والحجاز مرارا، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأخيار، وأتى الأحساء وهي اذ ذاك أهلة بالمشايخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية والتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى، ثم المدني، وأجازه من طريقتين، وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولوية» قال الشيخ عبد اللطيف :

(٦) ص ٩.

(٧) مصباح الظلام ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨) في ترجمة الشيخ عبد اللطيف للإمام محمد بن عبد الوهاب. وهي في مجموعته الرسائل والمسائل النجدية ص ٣٨٠.

وطالت إقامة الشيخ ورجلته بالبصرة وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والعربية، وكتب من الحديث والفقه واللغة ماشاء الله في تلك الأوقات»^١هـ.

وقال ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» «أجازته - أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب - محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على اصطلاح أهل الحديث من المتأخرين»^١هـ.

هذا بعض ما ذكره أهل العلم في عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب بالعلم وكثرة مشايخه فيه. وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر من مشايخه من يلي:-

١ - والده الشيخ عبد الوهاب - مفتي نجد - أخذ عنه الفقه بعد أن حفظ القرآن عن ظهر غيب، قال حفيده العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب «أخذ - أي : محمد بن عبد الوهاب - الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي - مفتي الديار النجدية في وقته - وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الامام أحمد معروف مقرر عندهم»^(٩).

٢ - الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي المدني، ذكر صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» أنه قرأ عليه وأجازه بكل ما حواه. ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه، وشروح كل منها، وسنن الترمذى بسنده، وسنن أبي داود بسنده، وسنن ابن ماجه بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وكتب النووى كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب للمندرى، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض وكتب القراءات، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي، وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسند الإمام الأعظم، ومسند الامام أحمد، ومسند أبي داود - أي : الطيالسي - ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي وفقه الخنابلة وسلسلته وأصولهم».

(٩) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبته إلى تكفير اهل الايمان والاسلام ص ١٣٩.

وماتلقاه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي بالحديث المسلسل بالأولية والحديث المسلسل بالحنابلة. قال ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦ في بيان روايته عنه الحديث الأول «نقلت من خطه - أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مانصه: «حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة قال : أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا المحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الصدر أبو الفتح... وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المحافظ إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدي أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد^(١٠) الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، تفرد به سفيان ولا يصح سنده عنم هو فوق سفيان^(١١)» أ.هـ.

(١٠) ابن محمش بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية أخره شين معجمة.

(١١) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦، ٢٧، وقد صححنا من الاثبات ما يحتاج الى التصحيح.

والى ما أوضحه ابن غنام أشار الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب «روى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ثم المدني وأجازه من طريقتين . وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولية كتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرهمم الرحمن ارحموا من في الأرض يرهمكم»^(١٢) من في السماء»

وأما الحديث المسلسل فيقول ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧ «قال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله : حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم الحنبلي بمنزله بظاهر المدينة المنورة عن شيخ الاسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبلي إجازة عن والده تقي الدين المذكور قال : أخبرنا الشيخ عبدالرحمن البهوتي الحنبلي قال : أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي الحنبلي صاحب «منتهى الإرادات» أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد - قاضي القضاة الحنبلي - قال : أخبرنا به بدر الدين الصفدى القاهرى والحنبلي قال : أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي قال : أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال : أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام

(١٢) قال العلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحنبلي الدمشقي ثم الحلبي المتوفى سنة ١١٩٢هـ في «منار الاسعاد» ص ٣٠١ الرواية في «يرهمكم» بالرفع، كما نبه عليه شيخ مشايخنا الشيخ عبد الباقي - رحمه الله - في الكواكب السائرة له فقد ذكر في ترجمة شيخه العلامة أبي الثناء محمد البيهوني الحلبي أنه لما أسعده هذا الحديث المذكور أملاه عليه برفع «يرهمكم» على أنه جملة دعائية وقال له: هكذا أملاه علينا شيخنا البرهان بن العواد الحلبي وأفاد أن الرواية في «يرهمكم» بالرفع لكونها جملة دعائية وليست بالجزء على أنها جواب الامر انتهى ولا يمتنع الجزم عربية»أ.هـ.

أحمد»^(١٣). وإلى هذا المسلسل بفقهاء الحنابلة أشار العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة جده الإمام «سمع منه - أي: من عبد الله بن إبراهيم النجدي - مسلسل الحنابلة بسنده إلى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد» اهـ.

هذا - وهناك طريقان آخران أجاز بهما الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما ذكره ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» وأوضحه صاحب التوضيح أحدهما - عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلباني عن الشيخ أحمد ابن علي الوفائي المصلحي عن الشيخ موسى الحجاوي عن القاضي برهان الدين بن مفلح عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضي صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين أبي عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر عن القاضي أبي يعلى المرادوي عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزي عن الإمام أحمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - عن عبد القادر التغلبي عن عبد الباقي أبي المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائي عن موسى الحجاوي عن أحمد الشوبكي عن العسكري عن عبد الرحمن بن رجب^(١٤) عن ابن القيم عن تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبي عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفاء بن عقيل عن

(١٣) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧.

(١٤) كذا في «التوضيح ووقع في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» لفضيلة الشيخ البسام ج ٣ ص ٨٤٤ مانصه «عن أحمد العسكري عن علي بن سليمان المرادوي عن ابن خندس عن ابن اللحام عن المحافظ بن رجب» اهـ وهذا هو الصواب الموافق لما ورد في إجازة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي المكي للعلامة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد المسطورة في مقدمة كتاب «الأحكام السلطانية» للإمام أبي يعلى.

القاضي أبي يعلى عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزي^(١٥) عن الأثرم عن الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وسلم» ا.هـ.

٣ - من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الإمام المحدث محمد حياة السندی^(١٦) ذكر ذلك غير واحد منهم حفيده وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عثمان بن بشر. قال الشيخ عبد الرحمن في الرسالة التي أجاب بها من سأله عن روى عنهم من المشايخ بعد أن ذكر ماتلقاه عن جده محمد بن عبد الوهاب «سنده - أى : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - معروف، تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة منهم : محمد حياة السندی، والشيخ عبد الله بن ابراهيم القرضي الحنبلي» وقال الشيخ عثمان بن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص ٣٦ في ترجمة محمد حياة السندی «أخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، صاحب الإمداد في علوم الإسناد وأخذ عنه جماعة أجلهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، والشيخ علاء الدين السورى وغيرهما» ا.هـ.

وقد بين العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «مصباح الظلام» ما للشيخ محمد حياة السندی من أكبر الأثر على الإمام محمد بن عبد الوهاب حيث قال ص ٣٩ «كان له - أى الشيخ محمد حياة السندی - أكبر الأثر في توجيهه - أى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى والاشتغال بالكتاب والسنة» ا.هـ.

(١٥) كذا في التوضيح وفي بعض الأثبات «عن أبي بكر غلام الخلال عن أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال عن أبي بكر المروزي عن الامام أحمد ابن حنبل»

(١٦) كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبيه وصنف فيه مصنفًا ساه «تحفة الأنام» في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفًا عجيبًا شرحًا على الأربعين النووية ساه «تحفة المبين شرح الأربعين» ا.هـ. ذكر ذلك ابن بشر في عنوان المجد ج ١ ص ٣٤. وقال الكتاني في «فهارس الفهارس» ج ١ ص ٢٤٤ «له شرح على الترغيب والترهيب في مجلدين وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر والأربعين حديثًا من جمع الملا علي القارى والايقاف على سبب الاختلاف وتحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام» ا.هـ.

٤ - الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة، وهو عالم جليل أقام الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرأ عليه. قال ابن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ١٦ في خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من نجد الى البصرة يريد الشام قال: «فلما وصلها - أى: البصرة - جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة- في مدرسة فيها، ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي فأقام مدة يقرأ عليه فيها وينكر أشياء من الشريكيات والبدع وأعلن الإنكار واستحسن شيخه قوله: وقرر له التوحيد وانتفع به». ا.هـ.

٥ - الشيخ علي أفندي الداغستاني حينما اجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة وأجازه، ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق^(١٧). وذكر أنه أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ما حواه ثبت الشيخ أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما مما تقدم ذكره في إجازة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي للإمام محمد ابن عبد الوهاب، وممن عدّ الشيخ علي أفندي الداغستاني من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» قال ص ٢٣ «وأخذ - أى: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عن الشيخ علي أفندي الداغستاني، وعن المحدث الشيخ اسماعيل العجلوني وغيرهما من العلماء» ا.هـ. وذكره - أيضا - الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخات والمسلسلات» فقد صرح بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني ومحمد العفالقى» وذكره - أيضا - الشيخ محمد حامد الفقى في كتابه «تاريخ الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية» الطبعة الأولى.

(١٧) وعلى هذا هو علي أفندي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي عن الشيخ محمد بن علي الكامل عن الشيخ خير الدين الرملي وأخذ الشيخ علي أفندي - أيضا - عن الشيخ عبد الكريم الأمدى والشيخ أيوب الداغستاني ثم رحل الى الحجاز وجاور مدة وأخذ عن الشيخ محمد حياة السندى عن الشيخ عبد الله البصرى، وتوفى عام ١١٩٩. ذكر ذلك كله صاحب تفریب المراد في رفع الاسناد ص ١٢٢.

٦ - عبد اللطيف العفالقني الأحسائي، أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما، ذكر ذلك صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» ومن ذكر إجازة العفالقني للإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ محمد حامد الفقي في كتابه «في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب».

٧ - الشيخ اسماعيل العجلوني، ذكر ذلك العلامة ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية»، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٨ - الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، فقد جاء في «حصر الشارد» من أسانيد الشيخ محمد عابد في كتاب المحب الطبرى «القرى لقاصد أم القرى» رواه الشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب عن أبيه - الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى. ذكر ذلك العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي في «فهرس الفهارس والأنبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات». وتعقبه بقوله «ما ذكره - أى : صاحب حصر الشارد» من أن محمد بن عبد الوهاب أخذ عن البصرى فيه عندي نظر، فإن المعروف في تاريخ الوهابية أن محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١١هـ ومات سنة ١٢٠٧هـ، وهو الذى فى الخلاصة الدحلانية؛ فإذا إنما عاصر البصرى بنحو العشرين سنة، لأن وفاة البصرى كانت سنة ١١٣٤هـ، وعلى ما فى التوضیح لحفيده سليمان أن ولادته كانت سنة ١١١٠ وكذا فى الحطة لصديق حسن، فعلى هذا يستبعد أخذه عنه وهو بمكة وابن عبد الوهاب فى نجد. والمعروف أن ابن عبد الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه، كعلي الداغستاني ومحمد العفالقني. وفى الحطة أنه أخذ عن عبد الله بن ابراهيم النجدى تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي، وانظر كتب أولاده كالتوضیح لسليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وغيره، والله أعلم؛ ولو صح أخذ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى لكان آخر تلاميذه فى الدنيا مع أن آخرهم موتا فيما نحفظ الشمس محمد بن عبد الله المغربى، مات قبله سنة ١٢٠١ كما سبق فى الأضداد للبصرى». هذا مات عقب به الكتاني ما فى حصر الشارد، وفيه عندي نظر من وجوه؛ أولها أن المعروف فى تاريخ دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب أو ولادة الامام محمد بن عبد الوهاب كانت سنة ١١١٥ لا عام ١١١١.

الثاني : أن ماعزاه الى «التوضيح» و«الحطة» غير صحيح. فقد جاء في «التوضيح» مانصه : «ولد : أى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - سنة ١١١٥هـ، وجاء في الخطة انه سنة خمسة عشر بعد المائة والألف. وأما الخلاصة الدحلانية وغيرها من كتابات مؤلفها عن الإمام محمد بن عبد الوهاب فلا اعتبار بها لكرهته لدعوته وبغضه له: بل لو فرضنا أن الأمر بخلاف ذلك لا ينبغي للكتاني أن يقلد من أخطأ في خطأه. فقد قال المؤرخ : الإغراق في التقليد الأعمى الى اتباع الأوهام الساقطة التي تدل على أن الناقل أو الناسخ كان لا يتأمل ما يقرأ ويجرى به قلمه ولله عاقبة الأمور» اهـ.

الثالث : أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد حج في السنة الثانية عشرة من عمره، وكان الشيخ عبد الله بن سالم البصرى اذ ذاك لم يزل حياً، لأنه لم يتوف إلا عام ١١٣٠. فلا يستبعد اتصاله مادام الأمر كذلك.

٩ - الشيخ صبغة الله الحيدرى. ذكر ذلك الشيخ محمود شكرى الألوسى فى تاريخ نجد : «يقال إنه - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - قدم بغداد وأخذ عن صبغة الحيدرى»^(١٨).

(١٨) وصفه الشيخ أمين حسن الحلوانى المدني فى «مختصر مطالع السود بأخبار آل داود ص ٢٧ انه عالم علامة ثم قال : فمن أخذ عنه العلامة زين الدين الهكارى والعلامة محمد بن شروين والفاضل أحمد المحلى والجهد شيخ الكردوى الاسنوى ثم المدني، والشيخ عبد الملك العصامى فى الحديث النبوى وهو أخذ عنه - أيضاً - بحق سماع عبد الملك من والده عن العلامة ابن حجر المكي وذكر أنه توفى عام ١١٩٠هـ.

من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبد الوهاب

حظي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من ثناء أهل العلم عليه بالشيء الوفير:
وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم من يلي:-

١ - والده الشيخ عبد الوهاب، كان يتوسم فيه الخير ويحدث بذلك ويبيديه ويؤمل بذلك ويرجوه ويعترف بالاستفادة منه على صغر سنه. قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبد الوهاب - كان عبد الوهاب أبوه - أي : محمد - يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه ويقول : لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام أو قريبا من هذا الكلام، وذكر ذلك العلامة ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» ج ١ ص ٢٥.

٢ - العلامة الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني^(١٩) أنشد فيه قصيدة أثنى عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبالزمامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام. بين في تلك القصيدة ما عليه أكثر الناس في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التبرك بالأشجار والأحجار والقبور وغير ذلك من أنواع الانحراف.

يقول الصنعاني في تلك القصيدة

سلامي على نجد ومن حل في نجد .: وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقي الحيا .: رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أثير ينشد الريح ان سرت .: ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

(١٩) وقد أثنى عليه ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام بقوله ج ١ ص ١٩ كان مشهورا بالعلم والفهم. اهـ.

يذكرني مسراك نجدا وأهله .: لقد زادني مسراك وجدا على وجد
 قفي واسألني عن عالم حل سوحها .: به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
 محمد الهادي لسنة أحمد .: فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي
 لقد أنكرت كل الطوائف قوله .: بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
 وماكل قول بالقبول مقابل .: ولاكل قول واجب الطرد والرد
 سوى ماأتى عن ربنا ورسوله .: فذلك قول جل قدرا عن الرد
 وأما أقاويل الرجال فإنها .: تدور على قدر الأدلة في النقد
 وقد جاءت الأخبار عنه بأنه .: يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
 وينشر جهرا ماطوى كل جاهل .: ومبتدع منه فوافق ما عندي
 ويعمر أركان الشريعة هادما .: مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
 أعادوا بها معنى سواع ومثله .: يغوث وود بتس ذلك من ود
 وقد هتفوا عند الشدائد باسمها .: كما يهتف المفطر بالصمد الفرد
 وكم عقروا في سوحها من عقيدة .: أهلت لغير الله جهرا على عمد
 وكم طائف حول القبور مقبل .: ومستلم الأركان منهى باليد
 الى أن قال:

فقد سرنسي ماجاءني من طريقه .: وكنت أرى هذه الطريقة لي وحدي^(٢٠)

وفي بيان حالة الأقطار وقت ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول الصنعاني في
 قصيدة له أخرى:

(٢٠) وردت هذه القصيدة بكماها في ديوان الصنعاني ص ١٢٢ - ١٣٢ وأشار إليها شيخ الاسلام محمد بن
 عبد الوهاب في «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» بقوله: «الأمر كما قال الصنعاني في قصيدته»
 أقاويل لاتعزى الى عالم فلا تسأوى فلما ان رجعت الى النقد.
 وذكر الصنعاني في «تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد» منها أربعة أبيات تبديء بقوله:
 أعادوا بها معنى سواع، وتنتهي بقوله: ويستلم الأركان منهى بالأيدي
 وغير الصنعاني عما ذكره منها بالأبيات النجدية
 وذكرها ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٤٦ - ٤٩ ووصفها بأنها بدعية في معناها فائقة
 أتراها رونقا وحسنا.

أسائل من دار الأراضى سياحة . . عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح مارأى . . وليس لأهلها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم . . محاسن يرجى عندهن ثواب

٣ - العلامة محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار وغيره من الكتب
المهمة، ذكره في ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة من كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد
القرن السابع». وقال في ج ١٢ «وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور أى: عبد
العزیز بن سعود مجلدان لطيفان أرسل بهما الى حضرة حولان الامام حفظه الله، أحدهما
يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد الى إخلاص التوحيد والتنفير
من الشرك الذى يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب
والسنة. والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من سفهاء صنعاء وصعدة
ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات
محيرة مقررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة.
وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وأبطل جميع مادونوه، لأنهم مقصرون متعصبون فصار
ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه،
وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه الى سيدى المولى الإمام فذفع
حفظه الله جميع ذلك، فأجبت عن كتابة الذى كتب الى مولانا الإمام حفظه الله على
لسانه بما معناه: أن الجماعة الذين أرسلوا اليه بالمذكرة لاندرى من هم، وكلامهم يدل على
أنهم جهال، والأصل والجواب موجودان في مجموعين» ا.هـ.

وذكر الشوكاني في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من «البدر
الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ج ١ ص ٢٦٢. ذكر ما قام به الإمام محمد بن
عبد الوهاب من الدعوة الى توحيد الله عز وجل والإنكار على المعتقدين في الأموات،
وما قام به الامام محمد بن سعود من إجابته ونصره ومجاهرة من خالف دعوته دعوة
التوحيد، وقيام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود مقامه، وقيام الإمام سعود بن عبد
العزیز مقام عبد العزيز من بعده، وما لذلك في بلاد اليمن من الآثار العظيمة
فقال: «وصل اليه - أى: الى محمد بن سعود - الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب

الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه. وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه، فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد المقدسة والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها الى فتح كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود، ثم قام بعده ولده سعود فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش، وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحوية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد، ومازال الوافدون من سعود يقدون اليينا الى صنعاء الى حضرة الإمام المنصور والى حضرة ولده الإمام المتوكل، فكتب اليها بالدعوة الى التوحيد، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب الى - أيضا - مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة دمار وما يتصل بها»^{٢١} ا.هـ.

٤ - الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي^(٢١) قال في الثناء عليه والإشادة بدعوته.

الحمد حقاً مستحقاً أبداً .: لله رب العالمين أبداً
مصلياً على الرسول الشارح .: وآله وصحبه والتابعين
في البدء والختام وأما بعد .: فهذه منظومة تعد

(٢١) وصفه الشيخ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني الباني الصنعاني في كتابه «نيل الوطر في رجال اليمن في القرن الثالث عشر» بأنه الشيخ العلامة البارع في الفنون وقال : كان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودمائة أخلاق واشتغال بما يقربه من الأخلاق وكان المرجع لأهل جهته بعد وفاته قال : «ولما ظهرت الدعوة النجدية - يعني دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بالبلاد التهامية كان ممن مال اليها وحث الناس على اجابتها وكتب الى حاكم المخلاف السلياني أبي عريش القاضي عبد الرحمن البهكلي وسائر علماء المخلاف قصيدة في ذلك أولها :

هاج الشجي وهاج شوق الميتلي وبتد صبايات الغرام الأول

وذكر أن له مؤلفات في النحو وغيره ومات بقرية رجار من عسير في سنة ١٢٢٧هـ.

حركني لنظمها الخير الذي . . . قد جاءنا في آخر العصر القذى
 لما دعا داعي من المشارق . . . بأمر رب العالمين الخالق
 وبعث الله لنا مجددا . . . من أرض نجد عالما مجتهدا
 شيخ الهدى محمد المحمدي . . . الحنبلي الأثرى الأحمدي
 فقام والشرك الصريح قد سرى . . . بين السورى وقد طفى واعتكرا
 لا يعرفون الدين والتهليلا . . . وطرق الإسلام والسبيلا
 إلا أساميهما وباقي الرسم . . . والأرض لا تخلو من أهل العلم
 وكل حزب فله وليجه . . . يدعو في الضيق للتفريجة
 وملة الإسلام والأحكام . . . في غربة وأهلها أيتام
 دعا الى الله وبالتهيلة . . . يصرخ بين أظهر القبيلة
 مستضعفا وماله من ناصر . . . ولاله مساعد موازر
 في زلة وقلة وفي يده . . . مهفة تغنيه عن مهذه
 كأنها ريح الصبا في الرعب . . . والحق يعلو بجنود العرب
 قد أذكرتني درة لعمر . . . وضرب موسى العصا بالحجر
 ولم يزل يدعو الى دين النبي . . . ليس الى نفس دعا أو مذهب
 يعلم الناس معاني أشهد . . . أن لا إله غير فرد يعبد
 محمد نبيه وعبده . . . رسوله اليكم وقصده
 أن تعبدوه وحده لا تشركوا . . . شيئا به والابتداع فاتركوا
 ومن دعا دون الإله أحدا . . . أشرك بالله ولو محمدا
 إن قلتهم نعبدهم للقرية . . . أو للشفاة فتلك الكذبة
 فربنا يقول في كتابه . . . هذا هو الشرك بلا تشابه
 هذه معاني دعوة الشيخ لمن . . . عاصره فاستكبروا عن السنن
 فانقسم الناس فمنهم ثارد . . . مخاصم محارب معاند
 ما بين خفاش وبين جعل . . . شاهت وجوه أهل هذا المثل
 وبعدهما استجيب لله فمن . . . حاد في الله تردى وافتنن

ذكر هذه الآيات الشيخ سليمان بن سحان في كتابه «الصواعق المرسله الشهابية على شبه الداحضة الشامية» ص ٧٢، وأضاف الحفظي الى ذلك ما صرح به في «اللجام المكين والزمام المتين» حيث قال : ولقد كتبت الى بعض علماء اليمن وقضاتها منظومة قلتها في ذلك - أى في الدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والحق أولى أن يجاب وإنما : . لم أدر ماحيلولة التحيل إن كان ظنا أن ذاك مخالف : . فهو البرى من الخلاف الميطل بل قام يدعو الناس للتوحيد : . والتجريد والتفريد للرب العلى ويذب عن شرع النبي محمد : . ويذم من يدعو النبي أو الولي أو كان ظنا أن فيه غلاظة : . وفظاظة وشكامة لم تجمل فأقول حاشا ان فيه ليونة : . وهيونة للمقبل المستقبل وإذا رأيت مفاسدا من بعضهم : . فالشيخ عن ذاك الفساد بعزل

ومما وفق فيه العلامة الحفظي مكاتبة أئمة الدعوة في كل مناسبة تقتضي ذلك. فقد كتب اليهم يسأل عن مسألة الضيافة هل هي واجبة أم لا؟ وعن طلب الإمام وعماله الزكاة من الأموال للباطنة هل يجوز له أم لا؟ وعن حكم العمل بصريح الحديث وظاهره اذا وجده المرء في الأمهات الست أو ماالتزم مخرجه فيه الصحة والحسن. هل للإنسان العمل به والاعتماد عليه وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا؟ وهل عارضه أقوى منه؟ وفي خطاب الحفظي المتضمن لتلك الأسئلة تصرّحه بأنه على ما عليه الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من إخلاص الدعاء لله وترك عبادة ماسواه وأنه لايرضى بالإشراك والتخلف عن التوحيد ولو قدر فواق، فأجابه الشيخان الجليلان حسين وعبد الله ابنا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن تلك الأسئلة بجواب سجل تحت عنوان «المسائل الحفظية» في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ط مطبعة المنار ص ٥٤ - ٥٤٩.

وكتب الحفظي - أيضا- الى أئمة الدعوة يسأل عن ضبط كلمة الاخلاص ومعناها وحقيقتها وحكمها ولازمها وفائدتها ومقتضاها ونواقضها وامتتها، فأجاب عن ذلك

السؤال العلامة سعيد بن حجي الخبلي النجدي بجواب طويل جدا ورد في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ٨٤٠ - ٨٧٤.

وكتب رسالة أخرى يسأل فيها عن مسائل أوردها عليه بعض المجادلين في الدعوة وسمى تلك الرسالة «اللجام المكين والزمام المتين» فأجاب عنها الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الخبلي بجواب جيد في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٥٨٢ - ٦٥٩.

وللحفظي ألفية مازالت مخطوطة نظم فيها خمسة كتب للإمام محمد بن عبد الوهاب هي : تفسير كلمة التوحيد والخصال الثماني وكتاب التوحيد والثلاثة الأصول وكشف الشبهات. وله في التوحيد رسالة قيمة سماها «درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين». أثنى فيها على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى أنصار دعوته أئمة آل سعود حق الثناء قال فيها ص ٤٣ «فمن حين ظهرت هذه الدعوة النجدية الى توحيد الإلهية وجردت عليها السيوف فمن ردها وأبأها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه، وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت. والقرآن العظيم أكبر حجة على من بلغه، والمسائل الواضحة التي يشترك في معرفتها الخاص والعام، مثل توحيد الله بالعبادة وأنه لا شريك له فيها يدل عليها القرآن دلالة صريحة معقولة للتالي والسامع مع هداية العقل الى ذلك ودلالته عليه، وفهم الحجة غير بلوغها. وللعلماء أقوال في هذا المجال. وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»... قال «كالدعوة الى التوحيد».

هذا أمر مستفيض وشيء مشهور على علم التوحيد أنه فرض لازم. وعلى الشرب أنه حرام محض، ولكنها حصلت غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعمال كفرية وأقوال شركية وردة صريحة وأفعال قبيحة تتابع فيها كثير من الناس وقلد بعضهم بعضا الا قليلا من الأكياس، وكادت تنطمس آثار مباني الشريعة وتهدم معانيها المنيعة، وما أوتي الناس الا من قبل الولايات. وهل أفسد الدين إلا أولئك وأحبار سوء ورهبانها. حتى بزغ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله جنة المأب، فنور الظلام وأجلى الله به الغمام وبين سبل السلام الى بلوغ المرام، وألف

المؤلفات في التوحيد بجميع العبادات مع اقامة الحجج القاطعة والإنصاف التام في المناظرة والمراجعة، فعاد قارح الإسلام به جذعا ورجع دارس الأحكام به متبعا، وكان رحمه الله سنيا أثريا متبعا، وأجاب دعوته وأوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود على قلة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن، ثم أزره بجهوده وبطوقه وعارضه حتى استوى على سوقه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٥ - الشيخ محمود شكرى الألوسي قال في تاريخ نجد ص ١١٤ (كان - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - شديد التعصب للسنة كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء، والحاصل أنه - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - من العلماء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات، وقد جد في تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الدين وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دينه الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من أدلة، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول مادعا اليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغى إلا لله؛ كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة، وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة» ا.هـ.

وقال الألوسي في هذا الكتاب في موضع آخر «وقد قرر - أى : الامام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهادة وتستوعبه وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت والانتهاه حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره وخفيه وجليه كلييه وجزييه ماظهر به فضله وتأكد علمه ونبله، وأنه سباق غايات وصاحب آيات لايشق غباره ولا تدرى في البحث والإفادة آثاره وأن أعداءه ومنازعيه

وخصومه في الفضل وشأنيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه . . فالناس أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها . . حسدا وبغيا إنه لدميم

٦ - العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المعروف بابن بدران
الدمشقي، وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن
حنبل» ص ٢٢٩: بأنه العالم الأثرى والإمام الكبير قال : «ولما امتلأ وطابه من الآثار
وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله
الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشريعة السمحاء، وأعانته قوم وأخلصوا العبادة لله وحده
على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص والدعوة إليه وإخلاص الوجدانية والعبادة
كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده، وهب إلى معارضة أقوام ألفوا الجمود على ما كان
عليه الآباء وتدرعوا بالكسل عن طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك
الوتر وجنود الحق تكافحهم فلا تبقي منهم ولا تذر، وما أحقهم بقول القائل.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها . . فلم يضرها وأعياناً^(٢٢) قرنه الوعل

ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف.

(٢٢) وفي بعض النسخ (وأوهي)

تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب

تلقى العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عدة من العلماء الأجلاء نذكر منهم من يلي :-

١ - سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أقام مدة سنتين يقرأ على الإمام محمد ابن عبد الوهاب، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، ولهذا الإمام معرفة بالفقه والحديث وغير ذلك، وكان كما وصفه بعض العمانيين حيث قال :

إذا جرت باب السيف تلقاه فارسا . . . وإن جرت باب العلم تلقاه عالما
وإن جرت باب الخوف تلقاه خائفا . . . وإن جرت باب السلم تلقى مسالما
وإن جرت باب الدين تلقى ديانة . . . وإن جرت باب الحكم تلقاه حاكما

ولهذا الإمام ترجمة حاسمة في عنوان المجد.

٢ - حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في بلد الدرعية. قال ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ج ١ ص ١٥٦ «له مجالس عديدة في الفقه والتفسير وغير ذلك وانتفع أناس كثيرون بعلمه» ووصفه بأنه العلامة المفيد مفتي فرق أهل التوحيد.

٣ - علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم جليل ورع شديد الخوف من الله عز وجل، يضرب به المثل في الورع والديانة، وله معرفة تامة بالفقه والتفسير وغير ذلك، وقد عرض عليه القضاء فأبى.

٤ - عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الدرعية زمن سعود، وكان آية في العلم وفي معرفته ومعرفة فنونه.

٥ - ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم فاضل أدركه ابن بشر وقرأ عليه «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب، وقال في عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٠٣ «وأما ابراهيم ابن الشيخ فرأيت عنده حلقة في التدريس له معرفة في العلم، ولكنه لم يل القضاء. قرأت عليه في صغرى في كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف».

٦ - حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢٣) الإمام القاضي عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ذكر تلمذته على جده في رسالته التي أجاب بها السؤال عن مشايخه الذين روى عنهم العلم قال : «اعلم أنني قرأت على شيخنا الإمام المجدد شيخ الإسلام - أي : محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كتاب التوحيد من أوله الى أبواب السحر وجملة من آداب المثي الى الصلاة، وحضرت عليه مجالس كثيرة في البخارى والتفسير وكتب الأحكام بقراءة شيخنا الشيخ ابنه عبد الله رحمهما الله وشيخنا الشيخ ابنه علي - رحمهما الله في سورة البقرة من تفسير ابن كثير وفي كتاب منتقى الأحكام بقراءة الشيخ عبد الله بن ناصر وغيرهم وسنده - أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب -

(٢٣) لهذا الامام ترجمة طنانة في «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ج ٢ كان مما ورد فيها ص ٢٥ مانصه : «قد كان منتبها فطنا لدناس أهل البدع كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء انه على مايشاء قدير» فكتب الي وقال في أثناء جوابه : ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهي قول الكثير اذا سأل الله تعالى قال : «وهو القادر على مايشاء» وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شرا، وكل ماني القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس في القرآن والسنة مايمخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وانما قصد أهل البدع بقولهم : «وهو القادر على مايشاء» أي أن القدرة لاتتعلق الا بما تعلقت به المشيئة» ا.هـ. قال : وكتبت اليه مرة أنهنته بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت الى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لايعلمها الا هو فكتب الي فقال : «وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك - جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات - قلت : وأتوسل اليك بصفاتك الكاملة التي لايعلمها الا أنت : فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لايعلمه الا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الامام مالك «الاستواء معلوم والكيف مجهول» ففرق هذا الامام بين مايعلم من معنى الصفة على مايليق بالله فيقال : استواء لايشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه الا الله. فتنبه لمثل هذا فالامام مالك تكلم بلسان السلف فانظر الى سعة علومه واطلاعه» ا.هـ.

رحمه الله - معروف تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة، منهم محمد حياة السندی والشيخ عبد الله بن ابراهيم الفرضي»^{١٥٩}هـ.

٧ - العلامة الجليل القاضي حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر. قال ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٩ «أخذ العلم عن عدة مشايخ أعلام أجلمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب». ثم ذكر ابن بشر في ترجمته أنه صنف ودرس وأفتى.

٨ - قاضي ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري^(٢٤)، وهو عالم عامل زاهد ورع حليم ليس للدنيا عنده قدر. أقام عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين يقرأ عليه، وكان الشيخ يكرمه وهو الذي استعمله قاضيا في تلك الناحية - ذكر ذلك ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٣٦.

٩ - الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجر قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن عبد العزيز وابنه سعود. قال ابن بشر ج ١ ص ١٧٢ «أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخذ عنه عدة من ناحيتهم».

(٢٤) وكان عبد العزيز هذا موضع الثقة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد بن سعود يتبين ذلك في قضيتين ذكرهما ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» الأولى : انه في السنة الخامسة والثمانين بعد المائة والألف أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز الى والي مكة الشريف احمد بن سعيد اجابة لطلب الشريف منها أن يرسل اليه فقيها وعالما يبين لهم حقيقة ما يدعون اليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة فأرسله اليه وكتبا معه الى الشريف رسالة، فلما وصل اليهم عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقب بالقعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم : يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في ثلاث مسائل: الأولى : مناسب الى الشيخ من التكفير بالعموم، والثانية : هدم القباب على القبور، والثالثة : انكار دعاء الصالحين فما لا يقدر عليه الا الله فذكر لهم الشيخ عبد العزيز ان نسبة التكفير بالعموم الى الشيخ زور، وأقنعهم بأن هدم القباب على القبور هو الصواب وبأن دعاء غير الله عز وجل فما لا يقدر عليه الا الله من الشرك الذي فعله الأوائل، وأطلعهم على عبارة الاقتناع في ذلك.

الثانية : من القضيتين أنه في السنة الرابعة بعد المائتين والألف أرسل الشريف غالب بن مساعد امير مكة الى الامام عبد العزيز كتابا يطلب فيه منه انسانا عارفا من أهل الدين يبين لهم حقيقة الأمر فأرسل اليه عبد العزيز الحصين وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة بين فيها دعوته ومقاله.

١٠ - قاضي مرات الشيخ حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن عبد الله قال بن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ٨٣ «قرأ على الشيخ محمد - أي : ابن عبد الوهاب - وتزوج ابنته وسكن الدرعية عنده».

١١ - قاضي الدلم وناحية الخرج محمد بن سويلم.

١٢ - عبد الرحمن بن خميس. إمام قصر آل سعود في الدرعية والقاضي زمن عبدالعزيز وابنه سعود.

١٣ - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، كان قاضي بلد العيينة ثم كان قاضيا في الأحساء زمن سعود وابنه عبد الله.

١٤ - الشيخ محمد بن سلطان العوسجي. قاضي المحمل والأحساء.

١٥ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبو حسين. قاضي حريملاء وبلد الزلفي وغيرها.

١٦ - الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان القاضي في حريملاء زمن عبد العزيز.

١٧ - الشيخ عبد العزيز بن سويلم. قاضي ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وابنه عبد الله.

١٨ - حمد بن راشد العويني. قاضي سدير زمن عبد العزيز.

١٩ - الشيخ العلامة حسين بن غنام صاحب «روضة الأفكار والأفهام» وصفه ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٦ بقوله «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة بالشعر والنثر. صنف مصنفات منها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين». ذكر ذلك في وفيات السنة الخامسة والعشرين بعد المائتين والألف.

هذا قليل من كثير ممن أخذوا العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - فقد قال ابن بشر بعد ذكر من سردناهم قبل من القضاة ج ١ ص ١٠٤ قال :

«أخذ عنه من القضاة من لا يحضرني الآن عدّه عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الغفيل» ١.هـ.

مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب

صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة نافعة منها :

١ - كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

٢ - كتاب الإيمان.

٣ - أصول الإيمان.

٤ - فضائل الإسلام.

٥ - فضائل القرآن.

٦ - السيرة المختصرة

٧ - السيرة المطولة.

٨ - مختصر الصواعق.

٩ - مختصر العقل والنقل.

١٠ - مختصر منهاج السنة.

١١ - مختصر فتح الباري.

١٢ - مختصر الهدى النبوي.

١٣ - مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه.

١٤ - مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

١٥ - كشف الشبهات.

١٦ - آداب المثي الى الصلاة.

١٧ - الاستنباط

١٨ - مسائل الجاهلية.

١٩ - كتاب الكبائر.

٢٠ - مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات عديدة غير ماسميناه. فقد قال الإمام ابن غنم في «روضة الأفكار والأفهام»^(٢٥) بعد أن ذكر من مصنفاته «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» و«كتاب الكبائر» و«كشف الشبهات» و«كتاب السيرة المطولة» و«كتاب السيرة المختصرة» و«مختصر الهدى النبوي» و«مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» قال : «وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلا واستوعبنا ماوقفنا عليه منها^(٢٦)» وذكر ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٠٢ من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» و«الاستنباط» و«كشف الشبهات» و«كتاب الكبائر ومسائل الجاهلية» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» و«آداب المشي الى الصلاة» وقال في كلامه على تلك المصنفات - أى : مصنفات الشيخ «وصنف غير ذلك عدة نسخ وأوراق وفتاوى ومراسلات فقهية وأصولية أكثرها في أصول التوحيد، وذكر أنه رأى مجلدات عديدة من مراسلات الإمام محمد بن عبد الوهاب وفتاويه ونبذ وضعها لأهل الآفاق كلها في أصول الإسلام» ا.هـ.

هذا - وقد بذلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجهودا كبيرا في جمع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مطبوعها ومخطوطها لإظهارها من طريق الطبع بالمظهر اللائق بمكانتها. فبحثت عنها في نجد وفي غيرها من مختلف الأقطار فحصلت منها الشيء الكثير، ثم قدمت الجميع الى من ترى فيه من العلماء الكفاءة للقيام بالواجب نحوه، وذلك بأن يتولى البعض ترتيب تلك المصنفات حسب فنونها، ويتولى البعض الآخر مايتطلبه

(٢٥) ج ١ ص ٥٠.

(٢٦) وذلك في الفصل الثالث في سرد بعض رسائل أرسلها الى بعض البلدان والى بعض خواص الإخوان.

الطبع من المقابلة والتصحيح والتعليق والإشراف بالدقة والتحرى على ما يطبع، فبذل أولئك العلماء مجهودهم في أداء تلك المهمة التي تستهدف الجامعة من ورائها إطلاع القراء على علم الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى دعوته كما هي هي بأوثق طريق وأبعده عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل، فنجحت في ذلك

جزاها الله عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن دعوته خير الجزاء.

دعوة

الإمام محمد بن عبد الوهاب الى ماعليه السلف الصالح

يتضح من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر وتقاريره ومراسلاته أن دعوته ماكانت الا الى ماعليه الأمر في عهد السلف الصالح. يتضح ذلك بما يلي :

١ - في باب صفات الله تعالى وأسائه دعا الى وجوب الإيمان بما في كتاب الله تعالى من ذلك، وبما في الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٢ - في توحيد الألوهية دعا الى ماتضمنته شهادة أن لاإله إلا الله من نفس استحقاق العبادة بجميع أنواعها عن سوى الله تعالى واثبات العبادة لله عز وجل على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته معتمدا في ذلك على نصوص كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح في بحوثه أن ما يفسر به بعض المتكلمين شهادة أن لاإله إلا الله وهو أنه لا قادر على كل شيء ومفتقر اليه كل ماعداه إلا الله. ليس معنى الشهادة المقصود بالوضع وإن كان لازم المعنى: إذ الإله الحق لا يكون إلا قادرا غنيا عما سواه، وصرح بأنه لطفاء هذا على من خفى عليه زعم أن الغاية المقصودة من هذه الشهادة «لا إله إلا الله» مجرد توحيد الربوبية.

٣ - فيما يتعلق بالرسول عليهم السلام يوجب الايمان بهم وبما جاءوا به من عند الله ويدعو الى تجريد المتابعة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والى القيام بحقوقه من الحب والتوقير، وتقديم ما جاء به على كل ماسواه والوقوف معه حيثما وقف والانتهاه اليه حيثما انتهى، كما دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الإيمان بملائكة الله وكتبه على الوجه الذي يرضى الله عز وجل.

٤ - في مسائل القضاء والقدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشيع، يدعو الى التزام معتقد السلف الصالح في جميع ذلك والى البراءة مما عليه القدرية المنفاة والقدرية المجبرة ومما ابتدعته المرجئة والرافضة وغلاة الشيعة والناصبية من البدع.

٥ - في أمور الآخرة دعا الى الإيمان بما أثبتته النصوص من البعث بعد الموت.. والحساب والميزان والحوض والصراط والجنة والنار والشفاة وغير ذلك مما ثبتت به النصوص.

٦ - في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن طالب ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة، ودعا الى تولى جميع الصحابة والكف عما شجر بينهم، وأوضح أنهم أحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالعفو عما صدر منهم وأقربها الى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم، وحذر من سلوك مسلك الروافض والنواصب فيهم.

٧ - في علماء الأمة من أهل الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية أثبت لهم الفضل والإمامة. ويأمر بقبول مالا يتعارض مع النصوص من أقوال أئمة العلم ومنع الانفراد عنهم برأى مبتدع أو قول مخترع، ويرى للأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة ما يليق بمكانتهم، ومذهبه مذهب الإمام احمد بن حنبل، ولكن اذا بانث له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بها ولا يقدم عليها قول أى أحد كائنا من كان، بل هى فى صدره أجل من ذلك. يقول فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة «اذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة أخذنا به وتركنا المذهب: كإرث الجد والإخوة فإننا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة^(٢٧). أ.هـ.

(٢٧) كذلك كان محمد حياة السندى شيخ الامام محمد بن عبد الوهاب فقد ورد فى ثبت الفلانى الكبير فى ترجمة ابى الحسن السندى الصغير مانصه «كان اماما عالما بالسنة وأثارها عاملا بها مجتهدا لاعصبية فيه قد

٨ - فيما يتعلق بدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم دعا الى التزام مافي كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تحريم جميع ذلك ولم يرض في أى شيء من
ذلك الا بمستند من الشرع.

هذا مجمل دعوة مجدد القرن الثانى عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب وبه يتبين أنها
ليست سوى تجديد مامضى عليه السلف الصالح من تصفية الدين من شوائب الشرك
والبدع.

يعمل بخلاف مذهبه فيما ظهر له فيه الحق على خلاف مذهب امامه كشيخه محمد حياة السندي» ٥٠١ نقل
ذلك عن الفلانى العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى فى «فهرس الفهارس والاثبات» ج ١ ص ١٠٤.

من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

أعدت هذه الدعوة المباركة الدين الى ماكان عليه في عهد السلف الصالح فظهر
لذلك من الآثار مايلي :

- ١ - قلع أصول الشرك في العبودية وهدم آثاره وسد أبوابه.
- ٢ - الرجوع الى مافى القرآن والحديث من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبودية بعد أن كاد الجهل بذلك يعم.
- ٣ - رفع غشاوة الجهل وكابوس التقليد الأعمى
- ٤ - العناية بالعامّة، وذلك بتعليمهم معنى الشهادتين وإلزامهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام بعد أن كان بعضهم لايعرف من الإسلام شيئا غير مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على مافى تلفظهم بها من عوج ولا يقومون بشيء من واجباتها.
- ٥ - جمع شمل المسلمين بعد التفرق وإطفاء نيران الظلم والفتن وتأمين السبل، ففى "مختصر مطالع السعود الى طيب أخبار آل داود" للشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدنى ص ٨٠ مانصه «ومن محاسنهم - أى آل سعود حماة هذه الدعوة - أنهم أمنوا البلاد التى ملكوها، وصار كل ماكان تحت ملكهم من هذه البرارى والقفار - أى التى ذكرها المختصر قبل - يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خطر خصوصا بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام، كأنهم إخوان أولاد رجل واحد الى أن عدم الشرفى زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش الى الإنسانية

وتجد في بعض الأراضى المخصبة هذا بيت عنزى وبجنبه بيت عتيبي وبقره بيت
حربى، وكلهم يرتعون كأنهم إخوان، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتى ولا يطاها
الغريب مثلا كما هو مشاهد الآن» اهـ.

٦ - الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل، قال الشوكانى في مرثيته بعد تعزيتة فيها :

لآل الشيخ وأضعافها^(٢٨) للمقرنين كلهم .: هداة العروى من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم .: جميع بنى الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا في الله حق جهاده .: الى أن أقاموا بالطبى كل مائل

(٢٨) أى التعزية

وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب

توفي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة عام ١٢٠٦، بذل جهده طيلة ذلك العمر في طاعة مولاه والاستعداد ليوم المعاد والدعوة الى الله عز وجل. وقد رثى بمرثي كثيرة تقتصر منها على مرثيتين: إحداهما لحسين بن غنام، والثانية للإمام الشوكاني.

قال ابن غنام:

الى الله في كشف الشدائد نفع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى
إمام أصيب الناس طرا بفقدته
وأظلم أرجاء البلاد لموته
شهاب هوى من أفقه وسائه
وكوكب سعد مستنير سناؤه
صبح تبدى للأنام ضياؤه
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة
لقد رفع المولى به رتبة الهدى
أبان له من لمعة الحق لمعة
سقاها غير الفهم مولاه فارتوى
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
فأنوار صبح الحق باد سناؤه

وليس الى غير المهيمن مفزع
فسالت دماء فى الخدود وأدمع
وطاف بهم خطب من البين موجع
وجل بهم كرب من الحزن مظجع
ونجم ثوى فى الترب واره بلقع
وبدر له فى منزل اليمن مطلع
فداجى الدياجى بعده متشجع
وقد كان فيه للبدية مرتع
فأسأعهم للحق تصفى وتسمع
حووا واقتنوا مافيه للعيش مطع
بوقت به يعلى الضلال ويدفع
أزبل بها عنه حجاب وبرقع
وعام بتيار المعارف يقطع
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
ومصباحه عال ورياه ضيع

سما ذروة المجد التى مارتنقى لها
وشمر فى منهاج سنة أحمد
وينفى الأعدى عن حماه وسوحه
يناظر بالآيات والسنة التى
فأضحت به الساء يبسم ثغرها
وعاد به نهج الغواية طامسا
وجرت به نجد ذبول افتخارها
فأثاره فيها سواح سوافر
لقد وجد الإسلام يوم فراقه
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى
وطارت قلوب المسلمين بيومه
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا
وفاضت عيون واستهلكت مدامع
بكنه ذوو الحاجات يوم فراقه
فمالى أرى الأبخار قلص دمعها
ومالى أرى الأسباب تبدى قساوة
لقد غدرت عين تظن بماءها
يحق لأرواح المحبين أن ترى
وتتلو سريرا فوقه قمر الهدى
فما بالها قرت بأشباح أهلها
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى
لئن كان فى الدنيا له القبر موضعا
سقى قبره من هاطل العفوديمة
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى

سواه ولا حاذى قناها سميذع
يشيد ويحيى ماتعفى ويرفع
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
أمرنا اليها فى التنازع نرجع
وأسمى مجياها يضىء ويلمع
وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وحق لها بالألعى ترفع
وأنواء فيها تضىء وتسطع
مصابا خشيناه بعده يتصدع
وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وظنوا به أن القيامة تفرع
وكادت قلوب بعده تتفجع
يخالطها مزج من الدمع يهجع
وأهل الهدى والحق والدين أجمع
وليست على فقدها تهمنى وتدمع
وليست على ذكراه يوما توجع
عليه وكبد قد أبت لاتقطع
مقوضة لما خلت منه أربع
وشمس المعالى والعلوم تشيع
ولم تك فى يوم الوداع تودع
وحل به طود من العلم مجرع
فيوم الجزايرجى له الخلد موضع
وباكره سحب من البر همع
ولا زال بالرضوان فيها يمتع

(*) هذه المرثية كلها فى «روضة الأفكار والافهام» لابن غنام ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦

وقال الشوكاني :

وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلى
فأمتت بفرط الوجد أى ثواكل
وأنهلتى قسرا أمر المناهل
حليف أسى للقلب غير مزائل
وقلب من الحزن البدح ذاهل
ومن كرب لاقيت أعظم هائل
وعن حمله قد كل متنى وكاهلى
وكان على حال من الحزن هائل
وقد شمخت أعلام قوم أسافل
بها نجم روحى كان أسرع أفل
وشد بناء الغى مع كل باطل
نعيق غراب بالمذلة هائل
هوان انهدام جاء من كل جاهل^(٢٩)
بسم لنفس الدين صرد وقاتل
وياكبدى انقضى بحزن مواصل
ويافجعتى للقلب ماعشت نازلى
وجودى بدمع دائم السكب هائل
وياسلوتى ولى وللقلب زائل
ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وغيب وجه الحق تحت الجنادل
ومروى العدى من فيض علم ونائل
وجم القرى صدر الصدور الأوائل
جلى الخفا عن مشكلات المسائل
منيل المنى من سيبه كل أمل

مصاب دها قلبى فأذكى غلائلى
وخطب به أعشار أحشاي صدعت
ورزه تقاضانى صفاء معيشتى
غدوت به وهن التياع ولاعج
أسير جوى أفنى فؤادى رسيه
مصاب به قامت علتى قيامة
مصاب به ذابت حشاشة مهجتى
مصاب به قد أظلم الكون كله
مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها
رميت به عن قوس أبرح لوعة
به هد ركن الدين وانبت حبله
وقام على الإسلام جهرا وأهله
وسيم منار الاتباع لأحمد
وهبت لنار الابتداع سائم
فيامهجتى ذوبى أسى وتأسفا
وياالسوعتى دومى وزيدى ولازمى
ويامقلتى غنى الكرى عنك جانبا
وياجزعى لاغبت كن متجددا
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا
وماتت علوم الدين طرا بموته
إمام الهدى ماحى الردى قامع العدى
جمال الورى رجب الذرى شامخ الذرى
عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا
بهى السننا عذب طيب الثنا

(٢٩) كذا في أثر الدعوة الوهابية للشيخ محمد حامد الفقى وفي الدرر السنينة قسم التراجم.

إمام الورى علامة العصر قدوتى
محمد ذو المجد الذى عز دركه
الى عابد الوهاب يعزى وانه
عليه من الرحمن أعظم رحمة
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه
امام له شأن كبير ورتبة
فريد كمال فى العلوج فهل ترى
على خلق يحلى الشيخ لطافة
وقلب سليم للمهيمن خاشع
وجنب تجافيه المضاجع فى الدجى
وعن ذكر رب العرش فى السردائحا
عفو عن الجانى صفوح وحلمه
يقابل من يلقى ببشرى ومبسم
ويأمر بالمعروف فى كل حالة
ولم يأل جهدا فى نصيحة مسلم
يجازى بإحسان إساءة غيره
تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى
ومن شأنه قمع الضلال ونصره
وكم كان فى الدين الحنيفى مجاهدا
وكم ذب عن سامى حماه وذاد من
فقيم استباح أهل الضلال لعرضه
وليس له شىء عن الله شاغل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزا
ولا كان للتوحيد واضح لاحب
فما هو الا قائم فى زمانه
ستبكيه أجفانى حياتى وإن أمت

وشيخ الشيوخ الجبر فرد الفضائل
وحل مقاما من لحوق المطاول
سلالة أنجاب زكى الخصائل
تبل قراره بالضمى والأحائل
وقام مقامات الهدى بالدلائل
من الفضل تثنى عزة المتطاول
له فى تقادير لها من مماثل
وكامل أوصاف وحسن شئائل
ضيب وعن مولاه ليس بغافل
وجفن بهتان المدامع هامل
وفى الجهر طوال الدهر ليس بغافل
الى الشيخ يعزى ليس يهفو لعاجل
ضحوك ووجه للبشاشة باذل
وعن منكر ينهى وليس بقابل
برأى وتدبير وحسن تعامل
وبالجاه عن مستوجه غير باخل
ولم يمض منه العمر فى غير طائل
لمن كان مظلوما وليس بخاذل
بماضى سنان دافع للأباطل
مضل وبدعى ومغو وفائل
ومانكست أعلامه بالاراذل
ولا عن وصال الاعتبار بغافل
ولا اشتد للإسلام ركن المعائل
يقم اعوجاج السير من كل عادل
مقام نبى فى إماتة باطل
سيبكيه عنى جفن طل ووابل

وتبكيه أقلامى أسى ومحابرى
عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن
ومن نعش كان حامل جسمه
ولا غرو وأن بكى الزمان لفقده
فأها على ذاك المحيا وحسنه
وأها على تحقيقه فى دروسه
فمن للبخارى بعده ولمسلم
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى
ومن لمسانيد سمت ومعاجم
ألم تر أن الدهر نصف كآبة
ومن للمعانى والبيان ومنطق
ومن لك بالأصلين واللغة التى
ومن بعده للصدع بالحق قائم
أفق يامعيب الشيخ من ذا تعيبه
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله
ولما دعا لله فى الخلق صارخا
دعا لكتاب الله والسنة التى
فوا أسفى وأهف قلبى وحسرتى
وياندمى لو كان يجدى من القضا
ولو كان من ريب المنية مخلص

وتبكيه طرسى دائما وأناملى
يميد بير فائض العلم سائل
هنيئا له اذ كان أشرف حامل
فقد كان غيث الجود كهف الأرامل
وأها على تلك العلوم الجلائل
وتوضيحه للمعضلات المشاكل
يبين المخبا منهما للمحاول
لأحكام فقه الدين من للرسائل
وكشف لثامى الحكم عند النوازل
عليه وذو جسم من الحسن ناكل
وردع أخى الجهل الغوى المجادل
بها أنزل القرآن أشرف نازل
يجد ولا يخشى ملامة عازل
لقد عبت حقا وارتحلت بباطل
وثل التعصب بالسيف الصياقل
صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أناها بها طه النبى خير قائل
عليه ويأحزنى لأكرم راحل
ولكن قضاء الله أغلب حائل
لكنت له بالجهد أى محاول

ومرالى أن قال وهو يعزى فيه آل الشيخ

فيا سائر الأولاد للشيخ اننى
وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما
أعزيكم مع ذى انتساب لوائل
بجارى القضا فى عاجل ثم أجل
لديه تعالى من أجور جزائل

فما جزع يوما بنافع جازع
ومثلكم لايعتريه تزلزل
فإن كان للجنات والدمكم مضى
وأنتم بحمد الله عنه خلافه
وإننا لنترجو أن تكونوا أئمة
وللخير والإحسان من كل وجهة
ونسأل رب العرش يعظم أجوركم
ويجبر صدع القلب والكسر منكم
ولازلتم غيظ القلوب لكل من
ولافجعت في الدهر ساحة سوحكم
عليكم سلام الله ماهب نائم
وأوفى الثنا منى عليكم مكررا

وماحزن رد القضاء بفاعل
ولا وهن في فادحات النوازل
فقد كان فينا معقبا كل كامل
بعلم وفضل شامخ القدر شامل
بكم يقتدى في دينه كل فاضل
تحت اليكم مضمرة الرواحل
ويحميكم من طارقات الغوائل
ويعقبكم طرا جمال المحافل
يعاديكم من كل حاف وناعل
برزه لموصول المسرة فاضل
وجمل زاكى ذكركم كل عاطل
وأزكى تحيات سواح كوامل

* ثم قال الشوكاني في تعزيتة الأئمة من آل سعود في ذلك الإمام:

وأضعافها للمقرنين كلهم
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم
لقد جاهدوا في الله حق جهاده
فناديهم في كل ناد مبجل
سعود مضى والسعد حالف نجله
لقد نصروا دين الإله وحزبه

هداة الورى من محتدى فرع وائل
جميع بنى الدنيا فما للمجادل
الى أن أقاموا بالظبا كل مائل
فحقهم التبجيل بين القبائل
كما حالف الآباء ليس براحل
كما دفعوا داعى الهوى بالقنابل

(*) ساق الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مرثية الشوكاني هذه كلها في قسم التراجم من الدرر السنية ص ٢٠ -
٢٤ وأورد الشيخ محمد حامد الفقى الكثير منها في أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الاصلاح
الدينى والعمرانى.

عليهم سلام الله ماذر شارق وماهتزت الأزهار في صبح هاطل
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى الهادي كريم الشرائل
محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل

وفي ختام كلمتى هذه نسأل الله أن يجزى الإمام محمد بن عبد الوهاب وآل سعود
عن الإسلام خير الجزاء، والله ولى التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

المرأة في حياة إمام الدعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ
عبد الجبار

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

لم یعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - أسبغ الله عليه شأبيب عفوه ورضوانه - إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصة تعترضه عقبات يقف أمامها حائراً.

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الإمامين عبدالعزيز وابنه سعود، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥هـ)، يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمداً في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ - اجتمع له أهل جدة في جامعها الكبير، فقرأ عليهم رسالة جدّه في بيان حقيقة الدعوة.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد، وقد يكون هذا ناشئاً عن عدم اهتمامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو الصق بها لا يزال غامضاً، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازري الشيخ في عمله الجليل، عالم نجد في عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن - قاضي الدرعية في ذلك العهد - الذي وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله^(١): (ما نعرف من علماء نجد، ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه) - عندما يروم الباحث معرفة شيء مما

(١) تاريخ ابن غنم المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد - ص ٣٤٢ -

تتعلق بحياته لا يمجّد فيما بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة، بل لا يمجّد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبدالوهاب.

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة في حياة الامام) لا يعدو الاشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها، لا يزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظا، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء، وتعنى ببيان صلة القرابة، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة.

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعدّ تجاهلا لحياتنا كلها، ولواقعنا الذي نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد - رحمه الله - إنصاف المرأة، والدفاع عن حقوقها.

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله^(٢): (إذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه، وفرّ من قسمة الله، مثل أن يريد أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات - إلى أن قال: ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة برّ تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله).

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة.

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية.

(٢) ابن غنم «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦.

إن في واقع تاريخنا أمثلة حية لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة، حتى في مقارعة الأبطال، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال، فغالية البقمية^(٣) كان لشجاعته وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد على باشا في وقعة تربية سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م)، ثم تصدّت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة ليشأر لهزيمة ابنه، بشجاعة نادرة، أثارت حفيظة الباشا الذي تمتنى أن يقدر على إمساكها بعد انهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعة بسل، وقال عنها المؤرخ المصري محمود فهمى المهندس في كتاب «البحر الزاخر»^(٤):
وتكدر محمد علي باشا كثيرا من هرب غالية ونجاتها من يده، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية، علامة وشهرة على نصره وظفره. انتهى.

ومع شهرة تلك المجاهدة الشجاع، لم يرد لها ذكر في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة.

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسيا منسيا، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبدالرحمن آل عرفج من أمراء القصيم آل عليان من العناقر من تميم، التي قال عنها الأمير عبيد بن علي بن رشيد - يذكر السيف -:

ليا عاد ما نرويه من دم الأضداد ودوه يم العرفجيه ترويه

وتجد خبرها مفصلا في كتاب «بلاد القصيم»^(٥) للأستاذ الشيخ محمد العبودي.

(٣) انظر عن غالية مجلة «العرب» س ٥ ص ٨٠٠ و س ٦ ص ٣٩٤ و «الاعلام» للزركلي حرف الغين - ومجلة «الزهراء» ج ١ ص ١١٨ وتاريخ الجبوتي حوادث سنة ١٢٢٩هـ و «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج ١ ص ١٨٨/١٨٧/١٧٣ تأليف محمود فهمى المهندس المتوفى في سيلان سنة ١٣١١ - منفا مع عرابي باشا.

(٤) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها.

(٥) ص ٥٢٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد: (ليا) إذا: (عاد): لم (ودوه): اذهبوا له ويعني السيف. (العرفجية): المنسوبة الى آل عرفج، وغلط فؤاد حمزة فظن الكلمة اسم روضة - كما في حاشية كتابه «قلب

طال الاستطرداد وحسن العود للحديث عن الصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة.

زوجة الامام محمد بن سعود: أول امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موزي بنت ابن وهطان، زوجة الأمير محمد بن سعود.

وهي من أسرة كريمة من آل كثير، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد ، وهي من آل فضل، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر.

وآل فضل من قبيلة طي المعروفة، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق.

وكان آل كثير في بادية العارض من أول القرن الحادي عشر - على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين^(٦) - حتى منتصف القرن الثاني عشر - وجرى بينهم وبين آل معمر أمراء العيينة مناوشات، من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العيينة حتى غزوها سنة ١١٣٧ - فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية، ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير، قتله آل نبهان منهم.

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل - كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف.

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجيان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين

جزيرة العرب» ونهت على ذلك في نقدي للكتاب . ويحمل معنى بيت الشاعر: إذا لم نرو سيوفنا من دم أعدائنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا - كما فعلت العرفجية.

(٦) انظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و ١٠٨١ و ١٠٩٧ و ١١٠٥ و ١١٣٣ و ١١٣٧ و ١١٤٢.

وألف تزوج في الأحساء ابنة هادي بن مِذُود رئيس عربان آل كثير، وأتى بها معه الى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف^(٧).

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي.

حين انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا سَيِّئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة، فَنَبَتَتْ وَنَمَتْ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله^(٨): (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فورهِ ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكن ابن بشر فصله على هذا النحو^(٩): (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيان الضَّرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروها بمكان الشيخ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبيهما معرفة التوحيد، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاعتنم ما خصك الله به. فقبل قولها. ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشارا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى. ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف.

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الامام محمد بن سعود بموقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع

(٧) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف.

(٨) ابن غنام : «تاريخ نجد»: ٨٠.

(٩) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٤ - طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م).

النبي صلى الله عليه وسلم - أول ما نزل عليه الوحي، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة ، إلى الإسلام، فمقام أم المؤمنين لا يُسامى، وإن اتفق الموقفان في مناصرة الحق.

ورحم الله ابن بشر فلولا إشارته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة في حث زوجها على قبول الدعوة، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج، لجُهل أمرها.

ابنة محمد بن سعود: جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون»^(١٠) في الكلام على الأمراء الذين وقفوا في وجه الدعوة: (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، أمير العيينة، الذي ناصره أول الأمر ثم تخلى عنه، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية، واتفق مع الأمير محمد بن سعود، صار عثمان يشنّ عليها الغارات من العيينة، ويرسل كوكبات الخيل عليها الفرسان، وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر. ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية:

ما شاقني كود سريّة لابن معمر تطل على الزلال كل عشية
يايبه شف للخيل خيل مثله وإلا فزل من شيخة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره. وأورد البيتين الأستاذ عبدالله بن خميس^(١١) بصيغة: (ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود، حينما كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في الدرعية:

تشوق عيني سريّة ابن معمر تطل على الزلال^(١٢) كل عشية
يابؤي شف للخيل خيل مثله وإلا فخل إمارة الدرعية

(١٠) ص : ٣٧.

(١١) معجم الهامة ١/٥٣٥.

(١٢) الزلال: من الأكمة القريبة من الدرعية. ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس وهو من أهل هذه البلدة - : إنه غير معروف الآن.

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية، وشجاعة، وتطلع إلى معالي الأمور، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة.

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات الأحيظ - بعد اختلاف الراويين في نص البيتين، ووقوع الخلل في وزنها - مخالفة اللهجة فيها للهجة سكان العارض ووسط نجد، فكلمة (مثله) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شمال نجد بلاد القصيم وما حولها، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة: (بالكرامة ذات أكرمكم الله به، والفضل ذي أكرمكم الله به). بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد، فهم لا يحذفون تلك الألف.

وأمر آخر ائفق عليه الأستاذان الكريمان، وهو تقرير أن عثمان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ، وهذا الأمر - فضلا عن كون مؤرخي الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكره - يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثمان بن معمر عليه فيها، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شنّ غارات الحرب، فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧هـ ووفد عليه ابن معمر في تلك السنة. فإذا صح وقوع شيء من الغارات فهو حين كان العداء مستحكما بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨هـ التي وقع فيها الوباء الذي أفنى أكثر سكان العيينة فأضعفها، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩، فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثمان بن عبدالله بن حمد ابن معمر الذي تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢هـ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها.

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود، فبعد التصافي والاتفاق بين الأسترتين الكريمتين الأسرة المقرنية^(١٣) والأسرة المعمرية، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد، تقوّت الأواصر بالتزواج بينها، فزوّج عثمان بن ناصر بن عبدالله

(١٣) من كلمات الاعتزاء التي كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرددها إذا حزبه أمر من الأمور: (انا ابن مقرن) و (أنا أخو نورة) و (أنا أخو الأنور) و (أنا ابن فيصل).

ابن معمر عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التي أنجبت الامام سعودا، وزوج الامام محمد بن سعود ابنته مشاري بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر، فأنت منه بمحمد بن مشاري، الذي كان من رسل الصلح بين الامام عبدالله بن سعود وبين ابراهيم باشا أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، ثم سعى للاستيلاء على نجد بعد رحيل ابراهيم باشا سنة ١٢٣٤، فتم له ذلك حتى قتل هو وابنه مشاري عند قيام الامام تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٦هـ - على ما ذكر ابن بشر.

فيكون الامام عبدالعزيز خالا لمحمد هذا، وكذا أخوه عبدالله بن محمد، كما أوضح ذلك ابن بشر أيضا^(١٤)، لا الامام سعود بن عبدالعزيز، كما ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر «عنوان المجد»^(١٥) وفي الطبعات التي نقلت عنها. وقد أشار إلى هذا الخطأ الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب.

والدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أول من رأته يتحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم، هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» فقد أوضح أن جد الشيخ محمد لأمه (هو محمد بن عَزَّاز المُشَرَّفِي الوُهَيْبِي التميمي من عشيرته الأذنين)^(١٦).

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزَّاز^(١٧) أشاد بذكر آل عَزَّاز، وذكر أن سيفنا هذا هو خال الشيخ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ.

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عَزَّاز - من هذه الأسرة فيما يظهر - قال^(١٨): «في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم: (ولا يخفالك أنني عثرت على أوراق عند ابن

(١٤) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(١٥) ج ١ ص ٢١٧.

(١٦) «علماء نجد» ص ٢٦.

(١٧) ص ٣٢٩.

(١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧.

عزاز، فيها إجازات له من عند مشائخه، وشيخ مشائخه يقال له عبدالغنى^(١٩)، ويشنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون).

ولا أستبعد أن يكون ابن عزاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله.

ومهما يكن فإن ما ذكره الأستاذ ابن بسام عن والدة الشيخ هو حصيصة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا.

زواج الشيخ : كان الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - عندما قام بدعوته في بلده حريملاء قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيننة، بعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف.

قال ابن بشر: (فانتقل الشيخ إلى العيننة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر).

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ، لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلاً بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولاً بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيننة.

أما ما جاء في كتاب «لمع الشهاب»^(٢٠) ونصه: (وكان تحت محمد بن عبدالوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) - أي قبل سفره لطلب العلم - فهو حديث خرافة، ككثير من الأخبار الواردة في ذلك الكتاب.

لقد كانت بلدة العيننة مسقط رأس الشيخ، ففيها ولد ونشأ، وهي مقر أسرته بعد

(١٩) هو عبدالغنى بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠/١١٤٣).

(٢٠) ص ١٩ - طبع (دار الملك عبدالعزيز).

انتقالها من بلدة أشيقر، وارتمال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذي عزله عن القضاء وولى شيخاً آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر وأواصر قوية غير أصرة النسب، فالأسرتان تميميتان.

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد.

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، فهي عمّة الأمير عثمان، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد ابن معمر، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه^(٢١) (في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر، الذي لم يُذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد، والعُدّة والعقارات والأثاث، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى.

وللجوهرة - في سبيل نشر الدعوة - يدان كريمتان.

اليد الأولى: أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبياً في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم.

قال ابن بشر^(٢٢) - في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة - : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية، وبدغيم بن فايز الكادحي السبيعي وقتلها. وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر، طمع زيد بن مرخان وأتباعه

(٢١) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٢٢) المصدر السابق

في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بال كثير وبوادي سبيع وغيرهم، فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد، وقال له: إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلي.. فسار زيد إليه في أربعين رجلا، ومعهم محمد بن سعود وغيره، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجلا من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق، فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات. ففتنه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع، وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها، ومعها غصيبة^(٢٣) انتهى كلام ابن بشر على مافيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ولهذا أوردته بطوله.

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الامام محمد، وبين ابن أخيها الأمير عثمان، وحقاً ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين^(٢٤): وحين وصل محمد بن عبدالوهاب - إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه - إلى أن قال - : وازدادت علاقة الاثنين توطداً بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصة أيضاً انتهى.

ولا داعي للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جراء تلك المصاهرة، غير أن المناسبة تلجئ إلى الإشارة إلى خاتمة ذلك الصهر، وهي خاتمة محزنة حقاً، لم تقف عند حد قتله، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته، وانجرت إلى ابنه من بعده.

حَقًّا إِنْ الرَّجُلَ نَدِمَ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَ (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ).

البقرة آية (١٣٤)

ولكن تاريخنا المدون - فضلا عما فيه من جوانب النقص - لا يخلو من مواقف

(٢٣) غصيبة: محلة في أعلى الدرعية، بلغها عمرانها الآن.

(٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.

يعتورها الغموض، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية؟.

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال، وهدم ما بُني على القبور، ونفذ أحكام الشريعة، ويظهر أن أهل بلاده لم يكونوا كلهم على وفاق معه، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلا منهم من رؤساء المعامرة - أي استجابوا للدعوة - وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد أهل الجبيلة - وهي من بلاد عثمان - أن يمتنعوا من هدمها، فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل، فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلوا بينهم وبينها.

ولقد استمر عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها، تقبل المؤمن بها، إيمانا صادرا عن يقين بصدقها، لا عن رغبة في أمر، ولا عن رهبة من أحد، وكما قال الشيخ حسين بن غنام^(٢٥): (تلقاه بالقبول والمناصرة، وأكرمه غاية الأكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، ويقبلوا قوله)؛ فلما الذي جرى له حتى غير موقفه؟! قال ابن بشر^(٢٦):- بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد: (فأرسل إلى عثمان كتابا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرج من بلده، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر، فأثر عليه جلساء السوء - وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوة الشيخ قلبه - وقال: (فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال له: إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقربتك)، وذكر أنه أرسل مع الشيخ حُرَّاسا إلى أن بلغ الدرعية.

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده، ولهذا استعان به أعداء الشيخ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله^(٢٧): (فلما أعياهم رد ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد أعداءه من أهل نجد، الذين ألبوا عليه أقوى حاكم ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد.

(٢٥) «تاريخ نجد»: ٧٨.

(٢٧) «تاريخ نجد»: ٨٠.

(٢٦) «تنوان المجد»: ٢٣/١.

قال صاحب كتاب: «لمع الشهاب»^(٢٨): (شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدى الخالدى، حاكم بنى خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها، فالتمسوا منه أن يمشي على والى العيينة ويحمله من بلده)، وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور:

١ - قطع وظائفه التي في الأحساء.
٢ - منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رُزٍّ قَدَّرَ محصولها بستين ألف ريال ذهب.

٣ - منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد.

لقد تكالبت الأعداء على عثمان، فقومه الأذنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ، ولا مؤيدين لما يقوم به عثمان من مناصرته، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجأهروا بذلك، ومنهم من كاتب الأُمراء والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التي لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية.

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عثمان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرج من بلده،^(٢٩) وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به، إنه سوف يغزو ابن معمر، وبلاد نجد في ذلك العهد كانت ميدانا لغارات آل حميد حكام الأحساء، وليس لابن معمر - بعد أن حلّ بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عمان جنوبا إلى البصرة شمالا، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له، ويتقاضى وظيفة منه، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١١٦٦هـ التجأ إلى الخرج فتوفي فيه.

(٢٨) ٣٦.

(٢٩) عنوان المجد: ٢٣/١ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم على إلى سنة ١١٤٣ ثم سليمان. قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادث سنة ١١٦٦هـ: وفيها غدر المهاشير المعروفون من بنى خالد في سليمان آل محمد رئيس الأحساء، ورئيس بنى خالد، فانهمز إلى بلد الخرج ومات فيه. انتهى. أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب، فقال - ص ١٦٧ - بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية: (كان

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب»^(٣١) فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي إلى عثمان بن معمر اهتم وكره عداوة سليمان، وغضب أيضا لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه، لكنه ارتكب أخف المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب خفية، فقال له: إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا، فالرأي أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أي بلد شئت، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا).

لا أريد تبرير فعل ابن معمر في إخراج الشيخ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة وصهر القائم بها، وجدّ بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهد أبطالها منذ عهد الامام محمد إلى عهدنا، هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سبط الأمير عثمان بن حمد بن معمر.

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بياضاح بعض مظاهر لي حيال ما نسب إليه - فيما بعد - من تنكّر للدعوة، وقد أكون مخطئا فيما أبدية من رأي يخالف ما يراه غيري، ولكن مما لاشك فيه أن فيما كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة، وللنيل من القائمين بها.

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية، وفود الأمير عثمان بن معمر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذي قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧^(٣٢): (فلما علم عثمان أن

متولعا يحب النساء، نكح ما يزيد على المئة، لكنه لم يجمع إلا بين أربع منهن، بل كان يأخذ ويطلق، وكان يتعرض بنات بني خالد غدرا، فأنكرت عليه مشايخ الحوالة وبنو أعمامه، فأجلوه إلى أرض نجد، ولما وصل الهامة مات في الطريق فدفن هناك. ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) - انتهى. وقد وقع في «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٤٠ - طبعة وزارة المعارف غلط نصه: في ذكر سوابق سنة ١١٤٣: (قتل سليمان بن محمد رئيس الاحساء ورئيس عربان بني خالد، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون). والمقتول هو علي بن محمد وتولى بعده أخوه سليمان بن محمد، الذي كان معاصرا لظهور الدعوة ومات في الحرج سنة ١١٦٦.

(٣١) ٣٢.

(٣٢) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٥ - طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

محمد بن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل، فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال: ليس هذا إلي، وإنما هو إلى محمد بن سعود، فأتى عثمان محمداً فأبى عليه) ويقول ابن غنام^(٣٣): (فرجع إلى بلدو مضمرًا العداوة والشر والغدر، وإن كان يُبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد، إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه وانكشف أمره).

وهذا كلام مبهم غير واضح، وما تخفيه القلوب علمه عند علام الغيوب، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا أن الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف - أو التي بعدها^(٣٤) - بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣هـ.

غير أن ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين - إحدى غزوات الرياض - قال^(٣٥): وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثمان، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم، وزادته هذه الوقعة تهمة، وندم على تخلفه عن الغزو، لأنه خاف على نفسه، ثم ذكر أن محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حريملاء مرَّ بالعينية فتعاهد مع عثمان واتفقا وتصافيا. ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق، وقال: ثم إن عثمان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو، فقبلاً منه، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العينية وأهل حريملاء، وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد، فعند ذلك جعلوه رئيساً للغزوات والسرايا، وصار محمد بن سعود له منقاداً ولا يخالفه بل يتابعه، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد - على ما في تاريخ ابن غنام أيضاً^(٣٦) بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع أمير حريملاء.

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن

(٣٣) «تاريخ نجد»: ٨٢.

(٣٤) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨.

(٣٥) المصدر السابق: ٣٣/١.

(٣٦): ٩٤.

مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة، وهذا غير صحيح، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ - بجماعته أهل حُرَيْمِلَاء، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ^(٣٧).

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائن قبل قيام الدعوة - أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره^(٣٨) - ويظهر أن ذلك الاتفاق لإزالة آثار تلك الحزازات، التي كان من آخرها ما حدث من عثمان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم^(٣٩).

ويورد المؤرخان ابن غنم^(٤٠) وابن بشر^(٤١) في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثمان - وعبارة ابن غنم: وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان - أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام - أمير الرياض - للإصلاح بينهما والاتفاق جميعاً مع الشيخ، ومحمد بن سعود، فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ محمد وابن سعود، فحين رأى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثمان، فموه عليهم - وعبارة ابن بشر: فتحقق أهل البلد منهم الخيانة - وقال عثمان: ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح، ويدخل دهام في دائرة الاسلام. ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثمان وغدره، فامتنع عن الذهاب، وعرف المسلمون من أهل البلد مكر عثمان، فحصروا ابن دواس في القصر، ولكنه هرب تحت جنح الظلام، وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء. قال ابن بشر: فلما وصلها (تدرع لباس الحرب).

لاشك أن ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدوهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤخذ عليها، مهما كان قصده،

(٣٧) : «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨ و ٤٢.

(٣٨) حوادث سنة ١٠٩٨/١١٠٠/١١٢١/١١٢٨/١١٣٠.

(٣٩) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٤٠.

(٤٠) «تاريخ نجد»: ٩٤.

(٤١) «عنوان المجد»: ٣٤/١.

ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر.

ولا نريد أن نذهب بعيدا في محاولة الدفاع عن عثمان، أكثر من القول بأن فعله هذا وسع شقّه الخلاف وهياً للناقمين عليه - ومنهم بعض أهل بلده من قومه - أقوى الوسائل للنيل منه.

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد، وجدد العهد، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئة وألف، وكان الأمير، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش. ثم غزا الرياض مرة ثانية، فقتل من الفريقين نحو اثني عشر رجلا.

وفي سنة ١١٦١ - على ما ذكر ابن غنام^(٤٢): سار عثمان بأهل العيينة وحرميلا، وعبدالعزیز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرماء، والأمير على الجميع عثمان، فنزلوا ليلا في موضع قريب من ثرمداء يقال له البطين، وجعلوا لهم كميناً، فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلا، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الحريص فتحصنوا فيه، فخلا البلد من المقاتلين، فأراد عبدالعزیز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه، ولم يبق مع عبدالعزیز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد، ثم عزم على العودة، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بما حدث من عثمان، فزاد مافي نفسيهما عليه.

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه^(٤٣): فأبى عثمان مشحةً بأهلها ومضنةً بهم، وقال في الأخرى^(٤٤): وحصل من عبدالعزیز كلام على عثمان، وأكثر عليه الملام - ثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله -: ولم يلحقه إلا آخر النهار، فصارت الأحوال بينهما متغايرة، والقلوب متنافرة.

(٤٢) «تاريخ نجد»: ٩٦.

(٤٣) «عنوان المجد» الطبعة الأولى ٢٢

(٤٤) «عنوان المجد» ٣٦/١ - طبعة وزارة المعارف سنة ١٢٩١

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عشان بن معمر جوانب ليست في مصلحته.
فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عشان، وأمراؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر
منهم ، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم)
يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب، وفات المؤرخ أن البلدة قد خلت من الرجال
المقاتلين، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال، ومن لا يقدر على القتال، فما الغاية من
دخولها، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعشان ما وقع بينه وبين عبدالعزیز بن محمد بن سعود من
خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب - كما قال ابن بشر - وصدق الشاعر:
إن القلوب إذا تنافرودها مثل الزجاجة كسرُها لا يُشعَبُ

ولم يشفع لعشان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك، ودمر جيشه مزارع بلدة ثرمداء، حيث
تحصن أهلها، ولم يبرزوا للقتال كما فعلوا في المرة الأولى التي قتل منهم فيها نحو سبعين
رجلا.

لقد ختمت حياة عشان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنام^(٤٥): لما تزايد
شر عشان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل، وتبين الشيخ صدق
ما كان يروى عنه، وجاء أهل البلاد كافة، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين، قال
الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وموالاته
من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه، ولو أنه أميركم عشان، فأعطوه على ذلك الأيمان،
فمُلِّي قلب عشان من ذلك رعبا، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين، فأرسل إلى ابن
سويط وإلى ابراهيم بن سليمان يدعوها للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع
بالمسلمين.

فلما تحقق أهل الاسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم: حمد بن راشد و ابراهيم بن
زيد (الباهلي)، فلما انقضت صلاة الجمعة، قتلوه في مصلاه بالمسجد سنة ١١٦٣.

(٤٥) «تاريخ نجد»: ٩٧.

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم في اليوم الثالث بعد مقتله ، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك في قتل عثمان آلَ يوليَ عليهم أحد من آل معمر فأبى الشيخ، وأمر مشاري بن معمر، وكان ذلك في منتصف رجب. انتهى. ونحو هذا ورد في «عنوان المجد» لابن بشر^(٤٦).

لقد مضى الرجل لسبيله، وكما يقال: (الغائب حجته معه)، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقمين عليه أبوابا واسعة للنيل منه، ولا يعيننا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتَّهَم دعائها ومناصروها بتكرهم لمؤازريهم.

ويكاد تتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للامام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة، ولم تثبت دعائم الدعوة.

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعدم انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها، وكثيرا ما استغل ذوو الأغراض - من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها - ذلك لتحقيق أغراضهم.

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثمان بن معمر منها: قتل ابراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن أمير ضрма سنة ١١٦٤ و قتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥، و قتل محمد بن فارس وابنه عبدالمحسن صاحباً منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٧٨، و قتل أمير الفرعة عيبان الناصري سنة ١١٧٩ هو وأولاده، ومهما كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمر الدعوة.

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول تولي الإمارة، منذ منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

(٤٦) ج ١ ص ٨٩.

واستمر نحو قرن من الزمان، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها ويكثر أفرادها.

ولا يجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخي نجد في تلك الحقبة، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك.

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبدالله الإمارة، فأجلى آل محمد من العيينة، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر.

ويذكر ابن بشر أيضا أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة، ويضيف: (معاكسين لعثمان بن معمر).

ونجد أحد هؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد قتل عثمان وهو سلطان بن محيسن المعمرى في سنة ١١٦٣.

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في «معجم اليامة»^(٤٧) بعد ذكر مقتل عثمان.. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف، فسارع إلى العيينة، وجمع أهلها وهدأ روعهم، وعين مشارى بن ابراهيم بن معمر أميرا وناصر الدعوة.. وأخذ يشارك بأهل العيينة في غزوات آل سعود، ولكن ظهر منه أخيرا ما جعل الدرعية تُسبى الظن به وتعزله.

بعد ذلك أسندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محيسن أحد موالى آل معمر، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر، وكان يطمع في تولي الإمارة، فأعلن تمرده ولكنه قتل سنة ١١٨٢.

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد، وأمر بهدم قصر آل معمر،

(٤٧) ٢٠٤/٢٠٣.

وإنهاء سلطتهم في العينينة، ومن ثم أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها حتى أصبحت خراباً. انتهى.

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمدا - رحمه الله - لم يرض بقتل عثمان حقاً لا شك فيه، ولو لم يكن في ذلك التصرف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحل والعقد.

والقول بأن سلطان بن محيسن من موالي آل معمر، لم أر له مصدراً لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله وزيد، وذكرا توليته إمارة العينينة، وإمارته كانت سنة ١١٧٣، والذي تولى الإمارة بعد عثمان هو مشارى بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣هـ، ومشارى هذا صهر للإمام محمد بن سعود، وهو الذي تولى ابنه محمد إمارة نجد، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الامام تركي سنة ١٢٣٦هـ - كما تقدم -.

أما ناصر بن عثمان بن معمر، فالرجل - على ما ذكر ابن بشر قُتل شهيداً غازياً مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٢، فالتقى جيش سعود بقبيلة آل مرة - في ناحية الجنوب، ف وقعت الهزيمة على سعود وقومه، وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر، ولم يحدث منه تمرد - فيما أعلم -.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل ناصر هذا هو أبو العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر؟!.

هذا مالم أر له ذكراً فيما بين يدي من الكتب، وكل من ترجم الشيخ حمدا لا يُفصل القول في ذكر نسبه، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان - إن كان جد الشيخ - احتراماً له.

والقول بأن بلدة العينينة أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر آل معمر حتى أصبحت خراباً - قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشارى عن الإمارة وتولية

سلطان - كما ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة، لأننا نرى لها ذكرا لدى المؤرخين إلى ما بعد ذلك التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات:

١١٧٨ - في وقعة الحابر قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلا.

١٢١١ - هدم السيل في العيينة بيوتا كثيرة.

١٢٢١ - كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم، وكان أميراً على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود.

١٢٣٣ - استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلا.

١٢٣٣ - انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشارى بن معمر من بلدة العيينة، ونزل الدرعية.. وطمع في ملك نجد، وكان خاله: عبدالعزيز بن محمد، وعبدالله بن محمد آل سعود.

بنات الشيخ: لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ، مع التفصيل في ذكر أبنائه.

وأول من رأيتُه تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١١٧٩/١٢٤٣هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني، ومن عاصر قيام الدعوة، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين، في سيرة الامام المنصور، وأعلام دولته الميامين»^(٤٨) ذكر - حين عدّ أبناء الشيخ أن له ابنتين، هما شائعة وهيا^(٤٩).

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مانصه: (وأخبرني بعض المكيين ممن له اطلاع على خاصة عبدالعزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبدالعزيز ومحمد وهما على أم واحدة. ثم عمر وعبدالعزیز - كذا - ابنا عبدالعزيز وامهما إحدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تزوجها عبدالعزيز بن محمد. قال المكى: وأما بناته فهن خمس، منهن لطيفة ومنيرة. انتهى^(٥٠)).

(٤٨) مخطوط - انظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها.

(٤٩) «العرب» س ٧ ص ٤٦.

(٥٠) المصدر ص ٤٧.

أما ابن بشر فهو يذكر لعبدالعزیز بن سعود من الأبناء: سعودا وعبدالله وعمر
وعبدالرحمن^(٥١). ولا يذكر محمدا ولا عبدالعزیز.

وابن بشر ذكر أبناء عبدالعزیز بعد وفاته بزمن - ذكرهم سنة ١٢٣٢ و ١٢٣٣ أثناء
حصار الدرعية - فقد يكون محمد بن عبدالعزیز توفي قبل ذلك الوقت.

وعبدالعزیز الذي عده المؤرخ الیمني سبطا للشیخ قد يكون اسمه محرفا، وأنه
عبدالرحمن، أو عبدالله الذي ذكر ابن بشر أنه توفي سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح،
ويلاحظ أن بعض المؤرخین المتأخرین عد الامام سعود بن عبدالعزیز بن سعود من أسباط
الشیخ محمد، وهذا خطأ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشیخ، أما أمه فهي ابنة الأمير
عثمان بن معمر الذي تقدم الكلام عنه.

وتقدمت الإشارة إلى ماورد في كتاب «تاریخ أشراف مكة» لابن عبدالشکور^(٥٢)،
ونصه - بعد حذف ألفاظ الشتم: في صفر سنة ١٢٢١ - وصل نحو عشرين رجلا من أهل
الدرعية، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشریف غالب، وكان في جدة،
فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به، ثم عقد بينهما الصلح، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش
في الحین، وقرأ رسالة جدّه، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها، وما زالوا يحضرونها حتى أتم
قراءتها - ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات.

وحمدا هذا هو الشیخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة
في عهد الإمامین عبدالعزیز بن محمد سنة ١٢١٢هـ وسعود سنة ١٢٢١هـ.

فهل هو سبط للشیخ محمد من ابنته التي ولدت للإمام عبدالعزیز ابنیه عمر وأخاه،
وأن ناصرأ أبا الشیخ حمد تزوجها قبل الإمام عبدالعزیز، فيكون الشیخ ربیباً له؟! لا
استبعد ذلك، ولا استبعد أن يكون ذلك الزواج كان في زمن الأمير عثمان بن معمر صهر
الشیخ، وأن الشیخ زوج ابنه ناصر بنته، فيكون الشیخ حمداً حفيداً للأمیر عثمان بن

(٥١) : «عنوان المجد»: ٢٢٨/١ / ٢٦٦/٢٦٥ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٢) لا يزال مخطوطا، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ٨٦٥/٨٦٦.

حمد بن عبدالله بن معمر، وهذا أمر لم أر له ذكراً فيما اطّلت عليه من المؤلفات.

أما الثانية من بنات الإمام: فقد تزوجت عالمة من أزرا الدعوة الإصلاحية في إبان قيامها، وشاركا القائمين بها في نشرها والدفاع عنها، ولازما الشيخ وعاشا معه في الدرعية.

هما الشيخان: حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله، ومحمد بن غريب.

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف^(٥٣): (وفيها توفي الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبد الوهاب، قاضي مرآة، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتزوج ابنته، وسكن الدرعية عنده، وولدت منه القاضي عبدالعزيز بن حمد) انتهى.

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد، من المشارفة، الأسرة المعروفة، يلتقى الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرف الجد الخامس للشيخ محمد.

وهو من أسرة علم وفضل، فقد كان جده عبد الوهاب قاضي مدينة العيينة توفي سنة خمس وعشرين ومئة وألف.

وتولى الشيخ حمد قضاء بلدة مرآة، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد، وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما إبراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذي كانت فيه حافلة بالعلماء، ثم تولى قضاء بلدة مرآة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ.

والابن الثاني عبدالعزيز، وهو الذي اجتمع به المؤرخ اليميني السيد لطف الله جحاف، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور^(٥٤).

(٥٣) «عنوان المجد» ج ١ ص ٩٠ - طبعة وزارة المعارف - سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٤) انظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ٢٠ و ص ٢١٢.

وصفه الشيخ عبدالله البسام فقال (٥٥): كان صاحب عقل راجح، وفكر ثاقب، ولسان بليغ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. قال ابن حميد: وسمعت بعض مشائخ صنعاء يشنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة. انتهى

وأشار جحّاف في كتابه «درر نهور الحور» إلى أن بينه وبينه مكاتبات - فيما يتعلق بتاريخ عهدهما .

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيرا إلى محمد علي باشا صاحب مصر سنة ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون، وكان ممن اجتمع به في مصر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، فقال عنه وعن رفيقه (٥٦) عبدالله بن محمد بن بثنان: «وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان، وإطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبدالله، والآخر عبدالعزيز، وهو الأكبر حسنا ومعنى»

وتحدث عنه رحالة غربي هو برکهارت (٥٧) بما ملخصه: كان أحد الرسولين من ضباط سعود، والثاني ويدعي عبدالعزيز من أقارب مؤسس الدعوة، وكان عالما كبيرا أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه، وعمق إدراكه، بحيث كان يستفسر عن كل شيء من الأمور العامة، ولا يقتصر على الأمور الدينية، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لها من الجند، أينما كانا حتى تضايقا فطلبوا العودة إلى بلادها، واشتري عبدالعزيز كثيرا من الكتب من مصر.

(٥٥) كتاب «علماء نجد»: ٤٤٣.

(٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» ص ١٧٧ و ٢٢٤.

(٥٧) هو رحالة سويسري يدعى جون لويس برکهارت (JOHN LEWIS BURKHARDT) له رحلة إلى بلاد العرب مشهورة، لخص قسم منها وعرب.

ووصفه ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بقوله: (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان، عجبا في الحفظ والاستحضار، داهية في مجادلات الملوك والأمراء).

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل، وأنه كان فيصلا في أحكامه يميل إلى ما يرجحه الدليل، مما خالف المذهب، ولا يبالي بأحد.

وأن شيخ المنتفق ولاء قضاء سوق الشيوخ - في العراق - فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف.

ولكن ابن حميد - ورحمة الله واسعة - ووصمه بما هو منه برى، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن علي بن غريب سنة ١٢٠٨ هـ، وكان الشيخ عبدالعزيز ربيبه - ابن زوجته بنت الإمام - ذكر أنه تأثر بذلك، ولكنه لم يستطع المجاهرة.

وهذا غير صحيح لأمر: منها أن الشيخ ابن حميد^(٥٨) - والله يعفو عنه - كثيرا ما يلقق هذه التهمة بعلماء أبرياء، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي العفالقي وغيره، ولهذا لا يقبل قوله فيما يتعلق بالدعوة، لأنه من مناوئتها.

ومنها أن مواقف الشيخ عبدالعزيز في مؤازرة الدعوة - كما تدل على ذلك رسالته - «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية»^(٥٩) بعكس ما ذكر ابن حميد.

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لسفارتين في عهدين: عهد الإمام سعود إلى صنعاء، وعهد الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، ولوحامت حوله أية شبهة، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأي وأصالته، وإخلاصه لما يقوم به من عمل.

وتحملنى المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثاني للإمام على ابنته أم

(٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها.

(٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج ٤ ص ٥٨٤/٥٦٤ - مطبعة المسار بمصر سنة

١٣٤٩ هـ

الشيخ عبدالعزيز، وهو محمد بن علي بن غريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسام^(٦٠) بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه.

والشيخ ابن بسام يعتمد فيما تقدم على ما جاء في كتاب «السحب الوايلة»^(٦١) ومؤلفها - عفا الله عنه - من مناوئي الدعوة، ولهذا فقد وصم ابن غريب بالمصانعة، وأضاف: ورد على مخالفهم، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فتون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها، فكان عندهم مقبولا معظما.

ويوضح الشيخ عبدالله البسام هذا بقوله^(٦٢): أن عبدالله الراوي - أحد علماء بغداد - بعث إلى علماء الدرعية بأستلة في العقيدة، فأجابه المترجم إجابة طويلة، جاءت في كتاب طبع باسم «التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق» نسب للشيخ سليمان بن الشيخ محمد، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب. ويعلل الشيخ عبدالله البسام وقوع الخطأ تعليلا معقولا.

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله - حفيد الإمام، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضا، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر - أورد خبر قتله، بما هذا نصه: وشي به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد - بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها. وكانت الدعوة في أول انتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق وتؤيده، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ - عفا الله عنهم أجمعين - انتهى كلام الشيخ عبدالله^(٦٣) - وهو فيما يظهر - عول على ما جاء في كتاب «السحب الوايلة» الذي يتفق مؤلفه مع الشيخ في

(٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥.

(٦١) : «العرب» ص ١٢ ص ٧٠١.

(٦٢) : «علماء نجد».

(٦٣) علماء نجد: ٩١٦/٩١٧.

نهاية الشيخ ابن غريب، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة، ولاشك أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام.

ويحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠/١٢٩٠) يمر على تلك الحادثة بسرعة غريبة، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله^(٦٤): (وفي ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبوا، لأجل أمور قيلت عنه).

ويستشف من عبارة ابن بشر هذه (قيلت) أن الرجل ذهب ضحية وشاية - كما يرى الشيخ ابن بسام - وابن بشر يحدد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينما في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩، ولعل هذا تطبيع، فابن بشر حدد الشهر أيضا.

ومهما يكن الأمر - بالنسبة للشيخ ابن غريب، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل، وسعت رحمته كل شيء.

ولتكن الآية الكريمة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) حُسْنَ الخِتَامِ.

النحل آية (٩٧)

(٦٤) : «عنوان المجد» ج ١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
على الكتاب والسنة

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لمعالي الشيخ

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي في الذل. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا:

وبعد: فقبل أن أبدأ الحديث عن الدعوة السلفية التي قامت في أواسط القرن الثاني عشر الهجرى بقيادة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله فإنه لا بد من لمحة عامة عن حال الجزيرة العربية قبل هذه الدعوة السلفية، فقد شهد القرن الحادى عشر الهجرى والنصف الأول من القرن الثانى عشر تحولا فى المفهوم الإسلامى لحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك بالله سبحانه وتعالى، فعبدت الأشجار والأحجار، وأقيمت الطقوس الخرافية والبدع المصطنعة، وشيدت القبور. وقدمت النذور لغير الله سبحانه وتعالى، ولغربة الإسلام وغلبة الطغام راجت فى المجتمع أشكال من البدع المحدثه التى ليست من الإسلام فى شىء، حتى فى منطلق الدعوة والرسالة مكة والمدينة اللتين شرفهما الله تعالى بنزول القرآن، ومبعث خاتم الرسل والأنبياء، وراج فى الناس الشعوذة والسحر وكان وراء ذلك كله علماء السوء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويروجون للعمامة والدهاء الأحاديث الموضوعية المخالفة لصريح القرآن والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فى هذه الأجواء وفى هذا المجتمع الحالك بظلمة الضلالة والبدعة والفساد قام شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب بدعوته، فحارب الشرك بالله مستعينا به، وأعلنها فى الملأ بأن دعاء غير الله من ملك أو نبي أو ولي شرك بالله تعالى، وأن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فإنه يكفر بإجماع المسلمين، دليله فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، كما حارب كثيرا من المنكرات والمحرمات فى الشريعة الإسلامية من

تعاطى السحر والاعتقاد في الطيرة والأنواء والاعتقاد بأن من الأيام أيام نحس وشؤم وغير ذلك مما علق بأذهان الناس واعتقدوه أمرا مباحا، ولا زالت رواسيه في أذهان العوام في كثير من البلاد الإسلامية. ومن الأمور الأساسية التي ركزت عليها تلك الدعوة السلفية إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

ونادت الدعوة السلفية بوجوب الجهاد في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر. ونادت الدعوة السلفية أيضا بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل شئون الحياة، وأنه لا بد من أن تكون في الناس أمة تدعو إلى الخير وترشد إليه وتقلع المنكر من جذوره وتحذر منه وفق ما جاء به دين الله الذي ارتضاه لعباده.

«الدعوة تنشط من عقالها»

بينما الجزيرة العربية منغمسة في تلك الأحوال المخالفة لهدى الإسلام ولصفاء نور العقيدة الخالصة من شوائب الشرك والبدع، إذا بصوت الداعي المصلح ينادى بالدعوة الى التوحيد ويندب نفسه للذود عن الدين وتخليصه من ايدي المشركين والمبتدعين، ولكن علماء «العيينة» وما جاورها أنكروا ما هو فيه وقاوموه أشد المقاومة، بعد ذلك ترك الشيخ العيينة راحلا إلى مكة بلد الله الحرام قاصدا الحج ليقضى حجه وليتزود من العلماء ما يمكنه أن يتزود به، فاجتمع بعلمائها وفقهائها، وبحث معهم حال المجتمعات الإسلامية وما هي فيه من جهل وضلال ومخالفة لصريح القرآن، وناقشوه وناقشهم، ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى المدينة للصلاة في المسجد الشريف والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحصل له زيارة علمائها والأخذ عنهم. ومنهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، والشيخ محمد حياة السندی. وقد أجازة الشيخان بمرورياتها، وعرض عليها دعوته واتفقا معه وشجعاه وحبذا فكرته. بعد ذلك عاد الشيخ محمد إلى نجد من المدينة مسرورا بما لقيه من العلماء. ثم إنه فكر في الذهاب الى البصرة ليلتقى بالعلماء ويدعو الناس الى تحقيق التوحيد وترك الشرك والبدع والمحرمات، فاستفاد من علمائها وأفادهم، ورأى الشيخ في العراق الوثنية قائمة والبدع والخرافات والشرك الأكبر، ورأى القبور مزدحة بالمبتدعين

وعليها المساجد والسرج، فجهر بالدعوة والنصيحة، وشدد عليهم حتى أن العامة أذوه وضربوه، ونهبوا ما معه من مال ومتاع وكتب، وأخرجوه من البصرة حافي القدمين. وفي الطريق إلى الزبير كاد أن يهلك لولا رحمة الله وعنايته، فقد وفق الله رجلا من أهل الزبير فأقبل عليه وساعده، وذهب به إلى الزبير، بعدها عاد إلى نجد من طريق الأحساء ونزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي. ثم خرج من الأحساء إلى حريملاء، وفي حريملاء نزل على والده وأخذ مرة أخرى يوضح للناس حقيقة التوحيد وينهى عن الشرك والبدع، وبعد أن توفي والده جهر بالدعوة في أسلوب موسع، وأنكروا عليه أشد الإنكار حتى أن الفساق منهم هموا بقتله إلا أن الله أنجاه.

«التخطيط للدعوة الإصلاحية»

كان خير الشيخ رحمه الله قد ذاع وانتشر في البلاد النجدية، وبعد أن لاقى ما لاقى في حريملاء، قرر الرحيل إلى العيينة لعل الله أن يجعلها موطن الدعوة الإصلاحية (دعوة التوحيد) - رحل الشيخ إلى العيينة واستقبله أميرها وسكانها، وبعد بحث ومناقشة اتفقوا معه على الدعوة إلى تصحيح العقيدة الإسلامية، فما كان من الشيخ إلا أن أمر بهدم القبة المزعومة لزيد بن الخطاب رضى الله عنه، فهدمها بيده، وطبقت الحدود، ولم يمض على وجود الشيخ إلا زمن قصير حتى كان أهل العيينة أتباعا له على الحق من أميرهم إلى وليدهم. وكان للشيخ أتباع مؤيدون لدعوته فيما حول العيينة من البلاد. وما أن رأوا ما حصل في العيينة من أمر الدين حتى توجهوا إليها ونزلوا بها، ولكن ماذا جرى؟ لقد خشى أعداء الدين خطر هذه الدعوة التي تقضى أول ما تقضى على ظلمهم وبطشهم وعدوانهم، فأرسل أمير الأحساء إلى أمير العيينة يأمره بقتل الشيخ وإخراجه من العيينة وإلا فإننا سنقطع عنك الخراج الذي يأتيك منا. فخرج الشيخ من العيينة قاصدا الدرعية.

«انتقال الشيخ إلى الدرعية»

توجه الشيخ إلى الدرعية ونزل عند وصوله إليها ضيفا لمحمد بن سويلم، وكان محمد

من اقتنع بدعوة الشيخ. وكان من أثر انتشار خبر الشيخ وذبوع دعوته أن سخط عليه الأمراء والحكام، وكان ابن سويلم يخاف على نفسه من أمير الدرعية ان علم بأن الشيخ عنده. وقد علم الأمير محمد بن سعود بوجود الشيخ بالدرعية بدار محمد بن سويلم، فهب الأمير للقاء الشيخ بعد أن نور الله بصيرته بالحق.

«لقاء الشيخ بالأمير»

قام الأمير محمد بن سعود رحمه الله بزيارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرحبا به مؤيدا له، وكان من أول لقاء لهما أن قال الأمير «ياشيخ محمد أبشر بالعز والتمكين والمنعة. أبشر ببلاد خير من بلادك» فرد عليه الشيخ قائلا «وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة «لا إله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد وهي كلمة التوحيد وأول مادعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم». فلما تحقق الأمير محمد معرفة التوحيد وتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع وعلم ما لذلك من المصالح الدينية والدنيوية قال له: ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد فيمن خالف دين الإسلام، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان نخاف أن ترهقنا وتستبدل بنا غيرنا.

والثانية. ان لي على أهل الدرعية «قانونا» أى ضريبة أخذه منهم في وقت الشار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا - فقال الشيخ: أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، ثم أن الأمير محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده - جاء ذلك في عنوان المجد في تاريخ نجد، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض مغازي الشيخ والأمير وحروبهم. أصر

أمير الرياض دهام بن دواس على محاربة التوحيد، وناصب الإمام محمد بن سعود وهذه الدعوة السلفية العداء بوحشية وفظاظة واستكبار واستعلاء. وقد قام بن دواس بغارات على أهل منفوحة لمناصرتهم لدعوة الشيخ رحمه الله، فما كان من الإمام محمد بن سعود رحمه الله إلا أن سار إليه واقتحم أراضيه، ثم كان بعد ذلك عدة لقاءات بين جيش الإمام محمد بن سعود ووقعت حروب كثيرة، وتفاصيلها موجودة في الكتب انتهت بهرب ابن دواس الخائن في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بعد أن شغل الدعوة سبعا وعشرين سنة بعناده وباطله وخياناته المستمرة، وكان من أعداء الدعوة أمير الأحساء ابن عريعر الذي ناصب الدعوة العداء.

سار هذا العدو الشرس بجيش يفوق الجيوش في وقته عددا وعدة، وحاصر الدرعية شهرا كاملا، ولكن قوة الإيمان والصبر والثبات كانت تفوق هذه القوى المادية، ونصر الله المؤمنين الموحدين أتباع الشيخ والإمام محمد بن سعود على عريعر. وقد كتب الله لدعوة الشيخ أن تنتشر في الجزيرة العربية في عهد الامام سعود بن عبدالعزيز، وقد كانت مدينة الدرعية بزمان الإمام سعود رحمه الله في ذروة العز والقوة والمنعة وكثرة الرجال والسلاح، وكانت مدينة زاخرة بالعلوم والعمران، يؤمها الطلاب من كل صوب، تخرج منها علماء أجلاء لهم مشاركة في التدريس والتأليف والقضاء والفتاء، وصدق الله اذ يقول «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن العباس رضى الله عنهما، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

ولسائل أن يسأل - ماهى أسباب النصر الذى تم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره الفر الميامين - ؟ إنه ولا شك عون الله لعبده، ثم بعد ذلك كونها دعوة حق اعتمدت على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى تفسر هذا الكتاب وتبينه وتدلل عليه. كتب الله لها النصر لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر، وصدق الله إذ يقول «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

«الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية»

لسائل أن يسأل - ماهي حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

سؤال يجيب عليه الشيخ نفسه رحمه الله. رسالة أرسلها إلى أهل المغرب، أقتطف منها بعض ماورد قال الله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

(١٠٨ يوسف)

وقال تعالى:

« وَمَا أَتَكُرُّ الرَّسُولُ فِخْذُوهُ وَمَا نَهَكَرُّ عَنْهُ فَأَتَّبُوا... »

(٧ الحشر)

وقال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... » الآية.

(٣ المائدة)

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف.

فقال تعالى

« أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ ؕ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »

(٣ الأعراف)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله. قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي..

إذا عرف هذا فمعلوم ما عمت به الباري من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراف بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب اليهم بالندور وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شئ من أنواع العبادة كصرفها جميعها.. وأخبر تعالى أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى..

« قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا » فلا يشفع عنده أحد إلا بأذنه..

قال تعالى :

« مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .. الآية.

(٢٥٥ البقرة)

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلا بإذن الله، لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجدا فيحمله بحامد يعلمه إياها ثم يقال - ارفع رأسك وقل يسمع. وسل تعطى. واشفع تشفع. ثم يحد لهم حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء. وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم من حوادث الأمور. فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين، وحتى تعبد فتنام من أمتى الأوثان، وهو صلى الله عليه وسلم حى جانب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فمنهى أن يخصص القبر أو يبنى عليه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبر المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحججة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى..

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ»
(البقرة ١٩٣)

وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر:

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ...»
(الحج ٤١)

وله في رسالة أخرى.. أنقل منها بعض ما كتبه. الذى ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبى الأسمى صلى الله عليه وسلم.. فأما العبادة فقال الله تعالى...

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»
(النحل ٣٦)

وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعتة فى الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى :

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...» (آل عمران)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد..» فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين. وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء.

وأما مذهبنا فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها.

والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين، وأنه عبادة الله وحده لا شريك فيها، وخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل في الشرع، كجمع المصحف في كتاب واحد، وجمع عمر رضى الله عنه الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحو ذلك. فهذا حسن والله أعلم.

وإذا تأملنا تلك الرسائل الجليلتين خرجنا بصورة واضحة عن بعض أصول دعوة الشيخ المجدد رحمه الله تعالى، وأدركنا أنها تركز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، ولما كانت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بشريعته ودينه منطلقاً للإيمان والعبادة، عقد الشيخ رحمه الله بابين في كتابه (التوحيد)، ووضح في كثير من رسائله هذا الأمر وما جاء فيه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم..

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى. باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله. فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، والباب الآخر. قوله. باب قول الله تعالى « ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.» الآيات.. ولنقتطف مما ذكر الشيخ آية من كل باب أو حديثاً ونوضحه.

أما الباب الأول .. فقد أورد الشيخ حديث عدى بن حاتم. أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية «اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله..» فقلت له إنا لسنا نعبدهم. قال. أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونونه.. فقلت: بلى.. قال فتلك عبادتهم. رواه أحمد والترمذى وحسنه.

وشواهد الحديث من الآيات كثيرة.. فتأمل هذا الحديث العظيم، تأمل قول عدى: إنا لسنا نعبدهم. ظاناً أن العبادة هى التقرب إليهم بسجود أو نذر أو ذبح. وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونونه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم..

ففى هذا صراحة ووضوح بأن العبادة هى الطاعة وهى الاتباع وهى التحكيم، فمن أطاع الله ورسوله لم يرض بما يخالفه من الأحكام من أى مصدر كانت، واتخاذهم أربابا يكون فى هذا النوع، فمن رضى حكما غير حكم الله وحكم رسوله وهو عالم بذلك معتقدا صحة هذا الحكم المخالف نسا وروحا لحكم الله، فذلك لاشك فى كفره.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله.. وهؤلاء الذين اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين.. أحدهما. أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون. الثانى. ان يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحريم المحرام ثابتا لكنهم اطاعوهم فى معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: انما الطاعة فى المعروف. ثم نقول لهذا المحلل للحرام. المحرم للحلال. إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن خفى عليه الحق فى نفس الأمر. وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذة الله بخطئه بل يشبهه على اجتهاده الذى أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا الخطأ مخالف لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اتبعه وعدل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فله نصيب من الشرك الذى ذمه الله، لا سيما إن اتبعه فى ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما الباب الثانى.. فإليك رأس الباب. باب قول الله تعالى..

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُنْحَأَكُمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ... »

(٦٠ النساء)

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. في شرحه لهذه الآية في كتاب تيسير العزيز الحميد..

لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتقاً على الإيمان بالرسول مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان . ولهذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ركناً واحداً، نية في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع، إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لا بد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلا بد له من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع فقد كذب في شهادته.. انتهى..

وقد سبق تفصيل القول في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. ويقول رحمه الله في موضع آخر.. ومن لوازم ذلك «أى الشهادتين» متابعتة وتحكيمه في موارد النزاع وترك التحاكم إلى غيره، كالمناقضين الذين يدعون الإيمان به ويتحاكمون إلى غيره، وبهذا يتحقق للعبد كمال التوحيد.. ومن قوله «يزعمون» نفى لما زعموه من الإيمان وقد أمروا «أن يكفروا به» أى بالطاغوت، وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم إليه. وقال. وفي الآية دليل على أن التحاكم إليه، به يكون العبد غير مؤمن بل ولا مسلم «يعنى التحاكم إلى الطاغوت». وأورد الشيخ في نفس الباب قوله تعالى «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» قال ابوالعالية في الآية.. يعنى لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك هو معصية الله، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والساء بالطاعة. وأخيراً أورد الشيخ سبب نزول آية النساء «الم تر إلى الذين يزعمون... الآية فقال... وقيل نزلت في رجلين اختصما وقال أحدهما نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر.. إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر رضى الله عنه. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، أكذلك. قال نعم. فضربه بالسيف فقتله. ويحسن بنا أن نذكر في هذا الباب الرد على

القانونيين الذين يحكمون الطاغوت المسمى «بالقانون» وأنقل ما كتبه والدى وشيخى ساحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله.. قال رحمه الله: إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين فى الحكم به بين العالمين، والرد اليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل، «فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلاً...» وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفيًا مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم.. قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً» وقال فى موضع آخر. وقد نفى الله الإيمان عن من أراد التحاكم الى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين.. كما قال تعالى «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» فإن قوله يزعمون تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع إيمان مع تحاكم الى غير ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الإيمان فى قلب عبد أصلاً بل أحدهما ينأى الآخر. والطاغوت مشتق من الطغيان؛ وهو مجاوزة الحد. فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، فمن حكم بخلافه أو حاكم الى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكماً أو تحكماً، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوز حده.

وقال عليه رحمة الله ورضوانه «وتأمل قوله عز وجل «وقد أمروا أن يكفروا به» تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعاً هو الذى تعبدوا به وهو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه. «فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم» ثم تأمل قوله تعالى «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» كيف دل على أن ذلك ضلال. وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، وقد دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هى

صلاح الإنسان ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان معزولا من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن..

وقد قال الله تعالى منكرًا على هذا الصنف من الناس ومقررًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحًا أنه لا حكم أحسن من حكمه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون»- فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية؛ لا تناقض لديهم حول هذا الصدد.. وأما القانونيون. فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وينافقون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا. وقد قال الله في أمثال هؤلاء . «أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا» ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم ونحاة أفكارهم بقوله عز وجل «ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون»، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهى عن كل شر، وعدل إلى ما سواه في الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من أهل الضلالات والجهالات، مما يصنعونه بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار في السياسات الملكية التي يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى «أفحكم الجاهلية يبغون»، وعن حكم الجاهلية يعدلون؛ «ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون» أى: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وأمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم من الوالدة بولدها، فإنه تعالى العالم بكل شئ، القادر على كل شئ، العادل في كل شئ. قال تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وقال «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا بل هو كافر مطلقًا، إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد - وما جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، يدل على أن الحاكم بغير

ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة ، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة. وقال: وهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهياً مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب اثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحثهم عليه - فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة. نسأل الله العصمة من جميع المعاصي وأن يشبثنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة..هـ.

وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته من بعده في صدق إيمان ونور بصيرة وثبات على الحق، وموقف إمامهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلماء المسلمين أهل السنة والجماعة من النصارى واليهود والملحدون والمبتدعة والزنادقة والجهمية والمعطلة والمقلدين المتعصبين وعباد الموتى وقفة المجاهدين الناصحين لله ولرسوله ولدينه، وأتاهم الله من قوة اليقين وشجاعة الجنان ووضوح الحجة ما أخرس خصومهم وقطع أسنتهم، وفي ذلك الجو وما فسر من لهم مصالح في انحراف الناس عن حقيقة التوحيد كما هي العادة، مضوا في محاربة الشيخ وإيداعه، ولكنهم لم يصلوا الى حجته ولا الى قلبه ولسانه ولا الى هديه وبيانه هدى القرآن وبيان القرآن وسنة رسول الهللى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فدعى الى الله والى متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. فأشعل منار العرفان وأضاء مصابيح السنة، ففتح الله بدعوته قلوبا غلغا، وأعيننا عميا، وأذانا صما، ونفع الله بكتبه ورسائله على بصيرة من نور الله وشرعه، شأنه في ذلك شأن المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما حصل قبله للإمام ابن تيمية في سبيل تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة والدود عن حوزة الإسلام، حين نادى بها حربا شعواء، فقد جهر برأيه في صراحة تامة لا غموض فيها، سنده وحجته كتاب الله والسنة المطهرة. ثم خلفه تلميذه ابن القيم، فحمل الراية وأعلنها حروبا على الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية والمعطلة داعيا الى عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من فقهاء الأمة ومحدثيها .. ولقد كان مسلك ابن القيم رحمه الله في التصوف مسلك المصلح العارف بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ كتابه القيم «مدارج السالكين» شرح كتاب «منازل الساترين» للإمام الهروى، وعرف التصوف البرى من كل دجل

وضلالة، وأن ما يدعيه أصحاب الفرق الضالة والطرق الصوفية ما هو الا جاهلية
وضلالة ينبغي محاربتها وكشف زيفها وضلالها. وقد كان موقف الشيخ محمد بن
عبد الوهاب ومسلكه في التصوف هو موقف ومسلك ابن القيم رحمه الله. كما ان موقف
الشيخ محمد رحمه الله من التقليد الأعمى هو موقف الإبطال والرفض، لأن العلم هو
المعرفة الحاصلة عن دليل والتقليد ليس بدليل وبالتالي ليس علما..

«خاتمة»

لقد ظلت دعوة الشيخ المجدد رحمه الله صورة حية في حياة سكان الجزيرة العربية وغيرهم من كثير من سكان آسيا وأفريقيا، كما كان كفاحه ونضاله في سبيل تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والعمل على توحيد الجزيرة العربية في كيان واحد يلم شعنها. فقد كانت الجزيرة العربية قبل دعوة هذا الإمام المصلح مجزأة في إمارات صغيرة مختلفة متناحرة، يأكل قويهم ضعيفهم، ويستبيح ماله وعرضه، مجتمعاً تسوده الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، فعبدت الأشجار، والأحجار، والغيران، والأموات من دون الله. كانت المرأة في ذلك الزمن تأتي الى فحل النخل وتحتضنه قائلة: «يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحلول». وقد ذكرت كتب التاريخ اشجارا وأحجارا وغيرانا يرتادها الجهلة من الناس من غير نكير. فبلغت درجة من التخلف عظيمة. كانت تلك الإمارات وكانت القبائل فئات متناحرة تتصرف بعقلية متعفنة وبعادات جاهلية، فجاهد الشيخ والإمام محمد بن سعود ومن بعده من أمراء الدولة السعودية الأولى في سبيل تصحيح العقيدة ومحاربة ما ورثه الأبناء عن الآباء من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى عاد للجزيرة العربية وجهها المشرق، وكان لها وضع مدهل، وذلك بفضل قوة الإسلام وحمايته من قبل الحكم العادل..

«هما السيف والقرآن قد حكما معا . . فلم يتركوا زيفا ولم يتركوا خرفا».

كان الشيخ بجانبه الإمام المسلم الذي أشرب قلبه بلبان التوحيد رائدى منهج وخطة عمل، فهما أخذوا على عاتقهما إصلاح المجتمع الجاهلي عقيدة وسلوكا وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. والله المستول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يهدينا سواء السبيل. وأن يفرس لهذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتهاك المبطلين - وأخر دعوانا أن - الحمد لله رب العالمين.

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ
مناع القطان

مدير إدارة الدراسات العليا

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..
يجدر بنا في مستهل هذا البحث أن نقدم له بكلمة نتعرف منها على ملامح هذه الشخصية الفذة والعوامل التي أثرت فيها.

بيئته وعصره:

للبيئة - طبيعية كانت أو اجتماعية - أثرها في تكوين شخصية الإنسان، فإن مقومات الشخصية تعتمد على الصفات الجسمية والعقلية والخلقية، وهذه الصفات منها ما يكون وراثيا، ومنها ما يكون مكتسبا، وهذه وتلك تتأثر تأثرا مباشرا ببيئة الإنسان، والبيئة الاجتماعية بما يسودها من أعراف وعادات وتقاليد هي التي توجه الشخصية الى السلوك الاجتماعي الذي يلائمها إيجابا أو سلبا.

والداعية المصلح هو الذي يتفاعل مع بيئته تفاعلا واعيا يتحسس به نفسيات الناس وسجاياهم وعقائدهم وأخلاقهم، وتصوراتهم للحياة ومفاهيمهم عنها، ويدرك عوامل الخير فينميها وعوامل الشر فيعالجها بالحكمة.

إنه يعيش بمشاعرهم وأحاسيسهم، ويقف منهم موقف الغطاس الماهر يفحص موطن الداء، ويصف الدواء، ويرى حياته مرهونة بإنقاذهم من براثن الشرك والضلال،

وهدايتهم الى صراط الله المستقيم، وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:

(فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (١)

ولا يستطيع الداعية أن يصل إلى نفوس قومه ويتملك مشاعرهم الا اذا كان تفاعله معهم صادقا، يقرب منهم ليقربوا منه، ويحبهم ليجبوه، ويخالطهم ليألفوه.. ويخالطهم بلغتهم فيما يمس حياتهم ويتصل بصميم بيتهم ليستمعوا له، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (٢)

فالتعبير باللسان ليس قاصرا على اللغة، ولكنه رمز للتجانس بين الداعية وقومه لغة وبيئة، بما تتضمنه البيئة من عادات وتقاليد.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب تمثلت فيه هذه المعاني جميعا، ومن خلال بيئته نتعرف على معالم شخصيته والجوانب التي كان لها أثرها في دعوته.

بيئة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

الجزيرة العربية على سطح الكرة الأرضية تمثل شبه قارة وان كانت جزء من قارة لتراعى أطرافها، وسعة أبعادها، واختلاف أجزائها، وكثرة مرتفعاتها ووديانها، وتمثل المنطقة الوسطى منها الجزء الأكبر الذي يرتفع كثيرا عن سطح البحر، وهو الذي يطلق عليه اسم «نجد» أي الأرض المرتفعة، ويحد هذا القسم شمالا بجبل شمر، وجنوبا بالربع الخالي، وشرقا بالدهناء، وغربا بالحجاز، وتخترقه من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال العارض بشعبها التي تتخللها، وتحيط بها أودية زراعية خصبة، والقسم الجنوبي منها هو الذي يسمى بالعارض، ويتوسطه وادي حنيقة المعروف بخصوبته وكثرة مائه، وأشهر بلدانه التي شهدت جوانب حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي: «حريملاء» و«العيينة»

(١) سورة الكهف آية ٦

(٢) سورة ابراهيم آية ٤

و (الدرعية)، وكانت تلك الجهات تعرف قديما باليامة وإن كان اسم اليامة اليوم يطلق على جزء صغير منها.

وطبيعة الجزيرة العربية تملى على سكانها صفاتهم النفسية والسلوكية، فهى بلاد وعرة المسالك كثيرة الوهاد والنجاد، يعتمد معظم أهلها فى حياتهم على ما يعتمد عليه أهل البادية ، من رعى الماشية ، والانتجاع طلبا للكلا والعشب، وقد أورثهم ذلك خشونة النفس، وقسوة القلب، وغلظة الطبع، وتحررا من القيود والضوابط، وعصبية للقوم، واعتزازا بالعشير، وإزاء هذا كله فقد ورثوا كثيرا من المحامد التى تستدعيها حياة البادية من شجاعة وإقدام ووفاء ونجدة وجود وكرم.

والأنفة التى جبل عليها الأعرابى تأنف من الخضوع والانقياد. فهو يعتز بنفسه اعتزازا بالغا، ولا يسلس قيادة الإنسان بسهولة، وما عرف عن النظام القبلى فى رئاسة شيخ القبيلة كان فى نطاق محدود يرتبط بالحماية وحماية الذمار ودفع العار مع ما كان بين القبائل بعضها مع بعض من حروب طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، يثير العصبية العمياء لأنفة الأسباب.

وإنما تلين عريكة العرب اذا كانت السلطة للدين حيث لا يشعر أحدهم حينئذ أنه يخضع لإنسان، إنما يخضع لله، وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى بقوله «الفصل السابع والعشرون» فى أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب فى ذلك أنهم لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظ والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبير والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبى أو الولى، الذى يبعثهم على القيام بأمر الله، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم ، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق الا ما كان من

خلق التوحش القريب المعاناة المنتهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث»^(٣).

ولنجد بعامة، واليامة بخاصة، تاريخها في الإسلام الذي امتد عبر القرون في فترات متلاحقة تأثرت بالأحداث التي أحاطت بأمة الإسلام.

لقد استقر المقام لعشيرة من قبيلة «غزة» في اليامة، حيث النخيل والأشجار، ووفد عليهم من أبناء عموماتهم من بنى حنيفة من بكر ابن وائل جماعة، فسكنوا معهم، واختلطوا بهم، وتغلبوا على البلاد، وألت زعامة اليامة وما حولها عندما بزغ فجر الاسلام الى هوزة بن على الحنفى، وثامة بن أثال الحنفى، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه وكتب معهم كتباً الى الملك يدعوهم فيها الى الإسلام، بعث شليط بن عمرو أحد بنى عامر بن نوى الى ثامة بن أثال وهوزة بن على الحنفين ملكى اليامة^(٤).

ثم توفى هوزة دون أن يسلم، أما ثامة فقد وقع في أسر سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم في قصة مشهورة^(٥).

وفي عام الوفود قدم وفد بنى حنيفة وأسلم، ولكن سرعان ما ارتد عدو الله مسيلمة ابن حبيب الحنفى وتنبأ، وجعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم كلاماً مضاهة للقرآن.

فلما كان عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، أعد الجيوش وعقد الألوية لقتال المرتدين، وكانت المعركة الفاصلة بقيادة خالد بن الوليد في حديقة لمسيلمة لقي فيها حتفه، وسميت حديقة الموت لكثرة قتلاها.

استتب الأمر للإسلام، وأخذ الفتح الإسلامى يبسط نفوذه في عهد الخلفاء الراشدين، وأسهمت قبائل نجد - بما عرف عنها من صرامة وقوة - في هذا الفتح، ولم يكن هناك ما

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١ ط مصطفى محمد.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٣، ٢٤٧ - ٢٥٤ ط مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) المصدر السابق ص ٢٨٧ ج ٤.

يدعو الى تولية ولاية على أقاليم الجزيرة العربية حتى كان عهد بنى أمية الذين اتخذوا الشام عاصمة لهم، فأوفدوا ولاتهم الى المدينة ، والطائف وأليامة والبحرين ، وظل الأمر هكذا في عهد الخلافة العباسية سوى أن بنى العباس أولوا اهتمامهم بالحجاز واليامة والبحرين، فلما ضعف شأن الدولة وفقدت سيطرتها على أطرافها نشبت الثورات الانفصالية في أنحاء شتى ، ونال الجزيرة العربية من ذلك ما نالها، فاستقل باليامة محمد ابن يوسف بن ابراهيم من سلالة الحسن بن على بن أبى طالب، واستمرت إمارتها في عقبه زهاء سبعين عاما ، حتى هاجم القرامطة اليامة سنة ٣١٧هـ وتغلبوا عليها .

ولم يبق في اليامة بعد ذلك دولة ذات شأن، بل استقل كل أمير في نجد بإمارته، وبلغ الأمر ذروته في القرن الثانى عشر الهجرى، حيث تعددت الإمارات، فكانت الامارة في العيينة لآل معمر، وفي الدرعية لآل سعود، وفي الرياض لآل دواس، وفي الأحساء لبنى خالد، وفي نجران لآل هزال، وفي حائل لآل على، وفي القصيم لآل حجيلان، الى غير ذلك من الإمارات.

وبين هذه الإمارات المتعددة من الشحاء والبغضاء والتناحر والتنافر ما يحول دون استقرار البلاد والشعور بالأمن والانصراف للكسب والمعيشة.

ولم تكن الحالة الدينية في نجد أحسن من تلك الحالة السياسية، فإن انقطاع الصلة بينها وبين الخلافة والدولة وما نجم عن ذلك من استقلال إماراتها وانقسام قبائلها، جعل حياتها الدينية مضطربة منحرفة، وعرض العقيدة الاسلامية في نفوس أبنائها الى شوائب البدع والخرافات ، حتى كثر الشرك بالله، وشاعت الاعتقادات الجاهلية واشتدت الحالة في القرن الثانى عشر الهجرى، واعتقد الناس في الجن والأحجار والأشجار والقبور، ولم يكن هناك من العلماء من يقوم بواجب الدعوة الى الله وتبصير الناس بما هم عليه من الشرك والخرافات والأباطيل حيث غلب الهوى واستحوذ على العقول الضلال، واستسلم أمام موجة الجهل عامة الناس وخاصتهم، ما بين مخدوع مضلل ومستضعف مستكين.

وحين تعظم الطامة وتدلم الخطوب، تسأم النفوس الحياة وتمل الفساد والجور وتتطلع الى ساعة الخلاص التى تنقذها من براثن الشرك، وتنشلها من حمأة الرذيلة، وتأخذ بيدها الى

الصراط المستقيم، وترفع عن كاهلها أوزار الجهالة، وتحطم قيود العبودية وأغلال الاستبداد.

وبين تلك الحياة القائمة التي كانت تعيشها نجد سياسيا ودينيا ، ومض في الأفق بريق الأمل، وأراد الله تعالى أن يزيح الغمة، ويعيد للأمة صفاء عقيدتها ، ويخلصها من أضرار الشرك والجهالة ، ويبدد غيوم اليأس والقنوط، فارتفع صوت يردد كلمة التوحيد التي بعث بها الرسل (لا اله الا الله) بروح الإيمان الصادق ويحيى في النفوس العقيدة الخالصة ، ويمسح عنها أدران الوثنية والجاهلية ويدعوها إلى نبذ البدع والخرافات، ويستقى لها من نبع الإسلام الصافي ومورده العذب في القرآن والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

كان هذا الصوت صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي الذي تجاوبت أصدائه في ربوع نجد، وفي جزيرة العرب وفي ديار الإسلام كافة، ووجد ما يدعمه من قوة السلطان في الأمير محمد بن سعود، فكان ذلك إيذانا بفجر جديد ينشر ضوءه في جوانب العالم الإسلامي، إعلاء لكلمة الله وتمكيناً لشرعية الإسلام.

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القرآن والسنة:

لقد كثرت الأقاويل في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وافترى عليه نفر من الناس، وخاضوا في الحديث عنه على غير علم، وكأنه كان بدعا في تاريخ المصلحين أتى لهم بمذهب جديد، والحق أن دعوته كسائر دعوات الإصلاح الإسلامي الرشيدة المهتدية ، نهجها الاتباع لا الابتداع، ترد الناس الى الشريعة الإسلامية في مصدرها الأساسيين : القرآن والسنة

والقرآن: هو كلام الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، ونقل إلينا تواترا لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آية دالة على صدقه فيما ادعاه من الرسالة، وهو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمة امتثالا لأمر ربه

يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَاتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٦)

واحتوى على الأمر الإلهي الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام
في غير موضع بأساليب شتى، قال تعالى:

(اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) (٧)
وقال عز وجل:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (٨)

وتلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة له وحفظا ودراسة
لمعانيه، وعملا بما فيه، واستمر حفظ المسلمين للقرآن في كل عصر، وتوارثت الأمة
نقله بالكتابة على مر الدهور جيلا بعد جيل، من غير تحريف أو تبديل وذلك
مصدق قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٩)

وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة وقواعدها في الحلال والحرام،
وجاءت أكثر أحكامه مجملة، تشير الى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأئمة
والمجتهدين المصباح الذى يستنبطون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل
زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة وشمول قواعدها الكلية ومقاصدها العامة لما
يحدث في الناس من أقطيات.

(٦) الآية ٦٧ من سورة المائدة

(٧) الآية ٣ من سورة الاعراف

(٨) الآية ٤٨ من سورة المائدة

(٩) الآية ٩ من سورة الحجر

وإنما فصل القرآن ما لا بد فيه من التفصيل الذي يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل ، كما في العقائد وأصول العبادات، أو لأنه يبنى على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، وذلك كما في تشريع المواريث، ومحرمات النكاح، وعقوبة بعض الجرائم.

والسنة: في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل .. أو تقرير.. أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، فهي مرادفة للحديث.
وفي اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

وفي اصطلاح الفقهاء : ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، فهي حكم من الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد تطلق السنة على ما دل عليه دليل شرعى ، ويقابل ذلك البدعة. والسنة هي المصدر الثانى الأصيل فى التشريع الإسلامى، وقد بين الإمام الشافعى فى الرسالة أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة الا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال تعالى :

(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)^(١٠)
وقسم الأحكام الى أقسام.

- ١ - ما أبانه الله لخلق نسا كجمل فرائضه من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الفواحش مظهر منها وما بطن، وتحريم الزنا والخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير.
- ٢ - وما جاء حكمه فى القرآن مجملا، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والعملية، كتفصيل مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وسائر أحكامها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها والأموال التى تزكى ، وبيان أحكام الصوم ومناسك الحج، والذبايح

(١٠) الآية ١ من سورة ابراهيم

والصيد وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفصيل الأنكحة والبيوع والجنایات وغير ذلك مما دفع مجملا في القرآن، وهو الذي يدخل في الآية الكريمة:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١١)

٣ - وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم بالقرآن حيث فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاه الى حكمه:

(وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ)

فمن قبل هذه السنة امثل أمر الله. (١٢)

وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في قوله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١٣)

وتكرار الأمر بالطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر الله بطاعة أولى الأمر استقلالا حيث لم يتكرر معهم الأمر بالطاعة، فجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بما جاء عن الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ذلك فلا سمع له ولا طاعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١٤) وقال: إنما الطاعة في المعروف (١٥).

(١١) الآية ٤٤ من سورة النحل

(١٢) انظر الرسالة ص ٨٥ - ٩٢ بتحقيق أحمد شاكر ط الحلبى

(١٣) الآية ٥٩ من سورة النساء

(١٤) رواد أحمد والحاكم.

(١٥) رواد أحمد والبيهقى

وقد تضمنت الآية احتمال التنازع بين المؤمنين في بعض الأحكام - وأوجبت الرد عند التنازع إلى الله والرسول، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأمر بالرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة يدل على أنها يشتملان على حكم كل شيء، لأن قوله: (فإن تنازعتم في شيء) نكرة في سياق الشرط وسياق الشرط كسياق النفي، فهي تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين ولولم يكن ما في كتاب الله وسنة رسوله كافياً لبيان حكم ما تنازعوا فيه لما أمروا بالرد إليه، وهذا يجعل مرد الحلال والحرام إلى الله والرسول^(١٦)

هذا وإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد نحا هذا المنحنى الأصيل في دعوته بكل جانب من الجوانب التي تناوها.

أولاً : تأكيد على الرجوع الى الكتاب والسنة:

أكد الشيخ رحمه الله في غير موضع من رسائله وفتاواه وكتبه ضرورة الرجوع الى الكتاب والسنة.

فقد أجاب الشيخ محمد بن مانع عن مسائل سأل عنها بقوله: «.... وأما المسائل التي ذكرت فاعلم أولاً أن الحق إذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذي هو أوضح من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك فإذا فهت قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)^(١٧)

(١٦) انظر كتابنا: التشريع والفقہ في الاسلام تاريخاً ومنهاجاً ص ١١٩ - ١٢٠ وانظر أعلام الموقعين لابن القيم

ص ٤٨ - ٥٠ بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط مصطفى محمد.

(١٧) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات، وذكر في شرح «الإقناع» في أول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد، والقناطر، يعنى بقعها لا الوقف عليها، واختلفوا فيما سوى ذلك، إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ونقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بهذا ، ولو أمر به لكان الصحابة أسبق الناس إليه، وأحرصهم عليه^(١٨).

وكان الشيخ حنبلي المذهب في دراسته، ولكنه لا يلتزم مذهب الإمام أحمد في فتاواه إذا ترجح لديه ما يخالفه فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب اليه الشيخ عبدالعزيز الحصين يسأله عن مسائل «المسألة الأولى»... العروض، هل تجزى في الزكاة اذا أخرجت بقيمتها؟ فأجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله:

أما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما المنع لقوله:

«في كل أربعين شاة شاة، وفي مائتي درهم خمسة دراهم» وأشباهه، والثانية يجوز، قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع تمر نخلة فقال عشرة على الذى باعه، قيل يخرج تمرا أو ثمنه، قال: إن شاء أخرج تمرا وإن شاء أخرج من الثمن.

إذا ثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله والرسول، قال البخارى في صحيحه في أبواب الزكاة: «باب العرض في الزكاة» وقال طاوس: قال معاذ لأهل اليمن: إئتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقال صلى الله عليه وسلم: «وأما خالد فقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله» ثم ذكر في الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز^(١٩).

(١٨) فتاوى ومسائل - المسألة الثانية والعشرون ص ٨٨، ٨٩ - القسم الثالث مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى.

(١٩) المصدر السابق ص ٩٥ ، والعرض بفتح المهملة وسكون الراء: ما عدا التقدين والخميص: عنى به الصفيق من الثياب، أو لبيس: أى ملبوس: فعيل بمعنى مفعول.

فأنت تراه في هذه الفتوى يذكر الخلاف ثم يرده الى الله والرسول، ويدعم ما اختاره بالدليل، حيث أخذ معاذ العرض بدل الشعير والذرة في الزكاة وفي نهاية أجوبته أتى بتتمة في اتباع النصوص مع احترام العلماء فقال: «إذا فهمتم ذلك فقد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، وهذه المسائل وأشباهاها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير تكبير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع مع كونه قد اتقى الله ما استطاع، لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير تكبير ما لم يتبين النص.

فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده، معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ، ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم.

أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم،

وأما اتخاذهم أربابا من دون الله - إذا قيل: قال الله قال رسوله قيل: هم أعلم منا - فهذا هو طريق الضالين»^(٢٠).

والشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر أن دين الحق هو الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلل ذلك بأمرين: أحدهما: أن الله أعطى رسوله جوامع الكلم، وثانيهما أنه عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلمة الجامعة، وبهذا أكمل الله لنا الدين ، وأغنانا بهذا عن إحداث شئ في الدين ليس منه، فإنه يكون بدعة وضلالة، يقول الشيخ «اعلم - أرشدك الله - أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح - إذا كان من ينتسب الى الدين: منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن

(٢٠) المصدر السابق ص ٩٧

الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهم جيداً فهم قوله تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (٢١)

وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا بقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وفهم أيضاً معنى قوله: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)، فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله، أى إلى كتابه، وإلى الرسول، أى إلى سنته، علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع) (٢٢).

ويتابع كلامه فيوجب في محل النزاع التراد إلى الله والرسول إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، إذ لا وجه للترجيح إلا بالدليل، فإذا لم يتبين للمرء الدليل المرجح كانت له مندوحة في أن يقلد من يثق بعلمه ودينه، يقول، الشيخ - رحمه الله - : «إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التراد إلى الله والرسول، لا إلى كلام أصحابه ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً، وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجملة، فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه،

(٢١) الآية ٣ من سورة المائدة

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٢

فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه، وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى أو يقلد الأعمى أو الأردع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه. (٢٣).

وبين القاعدة التي يتبعها المفتى فيقول: «الذي يسوغ بل يجب ما وصف لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله، ورد ما تنازع فيه المسلمون اليه فإن علمه الله شيئا فليقل به، والا فليمسك ويقول: الله أعلم، ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة الى ما لم يعلمه، وقد قال تعالى:

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (٢٤).

والذي يتتبع أقوال الشيخ وفتاواه يجد تأكيد وجوب اتباع الله واتباع رسوله والرد في محل النزاع الى الكتاب والسنة، تارة بالاجمال، وتارة بالتفصيل، وأوضح بيان له في ذلك ما ذكره في رسالة له: «أربع قواعد تدور الأحكام عليها ونحن نقتطف من ذلك أهم ما ورد: هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها....»

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ إِلَى قَوْلِهِ: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢٥).

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يجرمه أو يوجهه أو يستحبه، أو يكرهه، لقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن مَّبَدَ لَكُمْ تَسْؤُرٌ) (٢٦).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»

(٢٣) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣

(٢٤) الآية ١٧ من سورة الأسراء

(٢٥) الآية ٣٣ من سورة الاعراف.

(٢٦) الآية ١٠١ من سورة المائدة.

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال تعالى:

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ) (٢٧).

والواجب على المسلم اتباع المحكم وإن عرف معنى المتشابه وحده لا يخالف المحكم بل يوافقهِ وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: (أما به كل من عند ربنا)

القاعدة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر «أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات» فمن لم يظن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل، فهذه ثلاث ذكرها الله في كتابه.. والرابعة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام، والأحكام الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين.

ثم ذكر الشيخ أن الواجب اتباع النصوص مع احترام العلماء، فقال بعد كلاء طويل

وبالجمل فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين لك واحتجت الى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه

وأما قول من قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا

(٢٧) الآية ٧ من سورة آل عمران.

كان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه فمن قام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطىٰ بنه على خطئه، وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفا لمذهب أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (٢٨)

وأما قول من قال: اتفاق العلماء حجة، فليس المراد الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة، وأما قولهم اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى:

(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) (٢٩)

ولما سمع عمر بن مسعود وأبيا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أى فتياكم يصدر المسلمون؟

لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامى هذا إلا فعلت وفعلت....»

ثم يسترسل الشيخ في ذكر ما يمكن أن يكون موضع خلاف يحتمل ويحجر الموقف في مثل ذلك، وهو تحرير يوقر فيه العلماء ويحفظ مكانتهم، وهذا ينفى عنه ما قيل: من تهجمه عليهم.. يقول: قد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالين، وهذه المسائل (٣٠) وأشباهاها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير تكبير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

(٢٨) الآية ٣٦ من سورة الاسراء

(٢٩) الآية ١١٨ من سورة هود

(٣٠) المراد مسائل في الزكاة ستل عنها

وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكاح ما لم يتبين النص، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم..^(٢١).

هذه هي الصورة المشرفة في منهج الشيخ ودعوته لا مجال فيها لتقول يدعى أنه خرج على الأئمة، وأنه ينال منهم، أو أنه أتى بمذهب جديد ينسبه الى نفسه، حتى لقبوا بدعوته بالوهابية افتراء وزورا.

والشيخ رحمه الله يريد على هذه المفتريات في أجوبته عن الرسائل التي وصلته، ويبين أنه لا يجحد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه سلف هذه الأمة، وما استقر عليه أمر علمائها، ولا يكفر الناس، قفى رسالته الى أهل القصيم يقول: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى على أمور لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي، (فمنها) قوله: إنى مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأنى أقول: إن الناس من ستائة سنة ليسوا على شئ، وأنى أدعى الاجتهاد، وأنى خارج عن التقليد، وأنى أقول: إن اختلاف العلماء نقمة وأنى أكفر من توسل بالصالحين، وأنى أكفر البوصيرى لقوله: يا أكرم الخلق، وأنى أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإنى أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإنى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرها وأنى أكفر من حلف بغير الله، وأنى أكفر ابن الفارض وابن عربى، وأنى أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين:

جوابى عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، وقال تعالى:

(٢١) المصدر السابق ص ١٠ - ١٢

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ (٣٢)

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله في ذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٣٣) ... (٣٤).

ولا يحمل الشيخ الناس على اتباع كلامه، إنما يدعوهم إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي رسالته الى الشيخ قاضل آل مزيد يقول:

«إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وأقول لهم: الكتب عنكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس» (٣٥).

ويستشهد فيما يدعو اليه بأقوال الأئمة ليقيم الحجة على أتباعهم من مذهبهم، ولكنهم يفتلون عن هذا، جاء في رسالته التي أرسلها الى عبدالله بن سحيم مطوع أهل المجعة جوابا عن مسائل بدعية وشركية: قال في «الإقناع» في باب حكم المرتد «واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريغ الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى:

(٣٢) الآية ١٠٥ - من سورة النحل

(٣٣) الآية ١٠١ من سورة الأنبياء

(٣٤) مطبوعات أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس - الرسائل الشخصية، الرسالة الأولى.

ص ١١، ١٢ - ٤ - المصدر السابق - الرسالة الثانية ص ١٨.

(٣٥) المصدر السابق - الرسالة الرابعة ص ٣٢

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى
الْبَرِ اعْرَضْتُمْ) (٣٦)

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح «درر البحار»: النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدي فلان، إن رد غائبى، أو عوفى مريضى، أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا باطل إجماعا لوجه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر، إلى أن قال: إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت.. ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد أحمد البدوى، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده ؟

وأما المالكية فقال الطرطوشى في كتاب «الحوادث والبدع»: روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة لتركين سنن من كان قبلكم «فانظروا رحمكم الله - أيما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الحرق فهى ذات أنواط فاقطعوها.....

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان - وقد وقع من جماعة من النابذيين لشريعة الإسلام المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين، فهم داخلون تحت قوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَائُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)

(٣٦) الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٣٧) الآية ٢١ من سورة الشورى

وبهذه الطرق.. وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.....(٣٨).

ويلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالة على إنكار ما اتهم به من التكفير بالعموم، أو سب الصالحين، وبين أنه يعتمد في أقواله على ما وافق النصوص من الكتاب والسنة، وأما القول: إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأما الصالحون فهم على صلاحهم - رضى الله عنهم - ولكن نقول: ليس لهم شئ من الدعوة، قال الله:

(وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٣٩)

وأما المتأخرون - رحمهم الله - فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما يوافق النص لا نعمل به... (٤٠) «وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٤١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كاتنا من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعته في كل ما أمر به، وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن أبى يارسول الله؟ قال من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

(٣٨) المصدر السابق الرسالة الحادية عشر ص ٦٨/٧٢

(٣٩) الآية ١٨ من سورة الجن

(٤٠) المصدر السابق الرسالة الخامسة عشرة ص ١٠١

(٤١) الآية ٣٦ من سورة آل عمران

فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضى الله عنهم أجمعين لكى نتبع آثارهم...» (٤٢).

ويصرح فى غير موضع بأنه لا يدعو الى مذهب ، إنما يدعو الى الكتاب والسنة «ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أنا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها. من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق» (٤٣).

ثانيا : منهجه فى الدعوة الى العقيدة يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة :

تحتل الدعوة الى توحيد الله تعالى والبراءة من ضروب الشرك المكانة الأولى لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسوة برسول الله، فالعقيدة لب الأديان السماوية وعليها تقوم الشريعة، وكتاب «التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» يحتل الصدارة فى كتب الشيخ، وإذا تناول المرء هذا الكتاب وجد من أخص مميزاتة أنه يذكر الباب، ثم يسوق الأدلة من الكتاب فالسنة فما أثر عن سلف هذه الأمة ثم يتبع هذا بالمسائل التى تستنبط من الأدلة، ويكفى أن نذكر هنا بعض النماذج للتعرف على نسق الكتاب.

(٤٢) المصدر السابق - الرسالة السادسة عشر - ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤٣) المصدر السابق - الرسالة الخامسة والثلاثون - ص ٢٥٢.

باب (١)

فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى :

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ هُمُ الْاٰمِنُ السَّٰطِرُونَ)

سورة الأنعام : ٨٢

مهتدون)

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل. أخرجاه ، ولهما في حديث عتيان : «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله».

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى: يارب، علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يارب، كل عبادك يقولون هذا، قال: ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفه، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب^(٤٤).

.....
.....

باب (١٨)

ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم
هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل:

(يَنَٰهَىٰ ٱلْكُفْرَ ٱلَّذِينَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْأَحْقَاقَ^ع)

سورة النساء آية ١٧١

في الصحيح عن ابن عباس رضی الله عنهما في قول الله تعالى :

(وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ ٱلْمُهْتَكِرَ وَلَا تَدْرُنَّ وَدَّاءَ وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)

سورة نوح: ٢٣.

قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبت»

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

(٤٤) القسم الأول - العقيدة والآداب الاسلامية - مطبوعات أسبرج الشيخ ص ١٢، ١٣

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» أخرجاه.

وقال: (٤٥): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإمّا أهلك من كان قبلكم الغلو»

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المنتطعون - قالها ثلاثا».

فيه مسائل:

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض، أنه بشبهة الصالحين. (٤٦)

باب (٣٥)

ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَيْنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنَا الْوَاحِدُ مِّنْ قَبْلِ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا) الكهف: ١١٠

وعن أبى هريرة مرفوعا: قال: قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» رواه مسلم.

(٤٥) هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الامام احمد والترمذى، وابن ماجه من حديث ابن عباس.

(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦، ٥٧

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل.. رواه أحمد.

فيه مسائل :

الأولى: تفسير آية الكهف .

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله (٤٧)

باب (٣٨)

قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِطْغَاةِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾

النساء من ٦٠ إلى ٦٢.

وقوله :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

سورة البقرة: ١١

وقوله:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

سورة الأعراف: ٥٦

(٤٧) المصدر السابق ص ٩٨

وقوله :

(أَفْحَكَرَ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ^ج وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

سورة المائدة: ٥٠

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به» قال التودى: حديث صحيح، رواه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد - ، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة: وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمة - أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه: فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون) الآية

وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله. فيه مسائل:

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على معرفة الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية.

الثالثة : تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الآية.

الرابعة : تفسير (أفحكهم الجاهلية يبغون)^(٤٨).

.....

.....

وتقرأ للشيخ كتبه الأخرى في العقيدة، في كشف الشبهات وفي ثلاثة الأصول، فتجد كل مسألة من المسائل مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة.

ولا يتخلى الشيخ عن هذا المنهج الاستدلالي في كل باب من الأبواب التي تناول فيها العقيدة وتفسير مدلولها أو تناول فيها الشرك بضروره.

(٤٨) المصدر السابق ص ١٠٤، ١٠٥

ثالثا: منهجه في الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل وإن خالف مذهبه :

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حنبليا ، ولكنه لا يتعصب لمذهبه ، ولا ينتصر له ، شأن كثير من أتباع المذاهب الفقهية ، إنما يأخذ من مذهب أحمد ما وافق الدليل ، ويختار من آراء الفقهاء ما ترجح عنده بدليله ولهذا شواهد كثيرة .

ففي كتاب الطهارة:

باب السواك وسنن الوضوء

السواك يعود لين ينقى الفم لا يتفتت مسنون كل وقت لحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه الشافعي وأحمد وغيرهما .

ويسن السواك في جميع الأوقات لحديث عائشة ، رواه مسلم .
ويتأكد استحبابه في ثلاثة مواضع : عند تغير رائحة الفم ، وعند النوم ، والحديث حذيفة ، متفق عليه ، وعند إرادة الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم :
«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه .

ويستحب في سائر الأوقات ولو لصائم بعد الزوال ، قال في الاختيارات وهو رواية عن أحمد ، وقاله مالك وغيره (٤٩) .

باب التيمم

وهو من خصائص هذه الأمة ، لم يجعله الله طهورا لغيرها ، وهو أيضا بدل طهارة الماء لكل ما يفعل بها عند العجز عنه .

وله شروط أربعة :

أحدها : العجز عن استعمال الماء ، إما لعدمه ، لقوله تعالى :

(٤٩) القسم الثاني - الفقه - المجلد الثاني - مطبوعات أسبوع الشيخ كتاب الطهارة ص ١٥

فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (٥٠)

أو لخوف الضرر من استعماله لمرض أو برد شديد، وجرح، لقوله سبحانه:

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى (٥١)

ولحديث عمرو بن العاص ، رواه أبو داود ، أو خوف العطش على نفسه، حكاه ابن المنذر إجماعاً، أو تعذر إلا بثمن كثير يزيد على ثمن المثل، وإن أمكنه استعماله في بعض بدنه لزمه استعماله وتيمم للباقي، لحديث أبي هريرة وفيه: فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

الثانى : دخول الوقت، وقال الشيخ تقي الدين: التيمم يرفع الحدث ، وهو مذهب أبى حنيفة ، وهو رواية عن أحمد، وقال فى الفتاوى المصرية: التيمم لوقت كل صلاة حتى يدخل وقت الأخرى أعدل الأقوال. (٥٢)

.....

وفى كتاب «آداب المشى الى الصلاة» يذكر الصفة، ويتبعها بالدليل .

باب صلاة الجماعة

أقلها اثنان فى غير جمعة وعيد، وهى واجبة على الأعيان حضرا وسفرا حتى فى خوف، لقوله تعالى:

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ (٥٣)

وتفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وتفضل فى المسجد والعتيق أفضل،

(٥٠)، (٥١) الاية ٦ من سورة المائدة والاية ٣: من سورة النساء.

(٥٢) المصدر السابق ح ٣٢، ٣٣ -

(٥٣) الاية ١٠٢ من سورة النساء

وكذلك الأكثر جماعة، وكذلك الأبعد، ولا يؤم في مسجد قبل إمامه الراتب إلا بإذنه، إلا أن يتأخر فلا يكره ذلك لفعل أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف^(٥٤).....

وللشيخ رسالة في أحكام تمنى الموت، استقصى فيها الأحاديث والآثار والأخبار الواردة في ذلك.

وأعطى الشيخ رحمه الله عناية خاصة لأحاديث الأحكام في كتاب اشتمل ستائة وأربعة آلاف من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وعلى كثير من فتاوى التابعين وأقوال الأئمة المجتهدين، رتبها حسب أبواب الفقه، وهذا له دلالة على المنهج الذي ارتضاه لنفسه في دعم الأحكام الفقهية بأدلتها.

وتلك هي الشواهد التي تحدد منهج المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في اعتماده على الكتاب والسنة، حتى أتت ثمارها الطيبة لخير الإسلام والمسلمين، والله من وراء القصد.

(٥٤) ص ٢٥ المصدر السابق.

اعتماد فقہ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ
صالح بن عبد الرحمن الأطرم

أستاذ مشارك في كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« مقدمة البحث »

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه..
وبعد:

أيها الإخوة الحضور - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
معلوم ما اجتمعنا من أجله.. وهو البحث في جوانب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من اعتمادها على الكتاب والسنة، وصلتها بالسلف الصالح وتأثيرها في الفرد والمجتمع، ومهما طال بحثنا فما نرانا نقول إلا معاراً ومعاداً من لفظنا مكروراً، لأن دعوة الشيخ رحمه الله على حد قول القائل: الجواب ما ترى لا ما تسمع.. فتأثيرها في محيطها وخارجها أكثر مما نقوله، وإنما ما كتبت في اعتماد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ما هو إلا إسهام مني في هذه المناسبة التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من جمع مؤلفاته وطبعها ونشرها وتوزيعها.. نفعنا الله بها.

أيها الإخوة الحضور - إن أهداف دعوة الشيخ سامية، نابعة من أهداف النبوة، وحاجة الإنسان إليها ماسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقيامها بالفرض الذي خلق من أجله الإنسان، وهو عبادة الله وحده.

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ».

(الذاريات ٥٦)

وهذه دعوة الرسل من أولهم نوح - عليه السلام - إلى خاتمهم محمد - عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام.

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

(المؤمنون ٢٣)

إِلَهِ غَيْرِهِ ».

« وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يُقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ »
 « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يُقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ »
 « وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يُقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۗ »
 (هود ٥٠، ٦١، العنكبوت ٣٦)

وعلى خاتم الأنبياء ينزل تكليف الله له.

﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ ١ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ٣ ﴿وَوَيْسَابِكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤
 وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكْبِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧﴾
 المذثر

وهذه الآية نزلت تأمره بالعمل بعد الآية الأولى التي نزلت تعلمه، وهو قوله تعالى:

« أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ
 وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »
 (العلق ١ - ٥)

فوضحت الآيتان أن العلم قبل القول والعمل، وأن العلم متبوع بالعمل.

فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقه في الدين عقيدة وفروعاً، لذا نجدها جماعية وليست جمعية، وعمومية وليست حزبية، أمر بمعروف ونهى عن منكر قولاً وعملاً وجهاداً، وليست إصلاحية فردية، وليست سرية بل علنية، يبين الحلال والحرام من المعاملات، والصحيح والفاقد من العبادات. ينكر ما يخل بالعقيدة والأخلاق والمعاملات، يعرض قوله في الأصول والفروع مقروناً بالدليل، يلتمس من يشد عضده لنشر هذه الدعوة وتنفيذها وقمع من يقف ضدها - حتى قبض الله له من نور الله بصيرته.. أمير الدرعية/ محمد بن سعود... فتعاهدا وشرعا في التنفيذ عام ١١٥٧ هـ .. هذا يحمل مشعل النور، وهذا يحمل السيف والسنان لمن وقف وعاند في سبيل نشر هذا الفقه.

أيها الاخوة الحضور - إن هذا العمل من الشيخ رحمه الله كان قدوته في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقف على صنابير كفار قريش ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا

الله فإن أطمعتموني فهذا ما أمرت به، وإلا فبينى وبينكم الله». أو كما قال صلى الله عليه وسلم. وقوله لهم هذه المقالة جواباً لهم لما ساوموه على ترك دعوته. كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدوة الشيخ في التماس من ينصره حيث قال: «اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين».

وهو يعنى عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام (أبو جهل).. فاستجاب الله دعوته بإسلام عمر بن الخطاب، فكان منه النصر والعزة قولاً وفعلاً، وأصبح غصة في حلق أعداء الله وأعداء الرسول عليه الصلاة والسلام. فمن هذا المنطلق تثبت دعوة الداعى وينتشر فقهه، ويجد له مكانه في القلوب حيث هدفه وغايته هداية الناس إلى معرفة خالقهم ورازقهم وحقه عليهم. ومعلوم أن مثل هذه الدعوة لا بد وأن تجد في طريقها الكثير من العقبات ابتلاء وامتحاناً لأصحابها ودعاتها.. أيصبرون ويمضون، أم يجزعون فيقفون.

«الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَنَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَنَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٥﴾» (العنكبوت)

أيها الاخوة ... بعد هذه المقدمة السريعة أستعرض معكم نقاط بحثى في اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، ثم قراءة مقاطع منه كالمقدمة... ومقدمة بعض الأبواب.... وإن سنحت الفرصة لأستعرض معكم الكثير، فهذه رغبتى على أن أحظى بملاحظة أستثير بها من حضراتكم.

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قياً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وصلى الله وسلم على من أنزل عليه هذا الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى

النور على يده، وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه المستضيئين بنور كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وعلى كل من حذا حذوهم إلى أن تقوم الساعة.

وبعد ...

فإن الله منذ خلق البشرية وحكمته قاضية بالصراع بين الحق والباطل...، فالباطل له إبليس وجنوده من الجن والإنس، حيث أمر بالسجود لآدم فأبى استكباراً وعناداً، فحكم عليه بالطرده والإبعاد من رحمة الله...

قال تعالى:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (٣٤) (١).

وطلب إبليس الإنظار من ربه إلى يوم القيامة فأعطى مطلبه، وهو يريد بذلك تحقيق مأربه بأن يضل بني آدم ويجعلهم من أتباعه حيث عرف أن النار مشواه في الدار الآخرة. والنصوص الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف في هذا المعنى كثيرة ومتعددة، ولكن من لطف الله ورحمته بعباده أن هذا العدو المصارع للحق لم يستطع الحكم الكامل بعدم الشكر على بني آدم، بل على أكثرهم. قال تعالى حكاية عن إبليس:

« قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ لَا تَبْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٣٦﴾ » (٢)

ولم يذكر الجهة الفوقية لأن الذي يأتي من الفوق هو النور، والقابلون له هم الشاكرون الذين لا سبيل للشيطان عليهم، وذكره سائر الجهات دليل على أن الشر سفلى.

(١) البقرة آية ٣٤ .

(٢) الأعراف ١٦ - ١٧ .

وإذا نزل النور من فوق بدد ظلام الشر وفرقه، وأزهق الباطل، فلم يكن للشيطان على ذلكم الشاكر الذى تلقى النور من ربه عن طريق نبيه سلطان.

«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» (٣).

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» (٤).

ومن هنا يتضح وجود الحق وثبوته ومصارعة الباطل له، ولكن متى ثبت أهل الحق وعرفوه حق المعرفة دفع الباطل مها كثر أعوانه وأنصاره.

«إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (٥).

«وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٦).

فالحق ثابت مادامت البشرية على وجه المعمورة، وإن.. ضعف حيناً قوى أحياناً، وإن خفى فى مكان ظهر فى مكان آخر - تلك هى :

«سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ» وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» (٧).

ومتى فقد الحق وأهله قامت الساعة وانتهت الدنيا لإخبار الصادق المصدوق:

(٣) الحجر آية ٤٢

(٤) النحل آية (٩٩ - ١٠٠)

(٥) الإسراء آية ٨١

(٦) المائدة آية ٥٦

(٧) سورة غافر آية ٨٥ .

«بأنها لا تقوم وعلى وجه الأرض مؤمن، بل على شرار الناس»^(٨).

والحديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وفي رواية (حتى تقوم الساعة)^(٩).

ثم إن الله جل وعلا أثبت هذا الحق بتتابع رسله ووحيه عليهم:

« ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ »^(١٠).

ثم ختم هؤلاء الرسل بأشرفهم وإمامهم وسيد البشرية أجمع محمد صلى الله عليه وسلم، فشملت رسالته الثقليين من عرب وعجم، وعمت أرجاء المعمورة، ولم يعد في الدنيا كلها مكان إلا ووصلته هذه الدعوة الربانية المحمدية، وخاصة في زمننا الحديث بعد أن عمّت أجهزة الإعلام جميع المناطق في العالم، وأنزل على هذا النبي الكريم كتابا صار إعجاز الفصحاء العرب والعجم، والجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو سورة منه، بل ولا آية. وجعله منهجاً خالداً للناس أجمعين.

والأدلة على إعجاز القرآن وتخليده وشموله لقضايا الحياة في شتى مجالاتها، وأنواع العقائد والعبادات الصحيح منها والفاسد، واضحة جداً وكثيرة لا تحصى. ثم إن الله جعل رسالة كل نبي إلى قومه خاصة لعلم الله ببعثه خاتم الرسالات، وإنزاله الكتاب المهيمن على جميع الكتب والرسالات السابقة.

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ »^(١١).

(٨) أخرجه مسلم راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ٤٠١

(٩) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٥٧٣/٣ في كتاب الامارة، وأخرجه البخاري بمعناه ١٦٤/٨

(١٠) المؤمنون آية ٤٤ .

(١١) المائدة آية ٤٨ .

ولعلم الله بنهاية الرسل وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، أيقظ الله من أمته من حفظ القرآن منه، وتلقى سنته، وعلى رأس هؤلاء صحابته العدول - رضى الله عنهم وأرضاهم -.

وهكذا كل من أراد الله هدايته شرح الله صدره للإسلام، فتعلم علومه وعلمها وفهمها، لذا جاء في الحديث: (أن العلماء ورثة الأنبياء) (١٢).

والحديث الآخر (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (١٣)؛ والحديث الآخر (رب مبلغ أوعى من سامع) (١٤)؛ ومصداق هذه الأحاديث ما دلت على معاني هذه الآيات.

«أولاً»

ع
«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١٥).

فدلت هذه الآية على فضل العلماء من أمه محمد وأنهم الوارثون لسنته، والمتفقهون في دينه، إذ جعلهم الله في صف ملائكته وجعلهم أهلاً لشهادة ما شهدت به، ولولا ما في صدورهم من العلم بالله وخشيته لما نزلوا هذه المنزلة.

ع
«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (١٦).

ولما أوتوه من النور الذى ورثوه عن نبيهم محمد وعدهم الله برفع الدرجات.

ع
«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (١٧).

(١٢) مختصر سنن أبى داود ج ٥ ص ٢٤٣. وفى السنن ٣١٧/٣ كتاب العلم، والترمذى ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ فى كتاب العلم.

(١٣) فتح البارى ج ١ ص ١٤١. ومسلم ١٥٢٤/٣ فى كتاب الإمارة.

(١٤) أخرجه البخارى ج ٣/٥٧٤ كتاب الحج.

(١٥) آل عمران آية ١٨.

(١٦) فاطر آية ٢٨.

(١٧) المجادلة آية ١١.

وفي الأنفال يذكر الله صفات المؤمنين بقوله تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (١٨).

وفي سورة الزمر ينوه الله جل شأنه عن فضل المتعلمين على الجاهلين وبين صفه المتذكرين.

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُا الْأَلْبَابِ» (١٩).

وفي سورة الأنعام يبين الله تعالى أن العلم بالقرآن والسنة هو النور وهو الحياة الحقيقية والأبدية، وأن الجهل بهما هو الموت والظلمة.

«أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٢٠).

ويصور الشاعر الجهل ومعناه وأنه الموت العاجل.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وهذا الموضوع واسع وأدلته أكثر من أن تحصر، وإنما المقصود الإشارة بأن شرع محمد صلى الله عليه وسلم خالد لوجود ورثته وبيان مكانتهم ومنزلتهم عند الله، وأنهم إذا قاموا على طريقة نبيهم أثروا في الناس وغيروا المجتمعات من السوء إلى الحسن، وأظهروا الحق وأزهقوا الباطل.

(١٨) الأنفال آية ٤٢.

(١٩) الزمر آية ٩.

(٢٠) الأنعام آية ١٢٢.

ومن ورثة محمد صلى الله عليه وسلم في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن عبد الوهاب.. الذي دعا إلى شرع الله عقيدة وقولاً وعملاً، وجهاداً لمن وقف ضد هذه الدعوة قامعاً لبدعته، مبطلاً لخرافته بالحجة والبرهان، وهى له العضد والساعد ليحمل السيف والسنان محمد بن سعود أمير الدرعية الذى شد أزر محمد بن عبد الوهاب على الحق والبر والتقوى، فهذا ينشر النور والضياء، وهذا يزيل الحجب والغطاء والعراقيل التى توضع دون هذه الخطى بدليل من القرآن وحديث من سنة المصطفى، ومن أجاب داعى الله وهذا النداء فله الجنات نزلاً ومأوى والسعادة في هذه الدنيا والنصر والتأييد من رب الورى.

وحان الشروع فيما قصدناه من اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الأدلة والهدى من كتاب ربنا وسنة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأقوال صحابته أئمة الهدى، وما فهمه أولى النهى ممن فتح الله عليهم المحبة والرغبة لفهم شرعه، فصاروا سبباً لحفظه الذى تكفل الله به:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (٢١).

فحفظ الله لكتابه وسنة نبيه هو على أيدى ورثة رسوله.. لذا يكون نزع العلم بموت أهله لا بانتزاعه من صدور الرجال، وإذا انتزع العلم تصدى للمسئولية الجهلة، فأفتوا بغير علم، ونفذوا بغير نور، وحينئذ تنقلب السنة بدعة والبدعة سنة. وفي الحديث: «فإذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعته؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (٢٢).

وهذا البحث يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب:

الباب الأول: نبذة عن حياة الشيخ وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ وتتلخص في النقاط التالية: نسبه / ولادته / بيئته / نشأته / طلبه للعلم / بداية دعوته / رحلاته في طلب العلم / مكان بدء نشر دعوته / وفاته.

(٢١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢٢) عن أبي هريرة في صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١/١٤٢ في كتاب العلم، واحد في مسنده ٣٦١/٢.

الفصل الثاني : زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الفصل الثالث : الحالة الاجتماعية في زمن الشيخ.

الفصل الرابع : سبب قيام دعوة الشيخ.

الباب الثاني : ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب

والسنة. وفيه مقدمة وأحد عشر فصلاً.

الفصل الأول : القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها.

الفصل الثاني : في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم.

الفصل الثالث : في كلام الشيخ على قولهم (اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة).

الفصل الرابع : في كلام الشيخ على من قال: (لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه) ودليله على بطلان هذا القول.

الفصل الخامس : في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء وبيان مبدئه وموقفه منها.

الفصل السادس : في كلام الشيخ لابن معمر لما هدره.

الفصل السابع : في كلام الشيخ في المدينة لما سئل عن الأصوات عند قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم -

الفصل الثامن : ما قاله أحفاده عن اعتياده على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع : ما قاله غير أحفاده وأبنائه مما يدل على اعتياده في دعوته على الكتاب والسنة.

الفصل العاشر : في ثناء العلماء على الشيخ ووجهة نظري في إيراد هذا الثناء.

الفصل الحادي عشر : في الأصول التي دعا إليها الشيخ، وهي أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة.

الباب الثالث : الاستدلال على اعتاده في مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة.

وفي هذا الباب خمسة عشر فصلاً هي:

- الفصل الأول : في ثلاث مسائل يجب تعلمها.
- الفصل الثاني : في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك.
- الفصل الثالث : في مراتب الدين.
- الفصل الرابع : في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة.
- الفصل الخامس : القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة.
- الفصل السادس : ما ورد في مؤلفه كتاب (فضل الإسلام) على اعتاده على الكتاب والسنة.
- الفصل السابع : فيما ألقه في أصول الإيمان .
- الفصل الثامن : في وجوب اعتقاد حق الرسول - صلى الله عليه وسلم واستدلاله على ذلك.
- الفصل التاسع : في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك.
- الفصل العاشر : في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك.
- الفصل الحادي عشر : من كتابه «مسائل الجاهلية».
- عشر
- الفصل الثاني عشر : ست موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة.
- عشر
- الفصل الثالث عشر : من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب.
- عشر
- الفصل الرابع عشر : في معنى الطاغوت.
- عشر
- الفصل الخامس عشر : في كتابه (الكبائر).
- عشر

الباب الرابع : في مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد، وفيه تمهيد وعشرون فصلاً:

الفصل الأول	: في مؤلفات الشيخ في الحديث.
الفصل الثاني	: في فضائل الأعمال.
الفصل الثالث	: في صلاة التطوع.
الفصل الرابع	: في فقه الشيخ في قراءة القرآن.
الفصل الخامس	: في الزكاة.
الفصل السادس	: في بر الوالدين وصلة الأرحام.
الفصل السابع	: في الصيام.
الفصل الثامن	: في المناسك (أى في الحج والعمرة).
الفصل التاسع	: في الحج والعمرة.
الفصل العاشر	: في الهدى والأضاحى والعقيقة.
الفصل الحادى عشر	: في الجهاد.
الفصل الثانى عشر	: في البيوع.
الفصل الثالث عشر	: في مؤلفات الشيخ مما عدا الحديث.
الفصل الرابع عشر	: في رسائل الشيخ الشخصية.
الفصل الخامس عشر	: في كتابة الشيخ بالسيرة النبوية.
الفصل السادس عشر	: في التفسير.
الفصل السابع عشر	: في كتابه زاد المعاد.
الفصل الثامن عشر	: في مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
الفصل التاسع عشر	: في مؤلفاته المبتدأة.
الفصل العشرون	: في استنباطات الشيخ وتلخيصاته.
الخاتمة	.

الباب الأول

نبذة عن حياة الشيخ

الفصل الأول

ترجمة موجزة وتتلخص في النقاط التالية:

نسبه، ولادته، بيئته، نشأته، طلبه للعلم، بداية دعوته، رحلاته في طلب العلم، مكان بدء نشر دعوته، وفاته.

أولاً : هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن محمد بن مشرف، ثم إن آل مشرف بيت مشتهر، فمنهم من ينسب الشيخ له، ومنهم من نسبه إلى جد بعده هم الوهبة، ومنهم من ينسبه إلى التميمي، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام نسباً متسلسلاً إلى عدنان في كتابه «علماء نجد»، وقد أكد ذلك حسب ما اطلع عليه من كتب التراجم والأنساب.

ويقرب من الحقيقة لوجود الصهر بين البسام وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ أن الشيخ عبد الوهاب أخواله البسام، وهذا المبحث في المجلد الأول من علماء نجد (٢٥).

ثانياً : ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥هـ.

ثالثاً : إنه من بيت علم كبير، والده وأجداده وأعمامه، ونهج نهجه أحفاده.

رابعاً : نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب مولعاً بحب العلم والمعرفة والاطلاع على العلوم الشرعية.

خامساً : درس على والده عبد الوهاب الفقيه المتنقل من روضة سدير إلى العيينة ثم إلى حريملاء، وتوفى عبد الوهاب فيها.

سادساً : بدأ محمد بن عبد الوهاب في حدود عام ١١٤٠ هـ ينشر آثار علمه وثمرات غرس والده من بيان الصحيح والفاقد من عبادات ومعاملات مجتمعه.

سابعاً : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب امتد باعه إلى بعض العلماء المعاصرين في المدينة المنورة والبصرة، فرحل إليهم واستفاد من علومهم، ونهل من معينهم. ثامناً : بدأ بنشر دعوته في حريملاء - البلدة التي توفي فيها والده - ولكن لكثرة صدأ القلوب فيها لم تكن عندها قابلية لدعوته، فأذوه أميراً وأمورين.

فانتقل إلى العيينة أملا منه وغلبة ظن بأن أميرها عثمان بن معمر سيساعده. لعلمه أن الحق لا بد له من سلطان وسيف وسانن يقمع به كل مارد وشيطان، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفهم ذلك محمد بن عبد الوهاب من سيرة سيد ولد عدنان، إذ أقام بمكة يدعو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب لدعوته إلا أفراد من الضعفاء والمساكين، وامتنع أهل الأموال والمتغطرسون.

ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة فقوى الإسلام لكثرة المسلمين، فشرع في صد المعاندين وجهاد الكافرين لما أبوا عن إجابة الداعين إلى رب العالمين، فأذل الله الكفر وأهله وأزهق الباطل وخذله، وبهذا يقول الشاعر:

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطـباب
فلما دعا والسيف صلت بكفه له اسلموا واستسلموا وأنابوا
والقرآن مملوء بالنصوص الآمرة بقتال الكفرة والمشركين، كقوله تعالى:

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » (٢٣).

(٢٣) التوبة آية (٢٩).

وقوله:

« فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢٤).

والمقصود أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذهابه إلى العيينة يلتمس نصرة لدعوته وعضداً يشد أزره ذا سلطان، فوعده عثمان بن معمر، ولكنه خذله بتهديد من ابن عريعر أمير الأحساء الذي هو أعلى منه قوة، ثم خرج محمد بن عبد الوهاب مختفياً إلى الدرعية، فشرع يلقي فيها الدروس، فأوى إلى مجلسه أميرها محمد بن سعود، فأنس به وشرح الله صدره لقبول نشر دعوته وحمايتها، وبدأ في ذلك عام ١١٥٨هـ.

واستمر على ذلك حتى محا الله على يديها كل بدعة وخرافة، وكل شرك وضلال في الجزيرة العربية، واستمر أحفادها على هذا الوعد والعهد حتى وقتنا الحاضر.

نسأل الله لنا ولهم الثبات في الحياة والمهات.

تاسعاً : توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ في بلدة الدرعية بعد أن استقرت وانتشرت دعوته.

وما أحسن ما أوجزه ابن بدران في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» صفحتي ٢٢٩، ٢٣٠، فلقد وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب وصفاً موجزاً مفيداً متضمناً لبدء دعوته وفقهه ومصدر علمه.. وهذا مما جعلني أستحسن نقله، وقد كتبه ابن بدران بمناسبة الكلام على مختصر الإنصاف والشرح الكبير حينما تكلم عن كتب الحنابلة.. قال ابن بدران:

« مختصر الشرح الكبير والإنصاف »

«تأليف العالم الأثرى والإمام الكبير محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، يتصل نسبه بعبد مناة بن تميم التميمي، ولد سنة خمس عشرة ومائة وألف، وقد رحل إلى البصرة

(٢٤) التوبة آية (٥).

والحجاز لطلب العلم، وأخذ عن الشيخ على أفندي الداغستاني وعن المحدث الشيخ إسماعيل العجلوني وغيرها من العلماء، وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على إصطلاح أهل الحديث من المتأخرين، ولما امتلأ وطأبه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الخفيفي والشريعة السمحاء، وأعانته قوم أخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص، والدعاية إليه، وإخلاص الوجدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده، فحبا إلى معارضته أقوام ألفوا الجمود على ما كان عليه الآباء وتدرعوا الكسل على طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر. وجنود الحق تكافحهم فلا تبقى منهم ولا تزر وما أحقهم بقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها :: فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف هجرية.

ولقد شهدت الأقطار بعلمية محمد بن عبد الوهاب، وتناقلها المسلمون على مر السنين، وحتى كتاب عصرنا يتحدثون عنه وعن فقهه وعزمه في كتاباتهم سواء أرادوا الكلام عن مواطن حركات الإصلاح أو المصلحين.. ومنها ما قاله الدكتور محمد عمارة في بحثه الذي نشر بجريدة «الخليج» عدد ١١١٠ يوم ٢٨/٦/١٤٠٢ هـ الموافق ٢٢/٤/١٩٨٢ م.. حيث قال:

«في بيئة بدوية بسيطة، هي «نجد» شبه الجزيرة العربية، ولد ونشأ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ).. وكانت السيادة الاسمية والرسمية على موطنه لخلفاء آل عثمان.

وكان ابن عبد الوهاب سليل أسرة من الفقهاء، أخذ عنهم علوم الدين، كما درس على علماء الحرمين، مكة، والمدينة، وظهر نزوعه منذ فجر حياته إلى النهج السلفي الراض لما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبد الوهاب، فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله، بل ويتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة في الملمات.. كما وجد العبادات قد أصابتها البدع بالنقص والزيادة.. فشابت الشوائب كلا من العقائد والعبادات.

بدأ ابن عبد الوهاب يدعو إلى إسلام السلف، ويبشر بفكر ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، ويركز على إصلاح العقائد، وتصحيح العبادات.. فحكم بالشرك الظاهر والجلي على المتوسلين إلى الله بالأولياء والمشاهد والرموز، بل رأى شركهم أعظم من شرك الجاهلية الأولى «فلقد كان ابن عبد الوهاب أكثر من «شيخ» وأعظم من «فقيه» ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين.. لقد أراد أن تكون لدعوته «دولة» تضمن لها الانتشار والاستمرار.. فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

وهكذا عاشت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقول الناس وأفئدتهم وعبرت به كلماتهم وكتاباتهم جيلاً بعد جيل، لاعتماده على شريعة الدين والدنيا فقها في العقيدة وفي شتى مجالات الحياة.

الفصل الثاني

زمن الشيخ من ١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

ويشمل النقاط التالية:

أمضى الشيخ رحمه الله تعالى عمره كله فيما يلي:

أولاً : في التعليم، ثم نشر العلم.

ثانياً : حفظ القرآن لعشر سنين، ثم بدأ بعلمه من تفسير وفقه على والده، ومن هنا يتبين لنا أنه شعلة ضياء من صغره، وبعد أن تكامل بلوغه رغب في الاطلاع على العلوم الشرعية متنقلاً بين المدينة والبصرة.

ثالثاً : بعد أن نهل من العلم واستبان له الحقيقة الموصلة إلى الله، لم يهدأ له بال إلا أن يُعلم ما تعلمه من شرع الله، فبدأ شعاع نوره بالبصرة يبين ما عليه الناس من خطأ في العقيدة والفروع، ولكن لاستحكام الجهل فيهم ورسوخ البدع حدث منهم رد فعل لدعوته بالبصرة، فضيقوا عليه حتى خرج منها عائداً إلى بلده.

رابعاً : استمر يدرس على والده وعلى المشايخ الموجودين بالعيينة وحريملاء، ثم انتقل مع والده إلى حريملاء بعد أن ضاقت بهم العيينة ذرعاً، واستمر معلنا للحق، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حتى توفي والده في حريملاء سنة ١١٥٣ هـ.

خامساً : أعلن دعوته في حريملاء وتعليمه التوحيد، ولكنهم لم يتقبلوا منه وضايقوه، فرجع إلى العيينة، واستقبله أميرها عثمان بن معمر وساعده على هدم القبة التي بنيت على قبر زيد بن الخطاب، ورجم المرأة الزانية، ولفشوا الجهل استنكروا ذلك حتى وشى بعثمان بن معمر عند ابن عريعر فاضطر إلى إبعاد الشيخ ابن عبد الوهاب عن بلده.

سادساً : بعد خروج الشيخ من العيينة اختار الله له الدرعية لتكون مقراً لدعوته.
فنزل على أفراد منها كانوا قد اتصلوا به في العيينة، ثم بلغ خبره محمد بن سعود
أمير الدرعية فبايعه على الجهاد والنصرة، فاستمر زمن الشيخ محمد بن
عبدالوهاب في نشر دين الغفور التواب.
والمقصود أن زمن حياة الشيخ كلها تعليم وتعلم، وهداية إلى الصراط المستقيم.

الفصل الثالث

الحالة الاجتماعية في زمن الشيخ

وتتلخص فيما يأتي:

أولاً : تردى السلطة الإسلامية بعد القرن الثامن الهجرى علماً وعملاً وتنفيذاً وخاصة في قلب الجزيرة.

ثانياً : بسبب هذا التردى لا يلوى أحد على أحد، ولا يقبل أحد من أحد، بل لكل ركب رأسه فتحكم فيهم الجهل، وتشتت بهم السبل، فكانوا في أمر مريج - أى مضطرب مختلف - لذا تفشت فيهم كل رذيلة وكل مرض ووباء، ثمثل بشئ منها: -

- ١ - خلو المساجد من المصلين إلا ما شاء الله.
- ٢ - انتشار الخرافات والصوفية الزائفة.
- ٣ - ادعاء الجهلاء ما ليس لهم، وما ليس لهم به علم.
- ٤ - حمل التائم في رقابهم والتي لا تغنى من الله شيئاً.
- ٥ - ترغيب في الحج إلى قبور الأولياء ورجاء الشفاعة منهم. وهذه الأمور تنافى ما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٦ - تغييب فضائل القرآن عن الناس مما جعلهم لا يعرفون عنها شيئاً.
- ٧ - لهذا انتهكوا حرمة - أى القرآن - فصاروا إلى ما يلي:
أ - يشربون المسكرات ويتناولون الأفيون، فانتشرت الرذائل.
ب - هتك ستر الحرمات.
ج - أن ذلك كله بلا خشية ولا استحياء، ومن لم يستح فليصنع ما يشاء.
- ٨ - أن مكة والمدينة في زمن الشيخ دب إليهما ما في المجتمعات الأخرى من الوباء والأمراض الشهوانية والشبهية.

٩ - أن هذه الحالة السيئة في مجتمع نجد وغيره من العالم الإسلامي ليس راجعاً إلى عدم وجود علماء؛ بل هناك الفقهاء ولكنهم سائرون في الفروع أكثر من البحث في العقائد، وذلك والله أعلم أن الخطأ في العقائد بدع ثابتة وراسخة وخرافة طاغية على الفكر والأوهام.

ومتى كانت البدعة هكذا فإن اقتلاعها يصعب ويعسر لتأصلها في القلوب بمجرد كلام العلماء، فتحتاج إلى معاول تهدمها وأيدي سلطة تقلعها. إن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن، والعلماء حينئذ لم يوفقوا إلى حاكم إداري ينفذ ما يقولون ويحكم ما يبرمون.

الفصل الرابع

سبب قيام دعوة الشيخ

ولما تقدم على قلته تصورنا ظلمة «نجد» الاعتقادية والعملية، وإن وجد أفراد متمسكون كالأفراد الذين وجدهم الرسول متشبثين بملة إبراهيم، ولكن الحكم للسلطة والأغلبية، وأيضاً بتصور هذه الحالة السيئة للعالم الإسلامي ولعالم الجزيرة ونجد خاصة التي يسكنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يتضح لنا السبب الباعث لقيام الشيخ بهذه الدعوة إلى التوحيد وصرف الناس إلى محبة الله وحده، وتعريفهم بعظم ما أمر الله به ليمثلوه، وتحذيرهم عن الوقوع في أعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك.

وهذه سجية كل عالم بالله وبكتابه وبشرع نبيه.

فأنار الله بصيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم ير السكوت على هذه المنكرات التي هي معصية لله، فدفعته عقيدته وعلمه لانقاذ هؤلاء الفقراء من اتباع الشيطان والهوى وردهم إلى الصواب وسلوكهم سلوك المصطفى.

والخلاصة أن الباعث إلى قيام الشيخ بهذه الدعوة ما يأتي:-

أولاً : امتثالاً لأمر ربه ولرسوله ولأتباعه:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (٢٥).

ثانياً : تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وعظمته على حد قوله تعالى:

«وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (٢٦).

(٢٥) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢٦) سورة يوسف آية ١٠٨ .

ثالثاً : لينجو من الخسران المحكوم به على الإنسان بقوله تعالى:

« وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ » (٢٧)

رابعاً : ليحصل على فضل الدعوة كما قال تعالى:

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٢٨)

خامساً : امثالاً لقول رسوله: «إلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢٩).

سادساً : رحمة بهؤلاء القوم من أن يقذف بهم الشيطان معه في النيران، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٣٠).

سابعاً : رغبة في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (٣١).

ثامناً : طلباً للخير لقول الرسول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٣٢).

تاسعاً : امثالاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «بلغوا عني ولو آية» (٣٣).

عاشراً : ليحظى بدعوة عباد الرحمن.

« وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (٣٤)

(٢٧) سورة العصر .

(٢٨) فصلت آية ٣٣ .

(٢٩) رواه البخارى ٥٦/١ - ٥٧ في كتاب الإيمان ومسلم ٦٧/١ .

(٣٠) رواه الترمذى ٣٢٤/٤ في كتاب البر والصلة، وأبو داود ٢٨٥/٤ .

(٣١) البخارى ١١١/٦

(٣٢) البخارى ٧٤/٩

(٣٣) البخارى ٤٩٤/٦ في كتاب الأنبياء .

(٣٤) الفرقان ٧٤ .

الحادى عشر: تنفيذاً لأمر الله:

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (٣٥).

الباب الثاني

ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ
محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

«المقدمة»

من المعلوم أن كل داعية سيدلى بأدلة إما أن تكون صحيحة فهاها إلى الثبوت والاستمرار، وإما أن تكون باطلة فيكون ماها للرد.

إن قبول الناس المنصفين وردهم للدعوة يرجع إلى صدق الداعية وكذبه، وليس كل من يدعى وصلاً يقر له بالوصول، ولا كل من زعم أمراً ثبت له المزعوم.

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذلك

قال الله تعالى:

« قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٣٦).

فاليهود زعموا ولاية الله ولكن ليس لهذا الزعم ما يشته.

« زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (٣٧).

(٣٦) سورة الجمعة آية (٦).

(٣٧) التغابن آية (٧).

فالكفار زعموا عدم البعث، وحيث أنهم لم يبنوا زعمهم على أسس من الحقيقة، أبطله الله وأثبت ضده وما ينافيه.

وبهذه المقدمة البسيطة يتضح لنا صدق القول بأن فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب معتمد على الكتاب والسنة.

فليس ما قيل في ذلك مجرد زعم أو توهم، بل ما قاله عن نفسه من اعتداد على الأدلة وما قاله غيره، واضح جلي وثابت في مراسلاته وكتابه ومؤلفاته المنتشرة بين العالم، لا يستطيع أحد إنكارها إلا من أغمض عينيه عن الحقيقة، وتغلب عليه الهوى والتقليد الأعمى والعصبية المقوتة.

وما انطلت عليه شبه المشبهين من الخرافيين بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يحب الأنبياء والصالحين، غرس هذه الشبهة الشيطان بأدمغة أوليائه، وأغفلهم عن مراد الداعية، وهو أنه ينهى عن زيارة القبور البدعية، وإعطاء الأولياء الصالحين فوق حقهم وتشريكهم بحق الله.

وما ثبت من زيارة القبور الشرعية، فمحمد بن عبد الوهاب يأمر بها ولم ينه عنها. ويعطى الأنبياء والأولياء حقهم من محبتهم التي تجعل من يحبهم يتأسى بأقوالهم وأفعالهم حتى يكون ولياً بما كانوا به أولياء، وصالحاً بما كانوا به صلحاء. قال تعالى:

«الْأَلَاءِ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (٣٨).

فلم يثبت الولاية إلا للمؤمنين المتقين، ولم يقل إن الولاية لمن عظم قبور الصالحين وتبرك بهم وجعل لهم النذور والذبائح. وهذه الحقيقة ثابتة في مؤلفات الشيخ المجدد للقرن الثاني عشر الهجري، والذي مازال إصلاحه مستمراً وتأليفه فيه مستقراً. فهو بين أيدينا منظوراً ومقروءاً، فنسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

فكانت عناية الشيخ بالعقيدة وتصحيحها وتعديل مفاهيم الناس، ولكنه مع ذلك لم

(٣٨) سورة يونس آية ٦٢، ٦٣.

يغفل الفروع بل أدى لها جملة من الاهتمام، يتضح ذلك فيما قرره وأنه من أبعد الناس عن التعصب والتقليد.

يدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتوخى الدليل ويرى الاقتداء بالأئمة بما لم يقدّم الدليل على خلاف من اجتهاداتهم.

ومؤلفاته حافلة بذلك سواء ما ألفه ابتداءً في التوحيد والفروع، أو ما اختصره من كتب الأئمة والمحققين تقريباً منه إلى الأذهان القاصرة، ونظراً منه بوصل طلابه بالأئمة السابقين ونفعهم العاجل، لأنه ليس كل طالب علم يقوى على قراءة الكتب المطولة، فإذا قرأ المنصف والمحِب للفائدة والراغب في الإطلاع والذب عن أئمة الدعوة مؤلفاته التي قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تجلّى للقارىء اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

وقد ألزم نفسه رحمه الله أن يسير في دعوته على الكتاب والسنة بالقول والفعل، وأن يأخذ بما قرره علماء المسلمين الثقات في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع، وحينما يختلفون حسب مفاهيمهم من النصوص فإنه يأخذ بما ترجح عنده. وأما التزامه بالفعل فسيظهر جلياً للقارىء من مؤلفاته. وأما التزامه بالقول فمنه ما يأتي .. وهو الفصل الأول من هذا الباب بما قرره عن نفسه وقرره أحفاده وطلابه من اعتمادهم على الكتاب والسنة.

الفصل الأول

القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها، وهي من أعظم ما أنعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً، وأكمل وأكثر علماً من جميع الأديان، ومن ذلك جمعه لهم في لفظ قليل، وهذا ما ينبغي التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع، وهو أن تعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما خصه الله به على الرسل يريد منا أن نعرف منة الله علينا ونشكرها. قال: لما ذكر الخصائص «وأعطيت جوامع الكلم»^(٣٩).. قال إمام الحجاز محمد بن شهاب الزهدي معناه: أن يجمع الله له المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة.

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٤٠).

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجهه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكَةٌ وَإِن تَسْأَلُوا

(٣٩) رواه البخارى ١٢/٣٩٠ فى كتاب التعبير رقم الحديث ٦٩٩٨، ورواه مسلم ١/٣٧١ كتاب المساجد.

(٤٠) الأعراف آية ٣٣.

عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ أَنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (٤١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» (٤٢).

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى:

« فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ » (٤٣).

والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم:

«أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» (٤٤).

القاعدة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن «الحلال بين وأن الحرام بين وبينها أمور متشابهات» (٤٥)، فمن لم يفتن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

فهذه أربع قواعد ثلاث ذكرها الله في كتابه والرابعة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٦) وهي واضحة في بيان مسلك الشيخ نحو الكتاب والسنة، فهل يقوى أحد

(٤١) سورة المائدة آية ١٠١ .

(٤٢) أخرجه الدارقطني ٤/٢٩٧-٢٩٨. قال النووي في الأربعين : حديث حسن.

(٤٣) آل عمران آية ٧ .

(٤٤) آل عمران آية (٧) .

(٤٥) رواه البخارى في كتاب الإيمان ١/١٢٦ حديث رقم ٥٢ .

(٤٦) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١

بعد هذا أن يرميه بالتعصب والهوى. ثم إن هذه القواعد شاملة لجميع العلوم الشرعية كما لفت رحمه الله نظر القارىء لها بقوله: «اعلم رحمك الله أن هذه الكلمات الأربع مع اختصارها يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب - الذى يسمى علم السلوك - ، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام، أو الأحكام الذى يسمى الفقه.. أو على علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين»^(٤٧).

وأنا أمثل لك مثلاً تعرف به صحة ما قلته، وتحتذى به إن فهمته، وأمثله لك في فنون الدين وهو علم الفقه - وكما قرر إمام الدعوة في هذه القواعد ما يلزم المتكلم من الاستدلال الصريح، قرر أيضاً أن للشريعة قواعد كلية تستدل بها على الجزئيات، ولا يستغنى طالب العلم عن معرفتها، فالمستدل بقاعدة من الشرع على جزئية فهو كالمستدل بنص صريح فى جزئية ما، لأن الشريعة لم تأت بجزئيات المسائل وتفصيلها - لذا صارت شاملة وكاملة إلى يوم القيامة، وكلما حدثت واقعة جديدة أدخلها من نوره الله بصيرته تحت قواعد الشريعة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومن أعظم ما من الله به عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أعطاه جوامع الكلم)، فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله بالحكمة الجامعة.

ومن فهم هذه المسائل فهما جيداً فهم قول الله تعالى:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^(٤٨).

وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة ، فعلم منه بطلان كل مُحدّث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا به فى قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، وإياكم

(٤٧) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١ - ٢ .

(٤٨) سورة المائدة آية (٣) .

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٤٩).
ونفهم أيضاً معنى قوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»^(٥٠).

فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله - أى إلى كتاب الله - وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم - أى إلى سنته. علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه وجد فيه ما يفصل النزاع^(٥١).
وبعد سياق هذه القواعد التى تبين كمال الدين وشموله لكل جزئية، ووجوب الرد إليه، لم تره خالف ما قرره حتى وافته المنية رحمه الله، لاسيما أنه أتبع ما قرره بقوله هنا وفعله فى مؤلفاته.

(٤٩) رواه ابو داود فى كتاب السنة ج ٤ / ٢٠٠ - ٢٠١ حديث رقم ٤٦٠٧، والترمذى فى كتاب العلم حديث رقم

٢٦٧٦ جزء ٥ صفحة ٤٤.

(٥٠) النساء آية ٥٩ .

(٥١) الدرر السننية ج ٤ صفحة ٤ .

الفصل الثاني

في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم

قال رحمه الله: «إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب، فنقول في محل النزاع التراد إلى الله وإلى رسوله لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام الأصحاب ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً»^(٥٢) ثم أجاب عن قول القائل، ما الموقف إذا استدل كل من المختلفين بأدلة صحيحة؟ قال رحمه الله: «وقولك إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل الصواب يصدق بعضه بعضاً، لكن قد يكون أحدهما خطأ في الدليل، إما أنه يستدل بحديث لم يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً خاطئاً. وبالجمللة فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإذا لم يتبين لك واحتجت إلى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه»^(٥٣).

وقال رحمه الله في جواب من قال: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» مما يدلنا على محبته للدليل ورغبته فيه، وأنه لا يعد متعصباً بل هو مجتهد في التماس الدليل وترجيحه حسب ما وضحه ابنه عبدالله فقال:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدعيها إلا أنه في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب، وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبها من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم» أ.هـ.^(٥٤)

(٥٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ .

(٥٣) الدرر السنية ج ٤ ص ١٤ .

(٥٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ .

قال: من قال (لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة (٥٥)، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم. وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئٌ ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس. فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم. وهذا كله داخل في قوله تعالى:

«وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (٥٦).

فما أصلحها من قواعد واضحة في كلام يدل على اعتماد الشيخ واستناده إلى الكتاب والسنة بأمره ونهييه.

(٥٥) القاعدة السابقة في الصفحة (٢٤٩)

(٥٦) سورة الإسراء آية ٣٦ .

الفصل الثالث

في كلام الشيخ على قولهم اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة

ثم تكلم الشيخ عن قول من قال (اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة) (٥٧) ففصل في الجملة الأولى وبين متى يكون الاتفاق حجة - وهو ما إذا صدر عن العلماء كلهم.. وأبطل الجملة الثانية في قوله (اختلافهم رحمة) وذكر أن الرحمة في الجماعة، وأن في الاختلاف العذاب، إلى أن قال الشيخ: فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك فيحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا. لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله.

هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب عليهم، واتخاذهم أربابا من دون الله.

وشن الشيخ الغارة على من قال: العلماء أعلم منا بذلك، حينما يقال له قال الله وقال الرسول ونسب ذلك للضلال) (٥٨).

فهل ترى الشيخ يقرر هذا ثم لا يعتمد على دليل من كتاب وسنة.

(٥٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ - ٥ .

(٥٨) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ .

«الفصل الرابع»

ثم تكلم الشيخ على الذين يقولون لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه، واستدل على بطلان قولهم بنصوص من القرآن - تدل على عموم قراءته في كل زمان ومكان وأن فهمه ممكن لكل إنسان، كقوله تعالى:

«وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٥٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا» (٥٩).

وقوله تعالى:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى» (٦٠).

وقوله تعالى:

«وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (٦١).

فدل هذا الاستدلال من الشيخ على أن الفهم والاستنباط من الكتاب باق إلى يوم القيامة، وأن كل قول مخالف للكتاب والسنة فهو مطروح مضرراً به الحائظ قديماً كان أو حديثاً.

وإذا عرف هذا من الشيخ بقوله فقد أتبعه الفعل حيث استدل على دعوته في تأليفاته من الكتاب والسنة.

(٥٩) سورة طه آية ٩٩ - ١٠٠ .

(٦٠) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٦ .

(٦١) الزخرف آية ٣٦ .

الفصل الخامس

في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح

أقوال العلماء

وبيان مبدئه وموقفه منها

واسمع جواب إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورده على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء، لأن مبدئه الأخذ بالكتاب والسنة شأنه شأن السابقين من الأئمة، والاستعانة بقولهم على فهم الاستدلال والأخذ بقولهم إذا لم يوجد دليل ولم يخالف قاعدة شرعية.

فهناك تفسير عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره ونبيه ما صورته، فأجاب مراده: ما شاع وذاع أن الفقه عندهم هو الاشتغال بكتاب فلان وفلان - فراده التحذير من ذلك.

وقال أيضاً: (كذلك غيركم: إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة).

فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة.

وأكثر الاقتناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك من عرفه) (٦٣).

فدل جواب الشيخ على ما يأتي:

- ١ - عدم التعصب لمذهب معين.
- ٢ - ذمه للمشتغلين بأقوال العلماء دون استناد إلى الدليل.
- ٣ - أنه ليس متعصباً مقلداً جامداً لمذهب أحمد وحده، وإن درس الفقه على ضوء قواعده.

(٦٣) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ .

٤ - وضع ذلك بالمثل الذي ضربه بما في الإقناع والمنتهى من مخالفته لمذهب أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل منه هذا أن الفقهاء لهم اجتهادات في المفاهيم، ثم أيضاً رحمه الله ذكر قاعدة للعمل بما فيه خلاف، مما يدل على محبته للإتفاق وعدم الاختلاف ومحبته للدليل والأخذ به بأى طريق كان ولو انقلب الفاضل مفضولاً .

ونقل القواعد الآتية عن الشيخ تقي الدين مما يدل على أنه يراها:

«ذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله قواعد»:

الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سن أمرين وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا في آية فقال أحدها: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وقال: «كل منكما محسن»^(٦٣) فأنكر الاختلاف وصوب الجميع في الآية.

الثانية: إذا أم رجل قوماً وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن ويصير المفضول هو الفاضل^(٦٤).

(٦٣) رواه البخارى في كتاب المحصرات ٧٠/٥ رقم الحديث ٢٤١٠ وأيضاً في كتاب الأنبياء حديث ٣٤٧٦

٥١٣/٦ .

(٦٤) الدرر السنية ج ٤ صفحة ٦

«الفصل السادس»

وأيضاً مما يدل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة قوله لابن معمر عندما أخبره عن خطة محاولة بن عريعر وتهديده لابن معمر ليمنع الشيخ، قال الشيخ: (إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كله «لا إله إلا الله» وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله يظهره على أعدائك، فلا يزعجك سليمان ولا يضرك، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها، فاستحيا عثمان وأعرض عنه... الخ^(٦٥).

وأيضاً كانت دعوة الشيخ بمجال لا بد له من الدليل، ولا يسعه غيره لأنه ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك والأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات.

وهذه الأمور لا بد لها من دليل ولتمكنها من النفوس والقلوب يصعب قلعها بالدليل فيها بالك بغيره^(٦٦).

(٦٥) عنوان المجد ص ١٧ .

(٦٦) عنوان المجد ص ١٨ .

الفصل السابع

كلامه في المدينة لما سئل

عن الأصوات عند قبر الرسول

وأيضاً مما يدل على أن الشيخ يستدل بالكتاب والسنة، أنه عندما كان في المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاءه من دون الله فكاد مرجل غبظه ينفجر، فقال الشيخ محمد حياة السندی: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟.. فأجابه:

«إِنْ هَتُّوْا مُتَبِّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٦٧) الخ. (٦٨)

وإذا سمعنا ما قبل هذه الآية اتضح لنا استدلال الشيخ وظهوره، والتي قبلها ما حكاه الله عن قوم موسى:

«وَجَنَوزْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَوَّأَ عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمْوَسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنْ هَتُّوْا مُتَبِّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٦٩).

ولقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أصحابه لما مروا بسدرة قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط^(٧٠) بمقالة بنى اسرائيل ليدل على بطلان مقالتهم فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسى بيده قلت كما قالت بنو اسرائيل لموسى ...

(٦٧) الأعراف آية ١٢٦ .

(٦٨) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامى ص ١٨ .

(٦٩) الأعراف آية ١٢٨ - ١٢٩ .

(٧٠) رواه الترمذى فى كتاب الفتن ٤/٤٧٥ حديث ٢٦٨٠ وأحمد فى مسنده ٢٦٨/٥ .

« أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٦٨﴾
إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

وأيضاً عندما كان يدرس العلم بالبصرة نشر علمه النافع حول موضوع البدع..
والخرافات، وإنزال التضرع والحاجات بسكان القبور من عظام نخرة وأوصال ممزقة، وعزز
كلامه بالآيات الساطعات والبراهين الواضحات^(٧١).
فيأترى أيقدر على إنكار مثل هذا من غير آية أو حديث، وألف في ذلك كتابه المسمى
«كتاب التوحيد» وسيأتى إن شاء الله نموذج منه.

(٧١) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامي ص ١٧ .

الفصل الثامن

فيما قاله أحفاد الشيخ في اعتماده على الكتاب والسنة

كلام ابنه حسين وعبدالله في عقيدة الشيخ وطريقته في الاستدلال، وطريقتهم، وأنهم سالكون مسلك الأئمة في التماس الأدلة، وقرر هذان الابنان موقف الشيخ من اختلاف الفقهاء.

وجوزوا الانتقال إذا اتضح الدليل.

وسيتبين لك أخى القارى من كلامهم الذى سأنقله ما يدل على اتباع الشيخ للدليل على أى مذهب كان: «عقيدة الشيخ رحمه الله التى يدين بها هى عقيدتنا وديننا الذى ندين الله به، وهى عقيدة سلف الأمة وأئمتها والصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعرض أقوال العلماء على ذلك.

فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذى أوصانا به فى كتابه حيث قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٧٢).

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل فى الكتاب والسنة.

(٧٢) سورة النساء آية ٥٩ .

وإذا تفقه رجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع
الدليل وترك مذهبه، كان هذا مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل.
ولا يكون بذلك مخالفاً لإمامه الذي اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل،
أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، رضي الله عنهم أجمعين.
قال الإمام مالك رحمه الله تعالى (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم).
وقال الشافعي لأصحابه: (إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط)، وفي لفظ
(إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي).
وقال الإمام أحمد: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان).
والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

أتدري ما الفتنة؟.. الفتنة: الشرك.

لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا تقلدوا الشافعي وتعلموا كما

تعلمنا).

وكلام الأئمة في هذا كثير جداً ومبسوط في غير هذا الموضوع (٧٤).

فاسمع أخى القارىء قاعدة ابنى إمام الدعوة حسين وعبدالله في موقف طالب العلم

من أقوال العلماء السابقين إذا لم يخالف دليل.

وفي بيان ما ينكر من طالب العلم (وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة

يخالف القول الذى نص عليه العلماء أصحاب المذاهب، فنرجو أنه يجوز العمل به لأن

رأيهم خير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم.

(٧٣) سورة النور - آية (٦٣)

(٧٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ - ٧ .

ولكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله حتى يتبين الدليل الذى لا معارض له فى المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً. والذى نكره هو التعصب للمذاهب وترك اتباع الدليل (٧٥).

ولها كلام آخر فى هذا المعنى وبيان المجتهد والمستخرج لمسائل العلم والذى لا يقدر على ذلك كيف يسير وكيف يهتدى؟ بينا موقفه، وهو سؤال العلماء، واستدلوا (٧٦) على ذلك بقوله تعالى:

(.. فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٧).

والمقصود من هذا بيان حرص الشيخ وأحفاده على الدليل، والقرب من الشريعة بقواعد أو كلام علماء موثوقين بأن اشتهرت علميتهم وثقتهم بين المجتمعات. فمن كانت هذه طريقته هل يدعو ويجادل ويناضل بغير دليل؟ وإليك أخى القارىء ما قاله عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فى موقفهم نحو مسائل الفروع.

يريد بذلك طريقته، وطريقة والدهم، وكيف نفى التقليد المذموم وبين التقليد الجائز، وأنه لا مانع أن يدرس الإنسان الفقه على مذهب أحد الأئمة ويعدل إلى قول إمام آخر إذا ترجح له الدليل.

فمن كانت هذه قاعدتهم ومبادئهم ونصوص كلامهم.. هل يرمون بالتعصب المذموم؟ وهل يتهمون بالجمود على مذهب معين؟ أو يتجاهل الدليل؟ .. قال:

«ونحن فى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا نكر على من قلده أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، بل لا نفرهم ظاهراً على شئ من مذاهبهم الفاسدة، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد يدعيها، إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب،

(٧٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٧.

(٧٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٧ - ٨.

(٧٧) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧.

ومن كلام عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب أيضاً ما أوضحه في رسالته إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني الذي يكشف طريقة أئمة الدعوة بكل وضوح ويبيّن عن التقليد، ويبيّن أنهم مع الدليل، إلا أن الصنعاني استشكل قول الشيخ عبدالله «ونحن في الفروع على مذهب أحمد.. قال الشيخ: «أما بعد فقد وصل جوابكم وسر الخاطر وأقر الناظر حيث أخبرتم أنكم على ما نحن عليه من الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول الأجد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، وما أوردتم على ذلك من الآيات الواضحات والأحاديث الباهرات، وأن الرد عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم إلى أقوال الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان، فذلك ما نحن عليه فهو ظاهر عندنا لكن كل قول له حقيقة، وحقيقة العلم وثمرته العمل.

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٧٨).
 (لَا تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٧٩).

وكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تقر لهم بذلك

فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات، ونصبنا القضاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكرات، ونصبنا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد، فله الحمد والمنة»^(٨٠).

ثم أجاب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب أن استشكل الشيخ الصنعاني على قول الشيخ «ومذهبنا مذهب الإمام أحمد بما يشفى ويكفي ويوضح المراد وهو أنهم يتخذون أقوال أحمد معروضة على الدليل، وينكرون على الذي يأخذ الآراء فقط، ويجعل أقوال العلماء أصولاً للدين، ولطول جواب الشيخ عبدالله أقتصر على نقل هذه الجملة :

«فإن هذا من توهمكم أن قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد، أننا نقلده فيما رأى» وقال: «وإن خالف الكتاب والسنة، والإجماع، فنعوذ بالله من ذلك والله المستعان».

(٧٨) سورة ال عمران آية (٣١).

(٧٩) سورة الصف آية (٢).

(٨٠) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ - ٩.

ويحسن بك أيها القارئ في اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة أن ترجع إلى جوابه للشيخ عبدالله الصنعاني^(٨١). أ. هـ .

ثم استطرد الشيخ عبدالله في بيانه قاعدة الأئمة الأربعة في تقريرهم الأقوال واستنادهم على الدليل، وساق أقوالهم التي تقضى بأنه يقبل منهم ما وافق الدليل، وأن ما خالفه يضرب به الحائط، ثم اختتم جوابه للصنعاني بقوله:

«انتهى كلامكم فهل أنتم مجتهدون، أم تأخذون عن أقوال المفسرين وشراح الحديث وأتباع الأئمة الأربعة؟.. فإن كان الثاني فأخبروني عن أكثر ما تأخذون عنه وترضون قوله من علماء أهل السنة وفقنا الله وإياكم من العمل ما يرضيه، وجنبنا وإياكم العمل بمناهيه، وسامحنا وإياكم عند الوقوف بين يديه، وجعل أعمالنا مقبولة، والله أعلم»^(٨٢).

وللشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب كلام كثير في هذا المعنى يدل على اعتنائهم بالدليل، كما رسمه لعلماء مكة لما دخلوها سنة ١٢١٨ هـ وجمع لهم الأمير علماء مكة ليبين لهم هدفهم.

قال الشيخ: «ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه - وهو إخلاص التوحيد لله وحده. وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل عليه الناس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد، وترك الإشراك قبل أن تعرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه وانحى أثره واندثر.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة.

(٨١) الدرر السنية ج ٤ ص ١٠ .

(٨٢) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣ .

ومما قاله هو وإبراهيم وحسين وعلى وحمد بن ناصر: [وأما قولكم هل يجب على المكلف في المسائل المختلف فيها، فهذا يحتاج إلى تفصيل وبسط ليس هذا موضعه، لكن الواجب على المكلف أن يتقى الله ما استطاع، كما قال تعالى:

« فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٨٣).

وقال تعالى:

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (٨٤).

فإن كان المكلف فيه أهلية لمعرفة دلائل المسائل من كتاب وسنة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء، وإن لم يكن فيه أهلية كحال القوم الذين لا معرفة لهم بأدلة الكتاب والسنة، فهؤلاء يجب عليهم التقليد وسؤال أهل العلم فقط .. كما قال تعالى:

« فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٨٥).

وهذا في غير أصول الدين، وأما أصول ما بعث به من التوحيد، وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت، والجنة والنار، ومثل وجوب الفرائض من الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم ونحو هذا فلا يجوز في هذا التقليد، والمقلد فيه معذب في البرزخ كما ثبت ذلك في الأحاديث، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«وأما المنافق والمرتاب فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري - سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» (٨٦)(٨٧).

فهذه الأقوال ماذا تدل عليه؟ ما هي إلا دلالة واضحة على اعتماد إمام الدعوة وأحفاده على الكتاب والسنة.

وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيمن ترك

(٨٣) سورة التغابن آية ١٦ .

(٨٤) البقرة آية ٢٨٦ .

(٨٥) سورة النحل آية ٤٣ ، والأنبياء آية ٧ .

(٨٦) رواه البخارى ١٨٠/١ كتاب العلم

(٨٧) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣ - ١٤

العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب.. هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان. قال تعالى:

« أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٨٨).

وقال تعالى:

« فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (٨٩).

وهذا أصل عظيم من أصول الدين - قال العلماء رحمهم الله - كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يقضى إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل النصوص، والتقليد الأعمى المفضى إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم:

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ » (٩٠).

وقوله تعالى:

« أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ » (٩١).

وأهل الاجتهاد من العلماء وإن كانوا معذورين باجتهداهم إنما هو في معنى أدلة الكتاب والسنة وينهون عن تقليدهم.

فالأئمة رحمهم الله اجتهدوا ونصحوا، قال الشافعي رحمه الله: «إذا صح الحديث بخلاف قولى فاضربوا بقولى الحائظ فهو مذهبي» أ. هـ (٩٢).

(٨٨) سورة الأعراف آية ٣ .

(٨٩) النساء آية ٥٩ .

(٩٠) التوبة آية ٣١ .

(٩١) الشورى آية ٢١ .

(٩٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٣ .

فدل هذا الكلام من عبدالرحمن بن حسن على حرصهم على الكتاب والسنة، والاستدلال بهما وتبديع من أخذ بأقوال الناس، وترك الأحاديث الصحيحة، فما بالك بهم وبدعوتهم، فهى معتمدة على الكتاب والسنة.

(وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب فى الرد على من مدح الخلاف، وإنما يلجأ إلى مثل هذا ناقص العلم والدين إذا أفلس من الأدلة والبراهين، إلى أن قال «فصل» فأما مدحه الاختلاف وزعمه أنه رحمة، فالعبارة فيها عموم لا يخفى، وهى متناولة مدح جميع أهل الشقاق والأهواء الذين تواترت النصوص النبوية بدمهم وعيبيهم، ودلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى:

«وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» (٩٣).

وقوله:

«فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٩٤) (٩٥).

وقال: الواجب على المكلفين فى كل زمان ومكان الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد أن يعزول عن ذلك إلى غيره، ومن عجز عن ذلك فى شئ من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، فإن لم يدر شيئاً عن ذلك، وضح عنده ما عند أحد الأئمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق فى الأمة، فتقليدهم سائغ حينئذ^(٩٦) وأى دلالة أصرح من هذا الكلام الذى نقلناه عن الشيخ عبداللطيف حفيد إمام الدعوة فى الاعتماد على الكتاب والسنة، ولا يشكر هذا إلا مكابر. (وقال أيضاً الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فى بيان أخذ الشيخ محمد بالدليل ونقده بعض كتب المذهب الحنبلى، وهذا من الشيخ يدل على عدم تقليده حينئذ دليلاً من كتاب وسنة، ولو كان متعصباً لأخذ أقوال العلماء ولو خالفت النصوص.

قال الشيخ عبدالله (ولو كان هنا عناية بما استقر عليه الحال فى زمن الدعوة

(٩٣) البينة آية ٤.

(٩٤) المؤمنون آية ٥٣.

(٩٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٨.

(٩٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٢.

الإسلامية وعلماؤنا ومشايخنا رحمهم الله كان بهم قدوة لنا وأسوة، خصوصاً بعد ما فهموا من تقريرات شيخهم محمد رحمه الله، وقوله في رسائله أكثر ما في الإقناع والمنتهى مخالف لنص أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم». يعرف ذلك من عرفه ... أ. هـ.

وقال الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رحمهما الله، واختيار بعض المتأخرين لا يقضى بأولويته ولا رجحانه ولو ذهب المخالف إلى الأخذ بكل ما صححوه وإلزام الناس بجميع ما رجحوه لأوقعهم في شباك، وأفضى بهم إلى مفاوز الهلاك، وهذا على سبيل التنبيه، والإشارة تكفى اللبيب (٩٧).

وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمهما الله تعالى: «ونعتقد أن الله أكمل لنا الدين وأتم نعمته على العالمين ببعثه محمد الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليه داتها إلى يوم الدين.

قال تعالى:

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (٩٨).

إلى أن قال: «وإذا بان لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم، لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذي نعتقده وندين الله به» (٩٩).

(٩٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٩٨) المائدة آية ٣ .

(٩٩) الدرر السنية ص ٥٥ .

«الفصل التاسع»

فما قاله غير أحفاد الشيخ مما يدل على اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة..
جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن عدة أسئلة منها هذا السؤال:
«ما قولكم نور الله قلوبكم لفك العضلات، ووفقكم للأعمال الصالحات، هل يلزم
المبتدئين المتعلمين الترقى إلى معرفة الدليل الناص على كل مسألة، ومعرفة طريقه
وصحته أم تقليد المخرجين للحديث أنه صحيح أو حسن، ويكفيهم العمل بالفقهيات
المجردة عن الدليل ويغنيهم؟»

وهذا فيمن طلب العلم وتأهل له، فما حال العوام هل يجزيهم مجرد التقليد؟
وأيضاً حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة: أبى حنيفة،
ومالك، والشافعي، وأحمد؟ فأفيدونا؟ واحتسبوا فإن الحاجة ماسة إلى هذه المباحث، فإن
تفضلتم بطول الجواب، وذكر الدليل ومن قال به، فهو المطلوب؟».

فكان من أجوبته رحمه الله : «لا ريب أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

«اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» (١٠٠)

إلى أن قال رحمه الله «ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به
وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال في جوابه أيضاً «واتفق العلماء على أنه ليس أحد معصوماً إلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولون».
«وأما القادر على الاستدلال فقليل يحرم عليه التقليد مطلقاً، وقيل يجوز عند الحاجة،
كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال، وهذا القول أعدل الأقوال».

(١٠٠) سورة الأعراف آية ٣.

ثم رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة رحمهم الله فأشار إلى ما يأتي: -

١ - أن هذه الجملة حكاه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة، ومن حكاه بعده فنقلاً عنه.

٢ - بين مراد الوزير من حكاية جملة الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة وأنه لا يريد الوجوب، ولا ينفي الاجتهاد عن من بعدهم.

٣ - أن الوزير يحيى بن هبيرة أراد الرد على من اشترط الاجتهاد المطلق في القاضى.

٤ - أراد الوزير أن يبين أن المقلد ينفذ قضاؤه.

٥ - أوضح الوزير كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار المذاهب الأربعة.

٦ - أن الوزير بين جواز التقليد بعد استقرار المذاهب الأربعة ولم يوجبه، ووجه الجواز أن كل واحد من الأئمة الأربعة لا يعدم الدليل وإن أخطأ في الاستدلال، أو خفى عليه الدليل الآخر.

٧ - نقل الشيخ حمد كلام الوزير من الإفصاح.. وما أجل صنعه في نقله كلام صاحب الإفصاح ليستوضح القارىء فأنقل عنه.

وبعد هذه المقدمة إليك رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة، ونقله كلام ابن هبيرة فقال: هذا الإجماع حكاه غير واحد من المتأخرين، وكلهم نسبوه إلى الوزير أبى المظفر، يحيى بن هبيرة صاحب الإفصاح عن معانى الصحاح فانه ذكر نحواً من هذه العبارة وليس مراده أن الإجماع منعقد على وجوب تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة وأن الاجتهاد بعد استقرار هذه المذاهب لا يجوز، فإن كلامه يأتى ذلك وإنما أراد الرد على من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً وأن المقلد لا ينفذ قضاؤه، كما هو مذهب كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، وحمل كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، وأما بعد استقرار هذه المذاهب، فتجوز تولية المقلد لأهلها، وينفذ قضاؤه، وليس في كلامه ما يدل على أنه يجب التقليد لهؤلاء الأئمة بحيث أن يلزم الرجل أن يتمذهب بأحد هذه المذاهب الأربعة، ولا يخرج عن مذهب من قلده كما قد يتوهم، بل كلامه بخلاف ذلك ولا يوافق،

وعبارته في الإفصاح: اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد، إلا أبا حنيفة فإنه قال يجوز ذلك، قال الوزير، والصحيح في هذه المسألة أن قول من قال لا يجوز تولية قاض حتى يكون من أهل الاجتهاد فإنه إنما عنى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، التي أجمعت الأمة أن كل واحد منها يجوز العمل به، لأنه مستند إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقاضي الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ولا يسعى في طلب الأحاديث وابتغاء طرقها، ولا عرف من لغة الناطق بالشرية صلى الله عليه وسلم مالا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه وغير ذلك من شروط الاجتهاد، فإن ذلك مما قد فرغ منه ودأب له فيه سواء وانتهى له الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين إلى ما أراحوا به من بعدهم، وانحصر الحق في أقاويلهم، ودونت العلوم، وانتهت إلى ما اتضح فيه الحق، فإذا عمل القاضي في أقضيته بما يأخذ عنهم أو عن الواحد منهم فإنه في معنى من كان أداه اجتهاده إلى قول قاله، وعلى ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه، كان أخذاً بالحزم وعاملاً بالأولى، وكذلك إذا قصد في مواطن الخلاف وتوخى ما عليه الأكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، مع جواز علمه أن يعمل بقول الواحد، إلا أنني أكره له أن يكون ذلك من حيث أنه قد قرأ مذهب واحد منهم أو نشأ في بلدة لم يعرف فيها إلى مذهب إمام واحد منهم، أو كان شيخه ومعلمه على مذهب فقيه من الفقهاء فقصر نفسه على إتباع ذلك المذهب حتى أنه إذا حضر عنده خصمان، وكان ما تشاجرا فيه مما يفتى الفقهاء الثلاثة فيه بحكم نحو التوكيل بغير رضا الخصم، وكان الحاكم (حنفياً)، وقد علم أن مالكا والشافعي وأحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل، وأن أبا حنيفة يمنعه، فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الأئمة الثلاثة إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة بمجرد أنه قاله فقيه هو في الجملة من فقهاء الاتباع له ومن غير أن يثبت عنده بالدليل ما قاله ولا أداه اجتهاده إلا أن أبا حنيفة أولى بالاتباع مما اتفق الجماعة عليه، فإني أخاف على هذا من الله عز وجل بأنه اتبع في ذلك هواه وأنه ليس من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، وكذلك إن كان القاضي (مالكياً) فاختصم إليه اثنان في سؤر الكلب فقضى بطهارته مع علمه بأن الفقهاء كلهم قضوا بنجاسته، فعدل إلى مذهبه، وكذلك إن كان القاضي (شافعياً) فاختصم إليه اثنان في ترك التسمية عمداً فقال أحدهما هذا معنى بيع

شاة مذكاة فقال الآخر إنما منعتة من بيع الميتة،فقضى عليه بمذهبه وهو يعلم أن الأئمة الثلاثة على خلافة،وكذلك إن كان القاضي (حنبلياً) فاختصم إليه اثنان فقال أحدهما لى عليه مال، فقال الآخر كان له على مال فقضيته، فقضى عليه بالبراءة من إقراره مع علمه بأن الأئمة الثلاثة على خلافة، فإن هذا وأمثاله مما يتوخى اتباع الأكثرين فيه أقرب عندى إلى الإخلاص وأرجح فى العمل، وبمقتضى هذا فإن ولايات الحكام فى وقتنا هذا صحيحة، وأنهم قد سدوا ثغرا من ثغور الإسلام سده فرض كفاية،ولو أهملت هذا القول ولم أذكره،ومشيت على الطريق الذى يمشى عليه الفقهاء الذين يذكر كل منهم فى كتاب إن صنفه أو كلام إن قاله أنه لا يصح أن يكون قاضياً إلا من كان من أهل الاجتهاد، ثم يذكر من شروط الاجتهاد أشياء ليست موجودة فى الحكام، فإن هذا كالأحالة أو التناقض،وكانه تعطيل للأحكام وسد لباب الحكم وأن لا ينفذ حق ولا يكاتب به ولا يقام بينة إلى غير ذلك من القواعد الشرعية،وهذا غير صحيح، بل الصحيح فى المسألة أن ولايات الحكام جائزة،وأن حكوماتهم اليوم صحيحة نافذة،وولاياتهم جائزة شرعاً. أ. هـ. (١٠١)

ثم أوجز الشيخ حمد آل معمر كلام ابن هبيرة فى النقاط التالية:-

- ١ - جواز تولية المقلد إذا تعذرت تولية المجتهد،وبين السبب وهو صعوبة توفر شروط الاجتهاد المطلق،ولربما يؤدى طلب شروط الاجتهاد إلى ترك الأحكام.
- ٢ - أن إجماع الأئمة الأربعة حجة،وأن الحق لا يخرج عن أقوالهم،فلا يخرج القاضي عن ما أجمعوا عليه.
- ٣ - الإجماع على انعقاد تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة دون من عداهم من الأئمة لأن مذاهبهم مدونة قد حررت ونقحها أتباعهم.
- ٤ - أوضح ابن معمر بأن حكاية الإجماع عند ابن هبيرة على جواز التقليد لا على وجوبه.
- ٥ - أوضح أيضاً بأن القاضي ومثله المفتى لا ينبغى له الاقتصار على مذهب واحد منهم بحيث يلتزم الفتوى به، بل عليه أن يتوخى مواطن الاتفاق وإلا توخى ما عليه الأكثر.

٦ - أن على القاضي والمفتى أن يتوخى ما عليه الدليل من أقوال الأئمة، وحينئذٍ يكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٧ - أن على المقلد أن يتنبه وأن يفتن في أقوال الأئمة، فيأخذ بما عليه الدليل ولو كان مع إمام غير إمامه، وبهذا لا يكون خارجاً عن التقليد لأنه لا يعد مجتهداً اجتهداً مطلقاً، فهو مقلد للإمام باستدلاله ودلالته مع الدليل، فأخذه بهذا القول من أجل دليله.

٨ - بين ابن معمر بأن الشخص الذي لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد ففرضه التقليد، قال عبدالله بن الإمام أحمد: «سألت أبي عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول الرسول عليه الصلاة والسلام واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا الإسناد القوي من الضعيف.. أفيجوز أن يعمل بما شاء ويتخير ما أحب منها فيفتى به ويعمل به؟.. قال: لا، لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم» (١٠٢).

٩ - بين أيضاً وصف الذي يجد دليلاً عند بعض الأئمة ولم يجد ما يدفعه من الأدلة عند الآخرين، فإنه يكون بذلك مقلداً باتباعه الدليل الذي عرفه من هذا الإمام.

١٠ - نقل ابن معمر عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد ما يشفى ويكفي في الجزء الرابع من الدرر السنية جمع (ابن قاسم) صفحة ٢٧.

١١ - علق ابن معمر على كلام صاحب الإفصاح في هذا الموضوع قائلاً بما يوضح مقصده ويبطل الكثير من الشبه قائلاً: «وليس في كلام صاحب الإفصاح ما يقتضى التمهيد بمذهب لا يخرج عنه، بل كلامه صريح في ضد ذلك، وهذه الشبهه ألقاها الشيطان على كثير ممن يدعى العلم، وصال بها أكثرهم فظنوا أن النظر في الأدلة أمر صعب لا يقدر عليه إلا المجتهد المطلق، وأن من نظر في الدليل وخالف إمامه لمخالفة قوله لذلك الدليل فقد خرج عن التقليد، ونسب نفسه إلى الاجتهاد المطلق، واستقرت هذه الشبهة في قلوب كثير حتى آل الأمر بهم إلى أن تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون»، وزعموا أن هذا هو الواجب

عليهم وأن من انتسب إلى مذهب إمام فعليه أن يأخذ بعزائمه ورضه، وإن خالف نص كتاب أو سنة، قصار إمام المذهب عند أهل مذهبه كالنبي في أمته، لا يجوز الخروج عن قوله، ولا يجوز مخالفته، فلو رأى واحدا من المقلدين قد خالف مذهبه وقلد إماما آخر في مسألة لأجل الدليل الذي استدلل به قالوا: هذا قد نسب نفسه إلى الاجتهاد ونزل نفسه منزلة الأئمة المجتهدين، وإن كان لم يخرج عن التقليد، وإنما قلد إماما دون إمام آخر لأجل الدليل، وعمل بقوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١٠٣) (١٠٤).

والقصد من استعراض أقوال هؤلاء العلماء الإشارة إلى أن أنصار أئمة الدعوة يؤيدون الدليل ويعتمدون عليه، ويشنون الغارة على من خالفه وقلد أحداً مع وضوح الدليل.

وهذا الفهم تبعاً لإمامهم محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. ومما قاله الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: أن المقلد الذي لم تجتمع فيه الشروط ففرضه التقليد وسؤال أهل العلم.

ثم أوضح رحمه الله الرد على من تعصب لإمام من الأئمة وحاول أن يتملص عن الأخذ بالدليل بما يشفى ويكفى ويحفظ لنا سلامة الأخذ بالدليل وكرامة الأئمة: (فالتعصبون للمذاهب إذا وجدوا دليلاً ردهوا إلى نص إمامهم، فإن وافق الدليل نص الإمام قبلوه، وإن خالفه ردهوا واتبعوا نص الإمام.

واحتالوا في رد الأحاديث بكل حيلة يبتدون إليها، فإذا قيل لهم هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قالوا: أنت أعلم بالحديث من الإمام الفلاني؟ مثال ذلك: إذا حكمنا بطهارة بول ما يؤكل لحمه، وحكم الشافعي بنجاسته وقلنا له قد دل على طهارته حديث العرنين، وهو حديث صحيح، وكذلك حديث أنس في

(١٠٣) سورة النساء آية ٥٩.

(١٠٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨.

الصلاة في مراتب الغنم، فقال هذا المنجس لأبوال مأكول اللحم: أنت أعلم بهذه الأحاديث من الإمام الشافعي؟ فقد سمعها ولم يأخذ بها. فنقول له: قد خالف الشافعي في هذه المسألة من هو مثله أو هو أعلم منه، كما لك والإمام أحمد رحمهما الله وغيرهما من كبار الأئمة، فنجعل هؤلاء الأئمة بإزاء الشافعي ونقول: إمام بإمام، وتسلم لنا الأحاديث، ونرد الأمر إلى الله والرسول عند تنازع هؤلاء الأئمة، وتتبع الإمام الذي أخذ بالنص، ونعمل بقوله كما قال تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (١٠٥)

فتمثل ما أمر الله به، وهذا هو الواجب علينا، ولسنا في هذا العمل خارجين عن التقليد، بل خرجنا من تقليد إمامهم إلى تقليد إمام آخر لأجل الحجة التي أدلى بها من غير معارض لها ولا ناسخ.

فالانتقال من مذهب إلى مذهب آخر لأمر ديني بأن تبين له رجحان قول على قول، فيرجع إلى القول الذي يرى أنه أقرب إلى الدليل، مثاب على فعله، بل واجب على كل أحد إذا تبين له حكم الله ورسوله في أمر ألا يعدل عنه ولا يتبع أحدا في مخالفة أحد في مخالفة حكم الله ورسوله، فإن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٠٦).

وللشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبايطين جواب يقضى بوجود الأخذ بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما، ورد ما سواهما مما يخالفهما فيقول: (لا ريب أن الله سبحانه وتعالى فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله)، قال تعالى:

«اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ - أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (١٠٧)

(١٠٥) سورة النساء آية ٥٩ .

(١٠٦) الدرر السننية ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠٧) الأعراف آية ٣ .

وقال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» (١٠٨)

وقال تعالى:

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» (١٠٩)

ولم يوجب الله سبحانه وتعالى على الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس (١١٠)

وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان حيث قال رحمه الله تعالى: (فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر القول الذي يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها، اتباعاً لقوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»

فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل واحد في كل حال، وأقوال أهل الإجماع والمفتين والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله، وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته وطاعة الرسول طاعة لله، وهذا حقيقة التوحيد الذي يكون كله لله، وإذا عرف أن القول قد قاله بعض أهل العلم ومعه دلالة الكتاب والسنة

(١٠٨) الأنفال آية ٢٠ .

(١٠٩) النور آية ٥٤ .

(١١٠) الدرر السننية ج ٤ ص ٣٣ - ٣٤ .

كان هو الراجح، وإن كان قد قال غيره ممن هو أكبر من قائل ذلك القول، فإن ذلك القول هو الذى ظهر أن فيه طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم^(١١١).

وهؤلاء تلاميذ أئمة الدعوة ينهجون منهج شيخهم محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، ويبينون بأن طريقتهم الاعتماد على الكتاب والسنة، فدل ذلك على أن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وتلاميذهم رحمهم الله لا يرون التقليد الجامد ولا الأخذ بأقوال العلماء بدون نظر في الدليل إلا عند العجز عن معرفة الدليل، أو للعامى الذى لا يعرف النظر في الدليل وليس له إلا ما قيل له، وهذا أمر لا بد منه.
قال تعالى:

«فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (١١٢).

وفي الحديث الشريف «ألا : سألوها إذا جهلوا فإن شفاء العى السؤال». وعلم مما تقدم الرد على من قال: إن إمام الدعوة وأحفاده وتلاميذهم عندهم تعصب للمذهب كبعض أصحاب المذاهب.

وقال أحمد عبدالغفور عطار في كتابه محمد بن عبد الوهاب: «نعرض الإسلام عرضاً صحيحاً منزهاً من البدع مبره من الخرافات، والإسلام دين التوحيد، والتوحيد ينأى الشرك، ومن هنا دعا إلى الله وحده، وإلى صرف العبادات كلها له دون سواه. وبدأ الدعوة كما بدأ الرسل ولم يتجه إلى المجتمع يصلح نظامه وقوانين أعماله ومكاسبه، بل اتجه إلى العقيدة، فأبان للناس عقيدة الإسلام كما يفصح عنها الوحي كتاباً وسنة، لا يتجاوزها إلى ما اتخذها علماء الكلام من فلسفات يعسر معها فهم الإسلام السهل، وأصبح إفصاحه عن عقيدة الإسلام أركانها التى يقوم عليها.

وكان موفقاً في منهجه الذى اتبعه، فهو مدرك أن إصلاح الظاهر دون الباطن طلاء مغشوش وبريق خادع، أما إصلاح الباطن فهو الذى يهدى إلى أن يكون إصلاح الظاهر إصلاحاً صحيحاً لا فحش فيه ولا خداع، ووقفه الله لما كان يتمنى من الإصلاح. وبدأ محمد بن عبد الوهاب إصلاحه مع الأمير لأن الناس تبع السلطان، وحذر الناس الاتباع الأعمى وبصرهم بالإسلام، وعلمهم إياه في أسلوب سهل وإيجاز مستوعب

(١١١) الدرر السنوية ج ٤ ص ٥٥ - ٥٦ .

(١١٢) سورة الأنبياء آية (٧) .

وهدهم إلى الرشد، فإذا الإسلام يعود من جديد إلى الدرعية، ويدوى القرآن في حجرات البيوت من قصر السلطان إلى أكواخ الفلاح) أ. هـ. (١١٣).

ومعلوم أن اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة في مؤلفاته، وهذا ما تفيده كتابة العطار لتطابقها مع دعوة الشيخ ومقتضاها، ولعل هذا الكتاب لم يكتب إلا بعد الاطلاع، ولهذا قال في صفحة ١٥٩ من هذا الكتاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(ودعوة محمد بن عبد الوهاب ليست دعوة خاصة ولا شخصية من مبتكراته، بل هي الإسلام في حقيقته كما جاء به الوحي المقدس من كتاب وسنة، لا يزيد على الوحي شيئاً من عنده، لم يبتدع لأنه خصم البدعة العنيد) أ. هـ. (١١٤).

(لما تكلم على حقيقة الدعوة الوهابية وأشار إلى بطلان أقوال المتقولين عليه وقال: إذا نقدنا أقواله كلها ومحصنا جميع أعماله، فإننا لا نجد في ذلك كله إلا الحق الذي جاء به الإسلام وقرره وأقره، فهو لم يدع إلى غير الإسلام في بلاد غيرت عقائده وشعائره ومعامله، ولم يدع إلا إلى ما دعا إليه الكتاب والسنة، ولم يحكم في حياته قط غيرها، ولم يدع إلى منكر أو باطل، ولم يتبع غير سبيل الرشد، وما عمله ليس إلا صلحاً وإصلاحاً، فدعوته إلى الرجوع إلى الإسلام دون أن يأتي بتغيير في أصوله وفروعه ومبادئه ولا في نصوص أو تفسيرها تفسيراً جديداً) (١١٥).

وخلط من عاصروا الشيخ بين دعوته ومذهبه، أو فسروا دعوته على أنها مذهب خارج على الإسلام، وما كان له مذهب خاص به - بل له دعوته، وما دعوته إلا الإسلام في صفاته ونقائه.

ولقد قال له أعداؤه ما لم يقل، ونسبوا إليه قصصاً وروايات وأحاديثاً وأقوالاً وأفعالاً لم تصدر منه، فكتبه ورسائله بين أيدي الناس ليس فيها شيء مما زعموا، بل نقيض ما زعموا، وهو لا يحاسب على الأباطيل والأكاذيب المنسوبة إليه، وليس عليه وزر ما لم يقل أو لم يفعل، ومن خصومه العلماء الذين حرفوا أقواله».

هذه مقالات أحفاد الشيخ وغيرهم في الاعتماد على الكتاب والسنة والواقع يصدق ذلك.

(١١٣) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٢٠.

(١١٤) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٥٩.

(١١٥) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٦٨.

« الفصل العاشر »

في ثناء العلماء على الشيخ..

أكثرَ العلماء السلفيون والمؤرخون المحققون من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة، من ذلكم قصيدة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني مؤلف سبل السلام..

سلامى على نجد ومن حل في نجد :: وإن كان تسليمى على البعد لا يجدى

إلى أن قال:

قفى وأسأل عن عالم حل سوحها :: به يهتدى من ضل عن منهج الرشـد
محمد الهادى لسنة أحمـد :: فياحبذا الهادى وياحبذا المهـدى
لقد أنكرت كل الطوائف قولـه :: بلا صدّر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابـل :: وما كل قول واجب الرد والطرـد
سوى ما أتى عن ربنا ورسولـه :: فذلك قول جل، ياذا عن الـرد
وأما أقاويل الرجال فإنـها :: تدور على قدر الأدلة في النقـد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنـه :: يعيد لنا الشرع الشريف بما يـدى
وينشر جهراً ما طوى كل جاهـل :: ومبتدع منه فوافق ما عنـدى

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظى صاحب دوجال من قرى عسير .

قال الشيخ:

الحمد حقاً مستحقاً أبـدا :: لله رب العالمين سرمـدا

إلى أن قال:

مصلياً على الرسول الشـارع :: وأهله وصحبه والتابـع

لما دعا الداعي من المشارق :: بأمر رب العالمين الخالق
وبعثه الله لنا مجددا :: من أرض نجد عالما مجتهدا
شيخ الهدى محمد الحمدي :: الحنبلي الأثري الأحمدي
فقام والشرك الصريح قد سرى :: بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا :: وطرق الإسلام والسبيلا
إلا أساميتها وبقا الرسام :: والأرض لا تخلو من أهل العلم
وكذلك رثاء الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني مؤلف نيل الأوطار للشيخ محمد
ابن عبد الوهاب مثنياً عليه.. ومما قاله:

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي :: وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلي
إلى أن قال:

لقد مات طود العلم قطب رحا العلا :: ومركز أوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرا بموته :: وغيب وجه الحق تحت الجنادل
ومن أثنوا على الشيخ، حسين بن غنام الإحساني مؤلف «روضة الأفكار والأفهام»
قائلاً:

إلى الله في كشف الشدائد نفع :: وليس إلى غير المهيمن مفع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى :: فسالت دماء في الحدود وأدمع
أمام أصيب الناس طرا بفقده :: وطاف بهم خطب من بين موجع
وقال الشيخ عمران بن علي بن رضوان من سكان لنجة، من البلدان الفارسية مثنياً
على الشيخ..

جاءت قصيدتهم تروح وتغسدو :: في سب دين الهاشمي محمد
لقد زخرفوها للطعام بقولهم :: ان الكتاب هو الهدى فيه اقتدى
إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة :: بدعوة أصحاب القبور الحمد

ورأى العتاد القبور تقربياً :: بالذبح والنذر والصنيع المفسد
فأتاهم الشيخ المشار إليه :: بالنصح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهم لله أن لا يعبدوا إلا :: المهيمن ذا الجلال السرمد

كذلك قال العلامة السيد/محمود شكرى الألوسى رحمه الله في آخر تاريخه لنجد.
كان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد، وكان أبوه الشيخ عبدالوهاب عالماً
فقيهاً على مذهب الإمام أحمد، ومما قاله: كان الشيخ شديد التعصب للسنه، كثير الإنكار
على من خالف الحق من العلماء.

وقال عنه شكيب أرسلان في الجزء الرابع من حاضر العالم الإسلامى تحت عنوان
«تاريخ نجد الحديث» بعد أن ذكر ولادة الشيخ ونشأته:
وأخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى.. إلى أن قال: ولا أظنه أورد ثمة شيئاً
غير ما أورده ابن تيمية.

ومن قال عن الشيخ «حامد الفقى» رئيس جماعة أنصار السنه المحمدية في كتابه «أثر
الدعوة الوهابية» حيث قال:

كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن
في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً، ودعاءً، ونذراً، وحلفاً، وتوكلاً، وطاعة
لشرائعه.

وفي كتاب «المجددون في الإسلام» للشيخ عبدالمتعال الصعیدی، قال عنه بعد ذكر
ولادته ونشأته.. وأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه ابن تيمية قبله من التوحيد بالعبادة لله
وحده، وإنكار التوجه إلى أصحاب القباب والقبور، وإنكار التوسل بالأولياء والأنبياء إلى
الله في قضاء الحاجات».

وقال عنه أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا في التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد
أن ذكر فشو البدع بعد ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنه.

«ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى من هؤلاء العدول المجددين، قام
يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان
رسوله خاتم النبيين، وترك البدع والمعاصى ، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم
حرماته المنتهكة المنهوكه.

قال عنه أحمد عبدالغفور الحجازي في كتابه «محمد بن عبدالوهاب»..
كان محمد بن عبدالوهاب الشاب الناهض من أكبر أنصار الحرية الفكرية المتمشى
على نهج الإسلام، يدعو إليها في إخلاص وحماس، واستطاع أن يتحرر من قيود البيئته،
ويخرج على تقاليد قومه البالية».

كذلك قال عنه الدكتور/ طه حسين ..

«والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس
إلا الدعوة القومية إلى الإسلام الخالص النقي، المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو
الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خالصاً لله، ملغياً كل واسطة
بين الله وبين الناس».

قال عنه أيضاً حافظ وهبه.. في كتابه «جزيرة العرب»..

ولكنه مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم
خاصة ولا آراء خاصة، وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه
الله، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم»
ومما قاله الأستاذ/ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي (كونت ويلز) قال:

.. «وكل ما قاله الشيخ ابن عبدالوهاب قال به غيره ممن سبقه من الأئمة الأعلام،
ومن الصحابة الكرام، ولم يخرج في شيء عما قاله الإمام أحمد وابن تيمية - رحمهما الله».

وقال محمد كرد علي في «القديم والحديث» بعد حديثه عن أصل الوهابية..
«وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل
هؤلاء القوم».

كذلك قال الزركلي في الأعلام «الجزء السابع»:

«وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها
رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها».

وضمن كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للدكتور محمد عبدالله ماضي وتحت عنوان
«النهضة العربية السعودية» قال:

«... أخذ المصلح الديني، والزعيم الإسلامي محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن

الثاني عشر الهجري يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة، واعتناقها من جديد بين النجديين، وكانوا قد فسدت عقيدتهم، وضلت سيرتهم». وفي مجلة الإرشاد الكويتية التي كانت تصدر عام ١٣٧٣ هـ وبعدها السادس تحت عنوان: «الحركة الوهابية» قال الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة.

«والمبادئ الأساسية للدعوة الوهابية هي تنقية معنى التوحيد من شوائب الشرك، ظاهره وخفيه، وإخلاص الدين لله، وعدم الالتجاء إلى غير الله، وعدم الغلو في تمجيد الرسول تمجيداً يخرجُه عن حدود الطبيعة البشرية وتحديد معنى الرسالة التي كلف بإبلاغها».

قال عنه أيضاً عبدالكريم الخطيب في كتابه «محمد بن عبدالوهاب» العقل الحر في الفصل الخامس.

«قام محمد بن عبدالوهاب يدعو إلى الله لا يبغي بهذا جاهاً، ولا يطلب سلطاناً، وإنما يرضى للناس معالم الطريق، ويكشف لهم المعائر والمزالق التي أقامها الشيطان وأعوان الشيطان».

وفي كتاب «الحلقة المفقودة في تاريخ العرب» قال محمد جميل بيهم تحت عنوان (آل سعود في حكم آل عثمان):

«دعا محمد بن عبدالوهاب معتمداً على القرآن، إلى شريعة بيضاء نقية، كما تركها محمد صلى الله عليه وسلم، ونهى عن الغلو في تقديس الأنبياء والأولياء». وتعليقاً على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» تأليف الأمريكي ستودارد.. قال الأمير شكيب أرسلان ضمن ما قاله:

«فكان الصاروخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد».

كذلك قال المستشرق «سيديو» في تاريخ العرب العام: «ولم يكن للإصلاح الذي بدا زعيماً له هدف سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة

إلى سابق عهدها... إلى أن قال «خلع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دين محمد رونقاً جديداً، وبدد الخرافات التي زالت مع الزمن، فأظهر القرآن خالياً من جميع ما عزی إليه من الشوائب».

كما أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ على الطنطاوى فى كتابه «محمد بن عبد الوهاب» بعد ذكره فشو البدع قبل ولادة الشيخ والاعتقادات الفاسدة.. قال: «فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق، والألفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الانقسام، ولا أقول إن الرجل كامل، فالكمال لله، ولا أقول إنه معصوم فالعصمة للأنبياء، ولا أقول إنه عار عن العيوب والأخطاء ولكن أقول: إن هذه اليقظة التى عمت نجدا، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة، ثم إلى ما حولها، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام، ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله».

قال العالم الفرنسى «برناد لوسى» فى كتابه العرب فى التاريخ ما يلى:

وباسم الإسلام الخالى من الشوائب الذى ساد فى القرن الماضى، نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدع خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح».

كما قال شيخ المستشرقين «جولد سيهر» فى كتابه العقيدة والشريعة ما يلى: «إن الوهابيين أنصار للديانة الإسلامية على الصورة التى وضعها النبى وأصحابه، فغاية الوهابية هى إعادة الإسلام كما كان».

وأثنى الشيخ محمد عبده على الشيخ، فكان مما قاله لتلاميذه فى الأزهر عن حياة الشيخ ودعوته:

إنه المصلح العظيم - ويلقى بالتبعة على الأتراك وعلى محمد على لجهلهم بحقيقة دعوته».

قال عنه أمين سعيد فى كتابه «سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب»:

«إنه مصلح من كرام المصلحين، ومجاهد من كبار المجاهدين، وعالم من خيرة العلماء - أنار الله بصيرته وهده سبله وألهمه التقوى، فدعا أمته إلى الرجوع إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله، ونبذ الشرك، وعبادة القبور».

وبعد هذا الثناء الموجز من بعض العلماء على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هل يا ترى يصدر مثل هذا الثناء على مبتدع ضال، أو جاهل أو قاتل بالرأى أو الهوى، إن مثل هذا لا يصدر إلا لمن كشف حقيقة ثابتة كاد ظلام الجهل يغطيها ويموهها. وهؤلاء الذين أثنوا على الشيخ إما علماء ثبتت علميتهم وثقتهم، أو أدباء ومؤرخون يتابعون الحركات والحقائق، أو أعداء، والحق ما شهدت به الأعداء.

الفصل الحادى عشر

الأصول التى دعا إليها الشيخ

وهى أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة

وبها يتجلى أن دعوة الشيخ مبناها الكتاب والسنة:
قال ابن حجر آل بوطامى «المسائل التى دعا إليها الشيخ ووقع فيها الخلاف بينه وبين الأكثرين»:

١ - توحيد العبودية:

ويقال له توحيد الألوهية، وهو الذى بعث الله من أجله الرسل، من نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:
«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (١١٦).

وحيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها كما سبق قد ألهوا قبور الأنبياء والصالحين وبعض الأحجار والأشجار، وصرقوا بعض العبادات إليها، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة، والاستغاثة إلى غير ذلك مما لا ينبغى صرفه إلا لله. أنكر عليهم وبين لهم أن العبادة هى طاعة لله بامتنال ما أمر، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال.

وأفراد العبادة كثير منها:-

الصلاة والصيام والصدقة والنذر والذبح والطواف والاستعانة والاستغاثة. فمن نذر منها شيئاً لغير الله يكون مشركاً، قال الله تعالى:

(١١٦) سورة النحل آية (٣٦).

« وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » (١١٧)

فاتبعه بعضهم واعتنق مبداه رغبة واختياراً، وأبى الأكثرون متمسكين بتقليد الآباء والخضوع للعادات، وفشو هذه الأعمال في سائر الأمصار والقرى. وسكوت الكثيرين من العلماء.

٢ - التوسل:

التوسل قسمان: قسم مطلوب ومرغوب فيه، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وبالأعمال الصالحة، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم.

والثانى: التوسل المبتدع؛ وهو التوسل بالذوات الصالحة، كأن يقول الشخص: اللهم إني أسألك بجاه الرسول، أو بحرمة فلان الصالح، أو بحق الأنبياء والمرسلين، أو بحق الأولياء الصالحين.

فنهاهم الشيخ عن القسم الثانى، إذ لم يرد عن الرسول ولا أصحابه رضى الله عنهم، وهو دعاء - والدعاء عبادة، ومبناها على التوقيف، ويعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

وتمسك المجوزون بآيات لا تمت إلى دعواهم بصلة كقوله تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (١١٨)

إن التفسير الوارد عن السلف وأجلاء المفسرين أن ابتغاء الوسيلة يكون بالأعمال الصالحة، كما تمسكوا ببعض أحاديث موضوعة، كحديث توسل آدم بالنبي لما اقترب الخطيئة، وضعيفه كحديث الأعمى، وحديث فاطمة بنت أسد، ولا حجة في موضوع ولا ضعيف.

(١١٧) سورة المؤمنون آية (١١٧).

(١١٨) سورة المائدة آية ٣٥.

٣ - منعه شد الرجال:

منع من شد الرجال إلى غير المساجد الثلاثة، كما جاء في الحديث الصحيح «لا تشد الرجال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١١٩).

ولم يلتفت الشيخ إلى تأويل المؤولين والمخالفين، كما أن شد الرجال لزيارة الأرحام، أو للسعى وراء الكسب خارج عن دائرة النزاع لأن هذه الأشياء وردت بها أوامر شرعية، وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرجال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وابن القيم، والجويني، ولد إمام الحرمين من الشافعية، والقاضي عياض. وليس للمجوز أية حجة يصح الاعتماد عليها.

٤ - البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك:

حرم الشيخ البناء على القبور وكسوتها، وتعليق الستور عليها وإسراجها، والكتابة عليها، وإقامة السدنة حولها، وزيارتها الزيارة الشركية التي تنجم منها مفسد عديدة، كالتمسح بالقبور في جلب نفع أو دفع ضرر، واستند الشيخ في منعه وتحريمه إلى أدلة صحيحة من الأحاديث كحديث:

«لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها مساجد»^(١٢٠).

وحديث «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»... الخ. وأمر الشيخ بهدم تلك القبب المشيدة اتباعاً بالأحاديث الصحيحة، كحديث أبي الهيثج الأسدي لما قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١٢١).

وفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها قد سبقوا الشيخ بمنع هذه الأمور وتحريمها، وإن عبر بعضهم بالكراهة في بعض منها، فإنما القصد كراهة التحريم لا التنزيه، والكراهة في القرآن والسنة وعلى لسان السلف تطلق على التحريم.

(١١٩) رواه البخارى ج ٣ ص ٦٣ في كتاب فضل الصلاة، ورواه مسلم في كتاب الحج ج ٢ ص ٩٧٥.

(١٢٠) رواه الترمذى في أبواب الصلاة ١٣٦/٢ وأبو داود في كتاب الجنائز ٢١٨/٣.

(١٢١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ٢/٦٦٦ في باب الأمر بتسوية القبور.

(والكراهية بمعنى أنه لا يثاب فاعلمها ولا يعاقب تاركها) اصطلاح حادث... لا عبرة له، كما لا عبرة بقول بعض الفقهاء بتحريم البناء على القبر، إن كان في أرض مسبلة لثلا تضيق الأرض على الموتى، وإن كان في ملكه بل يكره، وإنما قلنا لا عبرة به لأن الأحاديث مانعة من البناء، والأمر بهدمها عامة. وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخصصها.

وليست علة التحريم تضيق الأرض كما زعم أولئك ، بل العلة أن البناء يفضى إلى تعظيم المقبور ودعائه من دون الله، وهذا أمر شاهد وملموس لا يقبل الجدل أو النزاع.

٥ - توحيد الأسماء والصفات:

قد سبق ما جاء في رسائل الشيخ، أنه في المعتقد على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم من الأئمة الأربعة وغيرهم وهو إثبات الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تكليف، ولم يرق للمخالفين هذا الاعتقاد، حيث كانوا مؤولين ومقلدين للجهم بن صفوان والجعد بن درهم، مستمسكين بشبه فلسفية لا تتفق مع آى القرآن والأحاديث الصحيحة، ومعتقد الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

٦ - إنكار البدع:

أنكر الشيخ البدع والمحدثات في الفروع، كالاحتفال بالمولد، والتذكير قبل الآذان، والصلاة على الرسول بعد الآذان جهراً، والتلفظ بالنيه، وقراءة حديث أبى هريرة عند صعود الخطيب إلى المنبر.

كما أنكر طرائق الصوفية المبتدعة، وما إلى ذلك من المبتدعات التى لم يرد فى استحبابها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.

وقد ألفت العلماء قبل الشيخ فى إنكار البدع والمحدثات، كابن وضاح، والطرطوشى، والشاطبى.

الباب الثالث

الاستدلال على اعتاده في

مؤلفات العقائد

على الكتاب والسنة

وحان الآن الشروع في الاستدلال من مؤلفات الشيخ في اعتاده على الكتاب والسنة، ونبدأ بالأهم، وهو ما ألفه في العقائد وأصول الدين والايان، وفي هذا خمسة عشر فصلاً:

«الفصل الأول»

«في ثلاث مسائل يجب تعلمها»

قال رحمه الله تعالى فيما يجب تعلمه ومعرفته على كل مسلم ومسلمة، وهو ضروري من ضروريات الدين، فذكر ثلاث مسائل:

- ١ - أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.
 - ٢ - أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد.
 - ٣ - أن من وحد الله وأطاع الرسول وجبت عليه موالة الله ورسوله، ووجب عليه بغض أعداء الله وأعداء رسوله.
- ثم استدل على الأولى بقوله تعالى:

(١٢٢)

«إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا»

(١٢٢) المزملة آية ١٥ .

واستدل على الثانية بقوله تعالى:

«وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (١٢٣).

ومعلوم أن الدعاء عبادة، كما قال تعالى:

«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (١٢٤).

فجعل العبادة هي الدعاء.

واستدل على الثالثة بقوله تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٢٥).

نزلت في أبي عبيدة رضى الله عنه لما قتل أباه في بدر.

فمن أنصف من نفسه وجد الأمر واضحاً، حيث استدل الشيخ محمد بن عبدالوهاب

بالقرآن الكريم فلم يوجب شيئاً من بنات أفكاره، ولا مقتبساً من إعداده.

(١٢٣) الجن آية ١٨ .

(١٢٤) غافر آية ٦٠ .

(١٢٥) المجادلة آية ٢٢ .

«الفصل الثاني»

«في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك»

وأرشد إلى ما به الفلاح والنجاح، وجعل ذلك في أربع مسائل تعلمها من مقتضى الإسلام.

- ١ - العلم ثم بين المراد به بأنه معرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- ٢ - العمل به.
- ٣ - الدعوة إليه.
- ٤ - الصبر على الأذى فيه.

ثم استدل على هذه المسائل الأربع بسورة من سور القرآن وهي قوله تعالى:

«وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ» (١٢٦).

والاستدلال من هذه السورة واضح (فآمنوا) أي عملوا، وهذا التفسير لاقتران العمل بالإيمان، وحيث أطلق الإيمان شمل العلم والقول والعمل، (وعملوا الصالحات) دلت على وجوب العمل بالعلم، و (تواصوا بالحق) دلت على وجوب الدعوة إليه، و (تواصوا بالصبر) دلت على وجوب الصبر على الأذى فيه.

فهل ينكر هذا الاستدلال ومطابقته بما استدل عليه إلا مكابر معاند، وهذا غير معتبر.

وقد سبق إلى هذا الاستدلال الإمام الشافعي رحمه الله بقوله: (لوما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

«الفصل الثالث»

«مراتب الدين»

أنه جعل الدين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى أعم من الثانية، والثانية أعم من الثالثة.

المرتبة الأولى: الإسلام.

المرتبة الثانية: الإيمان.

المرتبة الثالثة: الإحسان.

وبعد أن بين معنى الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، وأن الإيمان هو التصديق بالباطن، إذ ذكر مقروناً مع الإسلام - لأن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان فالمراد به الأعمال الظاهرة، وإذا أفرد كل واحد منهما شمل الآخر.

وأن الإحسان أخص منهما، وهو لا يحتاج إلى تفسير أوضح مما فسر به الحديث، ثم استدل رحمه الله على هذه الأصول بحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم في صحيحه، وفيه: أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر له الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره، ثم سأل عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الخ الحديث (١٢٧)

ثم استدل رحمه الله على كل مسألة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في الحديث وذلك في آية من القرآن، ومن شك في ذلك فليراجع ثلاثة الأصول من المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ والتي طبعتها الجامعة.

(١٢٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ج ١ ص ٣٧

وهذا نموذج مما استدل به على معنى لا إله إلا الله بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٢٩﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢٨﴾»

ثم بين معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (١٢٩)

واستدل على وجوب التوحيد والصلاة والزكاة، بقوله تعالى:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» (١٣٠)

واستدل على ركنية الصيام، بقوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿١٨٤﴾» (١٣١)

واستدل على ركنية الحج، بقوله تعالى:

« وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » (١٣٢)

(١٢٨) الزخرف آية ٢٦ - ٢٨ .

(١٢٩) التوبة آية ١٢٨ .

(١٣٠) البينة آية ٥ .

(١٣١) البقرة آية ١٨٣ - ١٨٤ .

(١٣٢) آل عمران آية ٩٧ .

وأركان الإسلام الخمسة المتقدمة وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.. بين الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مبنی الإسلام وجمعها بقوله:

«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام».

من حديث ابن عمر رضی الله عنهما الذي رواه البخاري ومسلم. فهل يمكن لأحد لديه مسكة من عقل أن ينكر اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة بعد استعراض هذه الأدلة على أركان الإسلام!؟

واستدل على بعث الناس بعد الموت، بقوله تعالى:

«مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» (١٣٣).

وفي قوله تعالى:

(١٣٤) «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَحْتَصِمُونَ»

وحكم بالكفر على من أنكر البعث، واستدل بقوله تعالى:

«زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ» (١٣٥).

ففقيدة الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

فهل يستطيع إنكار هذه الأدلة إلا كافر معاند لوضوحها ومطابقتها للمستدل عليه، وحكم بوجود الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

(١٣٣) طه آية ٥٥ .

(١٣٤) الزمراء آية ٣٠ - ٣١ .

(١٣٥) التغابن آية ٧ .

واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ لَكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (١٣٦).

والمقصود ببلد الشرك الذي لا يستطيع المسلم أن يظهر فيه شعائر دينه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الهجرة واضح، وذلك أن الله توعده بسوء المصير، ووصفهم بظلم أنفسهم - لأن المسلم لا يصح أن يبقى بين المشركين ذليلاً إلا إذا كان غير قادر، كما قال الله تعالى:

«إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» (١٣٧).

كما استدل رحمه الله على أن أعظم ما أمر به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، قال تعالى:

«وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (١٣٨).

وبقوله جل وعلا:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا» (١٣٩).

(١٣٦) النساء آية ٩٧ .

(١٣٧) النساء آية ٩٨ .

(١٣٨) النساء آية ٣٦ .

(١٣٩) الذاريات آية ٥٦ - ٥٧ .

وبقوله تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ...» (١٤٠)

وقوله تعالى:

«قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» (١٤١).

وما استدلل به من هذه الآيات واضح جلي، وإذا يثبت عند العاقل أن هذه المسألة هي أساس الدين، وأصل دعوة محمد بن عبد الوهاب.

ويتبين له أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يدع إلى شيء مجهول، ولم يأت بشيء من عنده لاتباع ما يقول بالأدلة.

وبين رحمه الله أن أساس دعوته هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ثم استدلل بقوله تعالى:

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (١٤٢).

(١٤٠) الإِسرَاءُ آية ٢٣ .

(١٤١) الأَنْعَامُ آية ١٥١ .

(١٤٢) النحل آية ٣٦ .

الفصل الرابع

في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة

واعتنى الشيخ رحمه الله في تحقيق توحيد العبادة وبيان ما ينافيه أو ينافي كماله، وألف في ذلك كتاباً عظيماً أسماه «كتاب التوحيد»، جعله سبعة وستين باباً، وكل باب منها ليس له فيه إلا مجرد العنوان والترجمة المتضمنة للحكم، ثم يستدل على هذا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وأعقب كل باب بمسائل عظيمة تستفاد منه، وقد صدر هذا الكتاب بوجود توحيد العبادة، فاستدل على وجوب التوحيد بقوله تعالى:

«وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» (١٤٣).

ونظائرها من الآيات ومن الأحاديث النبوية ما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله.. فقال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال عليه السلام: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» (١٤٤).

فدل هذا الحديث أن لله حق على العباد، وهو عبادته وعدم الشرك به، وبعد أن بين الشيخ وجوب التوحيد بين فضله.

قال الشيخ: باب فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، ثم استدل بآية الأنعام:

(١٤٥) «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»

(١٤٣) النساء آية ٣٦.

(١٤٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس. باب إرداف الرجل خلف الرجل حديث رقم ٥٩٦٧. ج ١٠ ص ٣٩٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث ٣٠ ج ١ ص

٥٨.

(١٤٥) الأنعام ٨٢.

وبجملة أحاديث كلها تدل على فضل التوحيد دلالة واضحة، منها ما أخرجه في الصحيحين عن عتبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله حرم الله وجهه على النار»^(١٤٦)

فانظر إلى هذا الاستدلال ووضوحه من الآيات والأحاديث.

ثم قال: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لا يستطيع أحد أن ينكر الاستدلال بها، ثم قال: باب الخوف من الشرك.. واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^(١٤٧).

فيذا حكم على المشرك بعدم المغفرة وجب الخوف من الشرك، واستدل بآيات أخرى وأحاديث نبوية كلها واضح فيها وجه الاستدلال، واستدل على وجوب الدعوة إلى التوحيد بقوله تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»^(١٤٨).

وحديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن، وتعليمه كيف تكون الدعوة، واستدل أيضاً على وجوب الدعوة وفضلها في حديث سهل في فتح خيبر، والشاهد منه قول الرسول لعلى بن أبى طالب «ثم ادعهم إلى الإسلام» مبيناً فضل هذه الدعوة لقوله: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١٤٩).

ثم قال رحمه الله: باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»^(١٥٠).

(١٤٦) أخرجه البخارى في كتاب الصلاة حديث رقم ٤٢٥ ج١/٥٩١.

(١٤٧) النساء ٤٨.

(١٤٨) يوسف ١٠٨.

(١٤٩) أخرجه البخارى في كتاب الجهاد. باب دعاه النبي - صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. حديث رقم

٢٩٤٢ ج١/١١١.

(١٥٠) الزخرف آية ٢٦ - ٢٨.

وبحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» (١٥١).

ثم ابتداءً بجزئيات تنافي التوحيد وتنافي كماله، منها: لبس الحلقة لجلب النفع أو لدفع الضر، وأبطل ذلك بقوله تعالى:

«قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ» (١٥٢).

وبقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي رأى عليه حلقة من صفر وأخبره بأنها عن الواهنة فقال له: «انزعها لا تزيدك إلا وهناً» واستدل على بطلان التائم بقوله عليه الصلاة والسلام: «من علق تيممة لا أتم الله له» (١٥٣) وغير ذلك من الأحاديث. واستدل رحمه الله على بطلان التبرك بالأشجار والأحجار بآية

«أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْآخَرَىٰ» (١٥٤)؛

وبحديث فيه، أن الصحابة طلبوا من الرسول أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها، فأنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الإنكار، واستدل على صرف الذبح لله وتحريمه لغير الله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

وهكذا في سائر أبواب مؤلفه رحمه الله المسمى بكتاب التوحيد.

ومن شك في ذلك فليراجع هذا المؤلف، فإنه سيجد ما يشفيه ويكفيه من الأدلة ويطمئنه ويؤكد له أن الشيخ يعتمد اعتماداً كلياً على الكتاب والسنة لاسيما في باب التوحيد والعقائد وكشف الشبهات.

(١٥١) أخرجه البخارى في كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥ ج١/٧٥ ومسلم في الإيمان حديث ٢٠ ج١/٥١.

(١٥٢) الزمر ٣٨.

(١٥٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب - باب تعليق التائم حديث رقم ٣٥٣١ ج٢ ص ١١٦٧.

(١٥٤) النجم ١٩-٢٠.

من مؤلفات الشيخ كشف الشبهات بأدلتها

وهاك نموذجاً مما قاله واستدل عليه في هذا المؤلف، ولعلك تراجع بقيته، فيتضح لك استدلال الشيخ على كل مسألة وشبهة إن كنت شاكاً في اعتماد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة.

ذكر إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، وذكر أنه لم يدخلهم في الإسلام بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقروا بتوحيد العبادة، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقراً قوله تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١٥٤).

وقوله:

« قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۗ (٨٦) سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ » (١٥٥).

(١٥٤) يونس آية ٣١ .

(١٥٥) المؤمنون من آية ٨٦ - ٨٩ .

وغير ذلك من الآيات، فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعرف أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى:

« فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (١٥٦).

وقال:

« لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ » (١٥٧).

وتحقت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذٍ التوحيد الذى دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك « لا إله إلا الله ».

فدل هذا الكلام المتقدم والذى سننقله لك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد فهمه من نصوص القرآن على ما يأتى:

١ - أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية.

٢ - أنه لم يدخلهم فى الإسلام.

(١٥٦) سورة الجن آية ١٨ .

(١٥٧) الرعد آية ١٤ .

٣ - أن معنى «لا إله إلا الله» يشمل النوعين.

٤ - أن الكفار الذين قاتلهم الرسول يفهمون معناها، ولهذا قالوا كما حكى الله عنهم:

«أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ» (١٥٨).

٥ - أن كفار أهل زماننا لا يفهمون معناها لأنهم يقولونها، ومع ذلك تخالفه أفعالهم،

فيعبدون القبور، ويدعون الأولياء والصالحين، ولو عرفوا معناها حقيقة لما عبدوهم وما استغاثوا بهم، وأما الكفار لم ينطقوا بها لأنهم لم يعملوا بمعناها، وكل هذا ساق الشيخ عليه الأدلة، وبين أن الشرك لا يغفر لصاحبه، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١٥٩).

وبين أن من عرف دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، أنه يستفيد فائدتين.

الأولى : فضل الله ورحمته، ثم استدل بقول الله:

«قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (١٦٠).

الثانية : الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، ثم استدل بطلب قوم موسى مع صلاحهم.

«أَجَعَلَ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» (١٦١).

(١٥٨) سورة ص آية ٥ .

(١٥٩) النساء آية ٤٨ .

(١٦٠) سورة يونس آية ٥٨ .

(١٦١) الأعراف ١٣٨ .

فاستدل الشيخ على هاتين الفائدتين بهاتين الآيتين واضح لا يستطيع أحد إنكاره.
وفي سياق كشف الشبهات بين رحمه الله بأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء.
ثم استدل على ما قاله بقوله تعالى:

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْأَخْسَنِ يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ »
(١٦٢)

واستدل أيضاً رحمه الله بأن هؤلاء الأعداء قد يكون لهم حجج وعلوم، يقول تعالى:

« فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ » (١٦٣).

ثم بين أن الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقاتل به الأعداء الذين قعدوا له على الطريق، كما قال إمامهم ومقدمهم:

« لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦٤﴾ ثُمَّ لَا تَبْنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ » (١٦٤).

ثم بين أن هؤلاء الأعداء يضعفون أمام من تسليح بدين الله، واستدل بقوله تعالى:

« إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » (١٦٥).

ثم بين أن العاصي من الموحدين يغلب الألف من غيرهم، وأنه لا خوف عليه إذا سلك الطريق وإنما الخوف على ضعيف التوحيد، واستدل بقوله تعالى:

« وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ » (١٦٦).

(١٦٢) الأنعام ١١٢ .

(١٦٣) غافر ٨٣ .

(١٦٤) الأعراف ١٦ - ١٧ .

(١٦٥) النساء ٧٦ .

(١٦٦) الصافات ١٧٣ .

ثم استدل رحمه الله على أنه مها جاء أهل الباطل بشبهة ففي القرآن ما يبطلها،
واستدل بقوله تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (١٦٧).

وهذه الآيات عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.
ثم ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه سيكشف هذه الشبه بآيات قرآنية،
وأن لهم جوابين مجمل ومفصل، أما المجمل - فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها
وذلك قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَآخَرٌ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» (١٦٨)

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما
تشابه منه فأولئك الذين سمي الله - فاحذروهم» (١٦٩).

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين:

«الْأَيْنَ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (١٧٠)

وأن الشفاعة حق - وأن الأنبياء لهم جاه عند الله.

وذكر كلاماً للنبي عليه الصلاة والسلام يستدل به على شيء من باطله - وأنت لا
تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجأوه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم
زيغ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه.

وهكذا استمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إيراد الشبه وجوابها، والاستدلال على
بطلانها من القرآن والسنة، يجد ذلك واضحاً من أحب الحقائقة واطلع على كشف
الشبهات، والمقصود ذكر نموذج منه كما تقدم.

(١٦٧) الفرقان آية ٣٣ .

(١٦٨) آل عمران آية ٧ .

(١٦٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب منه آيات محكمات. حديث رقم ٤٥٤٧ ج٢/٨٠٩.

(١٧٠) يونس ٦٢ .

الفصل الخامس

القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة

من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب : القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة وأنه لا يكون خالصاً إلا بنفى الشرك، وأن الشرك مع العبادة كالحديث مع الطهارة ضدان لا يجتمعان، فكما لا تصح الصلاة مع الحديث فإنها لا تصح عبادة مع الشرك. وأوضح ذلك بهذه القواعد الأربع التي تدل على اعتماد دعوته وفقهه على الكتاب والسنة:

«القاعدة الأولى»:

أن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لا يدخل في الإسلام، ثم استدل بقوله تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١٧١).

فأقروا بهذه الآيات الخلقية الكونية وأن القادر عليها هو الله، ومع ذلك قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام، فلو كان كافياً لما قاتلهم، ولما طلب منهم توحيد العبادة - فاستدلال الشيخ واضح واعتماده على الكتاب والسنة صريح.

«القاعدة الثانية»:

أنهم يتوسلون بمعبوداتهم إلى الله ويتشفعون بهم ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر، فدل على أن المطلوب أن يعبدوا الله مباشرة دون واسطة، وأن يطلبوا منه شفاعته نبيهم لهم.

(١٧١) يونس آية ٣١.

واستدل على أن شفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة لا تطلب إلا من الله، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم استدل على ذلك كله بآيات قرآنية منها قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» (١٧١م)

ووجه الاستدلال أنه حكم على من اتخذ الوسطة بالكفر (١٧٢).

«القاعدة الثالثة»:

أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

ومقصود الشيخ أن عبادة ما سوى الله على حد سواء بالكفر وبالمقاتلة للرجوع عن ذلك، ثم استدل على بطلان عبادة أى نوع من هذه المخلوقات بدليل من القرآن.

«القاعدة الرابعة»:

فيها أن الشيخ حكم على أن شرك أهل زمانه أشد وأغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وأهل زمانه يشركون في الرخاء والشدة، بل كلما اشتد عليهم الأمر ازدادوا لجوء وتضرعاً ودعاء لمعبوداتهم، ثم استدل بقوله تعالى:

«فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (١٧٣).

فهل ينكر وجه الاستدلال واعتماد الشيخ على الكتاب والسنة إلا مكابر ومعاند.

(١٧١م) سورة الزمراء آية ٣.

(١٧٢) راجع القواعد الأربع في القسم الأول من مطبوعات الجامعة من مؤلفات الشيخ في العقائد ص ١٩٧ نجد ذلك واضحاً جلياً وأن الشيخ لم يأت بشئ من بنات أفكاره ولا استوردها من غيره.

(١٧٣) سورة العنكبوت آية ٦٥.

الفصل السادس

ما ورد في مؤلفه كتاب

« فضل الإسلام » من اعتماده على الكتاب والسنة

ومن الأمثلة على اعتماد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة ما جاء في مؤلفه « فضل الإسلام »:

١ - استدل على فضل الإسلام بقوله تعالى:

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا » (١٧٤)

ووجه الاستدلال على فضل الإسلام أن الله رضيه لنا ديناً ندين الله به، وتنتقرب به إليه، فلو كان هناك وسيلة أفضل من الإسلام لرضيها لنا. ثم استدل الشيخ رحمه الله على فضل هذا الإسلام الذي رضيه لأمة محمد ديناً، أن ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم ليكون لهم عيد الأسبوع - لذا قال عليه الصلاة والسلام «نحن الآخرون السابقون» من حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (١٧٥).

(١٧٤) المائدة آية (٣).

(١٧٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء حديث رقم ٢٣٨ ج١/٣٤٥.

٢ - قال رحمه الله - باب وجوب الإسلام - ثم استدل على ذلك بقوله تعالى:
(١٧٦)، (١٧٧)

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

فلو لم يكن الإسلام واجباً لما حكم بالخسران على من ابتغى غيره، ولا نفى قبول غيره، ومن السنة استدل بحديث عائشة رضی الله عنها عن رسول الله قال:
«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه.. (١٧٨)
فدل على وجوب الإسلام حيث حكم عليه الصلاة والسلام برد الأعمال التي ليست على أمره - راجع وجوب الإسلام ص ٢٠٧ من كتاب فضل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٣ - قال: باب تفسير الإسلام.. ثم استدل بقوله تعالى:

« فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهَ اللَّهِ وَمِنْ أَتْبَعِنِ » (١٧٩)

فدلت الآية على أن الإسلام معناه..

الاستسلام والانقياد كما قال تعالى:

«بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» (١٨٠)

(١٧٦) ال عمران ٨٥ .

(١٧٧) راجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشيخ ص ٢٠٦ .

(١٧٨) رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الاقضية حديث رقم ١٧١٨ ج٣/١٢٤٣، ورواه البخارى في كتاب الاعتصام معلقاً حديث ٢٠ ج١٣/٣١٧ .

(١٧٩) ال عمران ٢٠ .

(١٨٠) البقرة ١١٢ .

ومن السنة من حديث عمر رضى الله عنه أن السائل قال للرسول:
ما الإسلام: فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،
وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

ففسر الإسلام بهذه الأعمال، وهكذا إذا قرأ المنصف هذا المؤلف - أعنى فضل
الإسلام - وجد وضوح الاستدلال ومطابقتها للترجمة وأن استدلاله بالكتاب والسنة.

الفصل السابع

فيما ألفه في أصول الإيمان

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله «أصول الإيمان»، عنون لكل أصل واستدل عليه، وهاك نموذجاً من استدلالاته على تراجمه وعناوينه، وإن أردت المزيد فراجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١ - قال رحمه الله: باب معرفة الله والإيمان به، ثم ساق حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم، وفيه أن الله يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» (١٨١).

فمن عرف الله حق المعرفة وأمن به أخلص في عبادته، ولم يشرك معه غيره، وعلى هذا فاستدلال الشيخ بالحديث واضح، وهكذا استمر في سرد الأدلة على وجوب معرفة الله والإيمان به، راجع قسم العقائد من مؤلفاته ص ٢٢٩.

٢ - قال: باب الإيمان بالقدر، ثم استدل بجملة آيات منها:

«وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا» (١٨٢)

فإذا كان مقضياً وجب الإيمان به، كما قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» (١٨٣).

والأدلة على هذا المعنى - أي الإيمان بالقدر كثيرة - ساق الشيخ منها جملة

(١٨١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق حديث رقم ٢٩٨٥ ج٤/٢٢٨٩.

(١٨٢) الأحزاب آية ٣٨.

(١٨٣) الأنبياء آية ١٠١.

يستنير بها العاقل المنصف ويقوى بها إيمان المؤمن، ويعرف من خلالها أن عدم الإيمان بالقدر مخل في أصول الإيمان، بل ومناف له.

٣ - الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان كما ترجم الشيخ لذلك ص ٢٤٨ من القسم الأول «العقائد» من مؤلفات الشيخ، استدل رحمه الله بقوله تعالى:

«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» (١٨٤).

والاستدلال من الآية واضح على وجود ملائكة ، والإيمان بهم إذ لو لم يوجدوا لما وجب الإيمان بهم.

٤ - من أصول الإيمان «الإيمان بالقرآن وسائر الكتب المنزلة» ولما كان الأخذ بالقرآن واجباً، عنون الشيخ بهذا العنوان «باب الوصية بكتاب الله» لأنه المهيم على الكتب السابقة، فهي وإن وجب الإيمان بها فالعمل بالقرآن لهيمنته عليها.

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى:

«اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ ؕ أُولَٰئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (١٨٥).

ووجه الاستدلال واضح حيث أمر باتباع الكتاب، والأمر للوجوب ونهى عن اتباع غيره، والنهى للتحريم.

وهكذا كلما استمر القارى مع هذا المؤلف للشيخ - أعنى - أصول الإيمان - وجد الأدلة مطابقة للتراجم، وهى من الكتاب والسنة فلا حجة لمن أنكر اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

(١٨٤) البقرة آية ١٧٧ .

(١٨٥) الأعراف آية ٣ .

الفصل الثامن

وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم

واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم، واستدل الشيخ رحمه الله على ذلك بعدة أدلة منها:
ما يدل على طاعته بأسلوب الأمر، ومنها أن جعل طاعته سبباً للرحمة، أما الأولى فقولته تعالى:

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١٨٦).

وأما الثانى ففى قوله تعالى:

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (١٨٧).

واستدل أيضاً بقوله تعالى:

«وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١٨٨).

١٨٨) الخسراية ٧.

١٨٧) النوراية ٥٦.

١٨٦) النساء اية ٥٩.

فمن حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بما جاء في هذه الآيات، وكما في الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به».

فجعل من حقه الإيمان بما جاء به، وهذا أكبر دليل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع

في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان لزوم السنة والترغيب في ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك، كما ترجم الشيخ بهذا اللفظ، ثم استدل بأدلة واضحة على ما ترجم له، منها قوله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (١٨٩).

وحديث العرياض بن سارية قال:

«وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وفيه وإياكم
ومحدثات الأمور».

راجع أصول الإيمان - القسم الأول من مؤلفات الشيخ طبعة الجامعة ص ٢٦٢ .

(١٨٩) الأحزاب آية ٢١ .

الفصل العاشر

في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك

قال رحمه الله: باب في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار المرتدين والمنافقين، قول الله تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ»^(١٩٠)

وقوله تعالى:

«يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ»^(١٩١).

وساق رحمه الله نصوصاً كثيرة في هذا الموضوع، واستدلالاته من هاتين الآيتين واضح في اعتياده على الأدلة.

(١٩٠) النساء آية ١٤٠.

(١٩١) المتحنة آية ١.

الفصل الحادى عشر

من كتابه «مسائل الجاهلية»

ومن تأليفاته رحمه الله «مسائل الجاهلية» التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأمينين، عما لا غنى للمسلم عن معرفتها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء. فأهم ما فيها وأشدّها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن أضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية، لحقت الخسارة، كما قال تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (١٩٢).

وننقل لك أيها القارىء نموذجاً من هذه المسائل لتتأكد من اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة فى جميع مؤلفاته:

المسألة الأولى: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادتهم لهم، يريدون بها شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالى:

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ» (١٩٣).

(١٩٢) العنكبوت آية ٥٣ .

(١٩٣) يونس آية (١٨) .

وقال تعالى:

«وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ ءَأُولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ» (١٩٤)

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. وهذه المسألة تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندنا وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى:

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (١٩٥).

المسألة الثانية: أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى:

«كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (١٩٦).

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولى الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة.

فخالفهم رسول الله وأمر بالصبر على جور الولاية، وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد.

وهذه الثلاث جمع بينها الرسول في الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً:

(١٩٤) سورة الزمراية ٣.

(١٩٥) سورة البقرة آية ١٩٣.

(١٩٦) الروم آية ٣٢.

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» (١٩٧).

ولم يقع خلل في دين الناس وديناهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها، فهذه المسائل الثلاث من مائة وثمان وعشرين مسألة كلها على هذا النمط من حيث الاستدلال بالكتاب والسنة.

(١٩٧) أخرجه مسلم في كتاب الأفضية حديث رقم ١٧١٥ ج٣/١٣٤٠ وليس فيه (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). وأخرجه مالك في الموطأ بهذا اللفظ في كتاب الكلام حديث ٢٠ ج٢/٩٩٠.

الفصل الثاني عشر

سته موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ستة موضوعات من السيرة كلها باستناد من الكتاب والسنة، وأنقل لك موضوعاً من هذه الموضوعات «قال رحمه الله - الموضوع الثاني - أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده وهو التوحيد، لم يكرهوا ذلك، واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلا أنه لما صرح بنبذ دينهم، وتجهيل علمائهم، حينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا:

سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وسب أهتنا، ومعلوم أن الرسول لم يسب عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين، ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضررون. جعلوا ذلك سباً وشتماً - فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٩٨).

الفصل الثالث عشر

من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعمامة على طريقة السؤال والجواب

ومن مؤلفاته رحمه الله (تلقين) أصول العقيدة للعمامة على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعنى، وهذه الرسالة توجد في المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ التي طبعتها الجامعة ص ٣٧٠، وهي رسالة عظيمة وقواعد ثابتة لا مدخل للتقليد ولا للاجتهاد، بل كل سؤال وجواب مصحوب بالاستدلال، وهاك نموذجاً منها:

المثال الأول: أولاً قال رحمه الله (إذا قيل لك من ربك؟ فقل ربي الله، فإذا قيل لك: ما أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض، فإذا قيل بماذا تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، وإذا قيل لك ما أعظم ما في آياته؟ فقل: الليل والنهار، والدليل على ذلك...

«إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (١٩٩).

المثال الثاني: فإذا قيل لك: لأي شيء خلقك؟ فقل: لعبادته، فإذا قيل لك ما الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٢٠٠).

(٢٠٠) الذاريات آية ٥٦ .

(١٩٩) الأعراف آية ٥٤ .

المثال الثالث: وإذا قيل لك: أى شئ فرض أولاً عليك؟ فقل: كفر بالطاغوت وإيمان بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ^ط فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٢٠١).

وهكذا استوفى الشيخ رحمه الله الأصول الثلاثة وهي: معرفة الرب - ومعرفة الإسلام - ومعرفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بهذه الطريقة وبطريقة السؤال والجواب، وبعد قراءتها يتضح لنا أن الشيخ بين دعوته وفقهها للخاص والعام، وأنها قائمة على الكتاب والسنة.

الفصل الرابع عشر

في معنى الطاغوت

وقال رحمه الله: (معنى الطاغوت وراءوس أنواعه).
اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (٢٠٢)

ثم استمر رحمه الله يشرح معنى الكفر بالطاغوت - ومعنى الطاغوت - والدليل على كل معنى، ومن شك في هذا الاستدلال فليراجع ص ٣٧٦ من قسم العقيدة من مؤلفاته. ومؤلفاته ورسائله كثيرة جداً ومصحوبة بالأدلة، ولعلنا نكتفى منها بهذا المقدار، وجزى الله من تسبب في جمعها وطبعها خير الجزاء.

الفصل الخامس عشر

في كتابه «الكبائر»

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ما أسماه «بالكبائر»، وشمل بذلك كبائر القلوب واللسان والأعمال، فنص على كل كبيرة بعنوانها ودليلها، والمراد بها عند جمهور العلماء ما تنقص الإيمان ولا تخرج منه، وفي الآخرة تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها في النار، وإليك الأمثلة من هذه الكبائر لتعرف أن الشيخ رحمه الله يعتمد في مؤلفاته على الكتاب والسنة.

المثال الأول: استدل على وجود الكبائر وأنها غير الشرك والكفر بقوله تعالى:

«الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» (٢٠٣).

وقوله تعالى:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» (٢٠٤)

فدلت هاتان الآيتان على أن في الذنوب كبائر غير الشرك، لأن الشرك لا يغفر لصاحبه إن مات عليه.

المثال الثاني: كبائر الأعمال - قال الشيخ - باب أكبر الكبائر - ثم استدل بحديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (٢٠٥) ودلالة هذا الحديث واضحة على ما عنون له الشيخ وهو أكبر الكبائر.

(٢٠٤) النساء ٣١

(٢٠٣) النجم ٣٢

(٢٠٥) رواه البخارى في كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٤ ج٥/٢٦١، ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٨٧

ج١/٩١.

المثال الثالث: على كبائر القلب، واستدل رحمه الله بحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٢٠٦) وحديث النعمان بن بشير «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (٢٠٧).

فدل هذان الحديثان على أن القلب أساس الأعمال والأقوال وأنه مبنى على المؤاخظة والمجازاة.

وهكذا استمر الشيخ في بيان الكبائر وجمعها، وإن دل هذا فإنما يؤكد على أنه كاشف وموضح ما جاء في الكتاب والسنة (٢٠٨).

(٢٠٦) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث [٢٥٦٤]، واحد في المسند ٢/٢٨٥
(٢٠٧) رواه البخارى في كتاب الايمان حديث رقم [٥٢] ١/١٢٦
(٢٠٨) راجع كتاب الكبائر - المجلد الأول في العقائد والآداب والأخلاق من مؤلفات الشيخ

الباب الرابع

في مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد وفيه تمهيد وعشرون فصلاً

التمهيد:

الغرض من هذا الباب ما يأتي:

- ١ - لفت نظر المسلم إلى فقه هذا الإمام في العقيدة والفروع.
 - ٢ - إيقاف القارىء على بعض مؤلفاته في غير العقيدة ليتضح له صلتها بالكتاب والسنة .
 - ٣ - الإشارة إلى الفنون الشرعية التي خاض فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن كل فن قد ألبسه حليته من الكتاب والسنة أو ما هو مستمد منها.
-

الفصل الأول

في مؤلفات الشيخ في الحديث

لقد اعتنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجمع الأحاديث وتبويبها في موضوعات شتى، منها ما هو عام كنصيحة المسلمين وبيان فضل الإسلام، ومنها ما هو خاص في العقائد كأصول الإيمان، أو خاص بالكبائر لاسيما الكبائر التي هي من أعمال القلوب، وقد تقدم الإشارة إلى هذه المؤلفات في هذه الفنون في الباب الثالث، ومنها ما هو خاص في الأحكام ومنها ما هو خاص في الفتن والحوادث.

واشتدت عناية الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجمع أحاديث الأحكام على أبواب الفقه كما سبقه غيره من الأئمة، وهذا دليل واضح على أن الفقه لا يستغنى عن الحديث. فسار على أبواب الفقه، وجمع في كل باب من أبوابه جملة أحاديث من الأحكام.

والهدف من كتابة هذا إيضاح عناية الشيخ بالكتاب والسنة عقيدة وفقها، فبدأ بكتاب الطهارة إلى آخر موضوعات الفقه مما يتعلق بالقضاء وسائل الإثبات، ثم ختم ما جمعه من أحاديث الأحكام بمجموعة أحاديث في الطب، وهذا المجموع في أحاديث الأحكام كان مخطوطاً، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربع مجلدات، بلغ مجموع الأحاديث (٤٥٥١) أربعة آلاف وخمسمائة وواحد وخمسين حديثاً. فاستوفى جميع أبواب الفقه على ترتيب الفقهاء في العبادات والمعاملات.

وإليك يا أخى القارىء أمثلة توضح طريقة الشيخ في جمع أحاديث الأحكام مما يبرهن اعتماد فقهه دائماً في العبادات والمعاملات على السنة.

أولاً: ذكر في الطهارة في باب المياه جملة أحاديث دلت على ما ينجس به الماء الطاهر وطهارة البحر، وأن الماء المستعمل لا ينجس، والنهي عن تنجيس الماء الراكد أو تقذيره حسب القلة أو الكثرة، وحكم استعمال الرجل لفضلة المرأة، وغسل اليدين بعد نوم الليل

قبل غمسها في الإناء، وجواز الوضوء من ماء زمزم، واستعمال الماء الحار.
وهذه الأحكام الفقهية كثيراً ما يذكرها الفقهاء عارية عن الدليل، ومنهم من يذكرها
ثم يذكر الدليل، فالشيخ عمد إلى أدلة الفقهاء فجمعها في هذا الباب، ثم استوعب جميع
أبواب الطهارة سالكاً هذه الطريقة وهي باب الآنية، باب التخلي، باب السواك، باب
الوضوء، باب المسح على الخفين، باب نواقض الوضوء، باب التيمم، باب إزالة النجاسة،
وباب الحيض.

فهل ترى تصويب من رماه بالتعصب وهو على هذه الطريقة، إن المتعصب هو الذي
يأخذ أقوال الإمام بغض النظر عن الدليل.

وهذا أبعد ما يكون عن إمامنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثانياً: وذكر في الصلاة الأدلة على وجوبها وفرضيتها، ومتى فرضت، وأنه لا يتم
الإسلام إلا بإقامتها.

وذكر أن من صلى عصم دمه وماله ظاهراً وأن الباطن إلى الله، وذكر ما يدل على حكم
تاركها وأنه كفر، واستدل على أهميتها وأنها أول ما يحاسب عنها يوم القيامة، واستدل
الشيخ على ما يسقط وجوب الصلاة أو يسقط صحتها، كما استدل على وقت ابتداء الأمر
بالصلاة مما يدل على أنها أكد الأعمال في الإسلام وأهمها.

واستدل على حكم من فوت وقت الصلاة بعذر أو بغير عذر، ومتى تقضى ومتى لا
تقضى.

فما أعظمه من فقه.

كما استمر في سائر موضوعات الصلاة على أبواب الفقه، وأذكر لك عناوين
الموضوعات التي ذكرها واستدل عليها وهي عناوين الفقهاء.

باب الآذان، باب المواقيت، باب ستر العورة، باب اجتناب النجاسة، باب استقبال
القبلة، باب النية، باب صفة الصلاة، وباب سجود السهو.

الفصل الثانى

فى فضائل الأعمال

مما يدل على فقه هذا الإمام أنه ذكر جملة أحاديث بلغت (٢٩) تسعة وعشرون حديثاً فى فضائل الأعمال، وجعل موضعها بعد ذكر حكم الصلاة وما يشترط لها، وصفتها وسجود السهولها، وصنيعه هذا لم يسبقه أحد ممن اطلعت على مؤلفاتهم فى جميع أحاديث الأحكام.

وأشار فى هذا الباب إلى ما يتصل بفضل أركان الإسلام والإيمان بالله وما يتصل بالملوقين، وما يتصل بالأموال، وما فعله فضيل، وما تركه فضيل، وما يؤجر به على نيته إذا فاته عمله.

ففقه إمامنا فى هذا الموضوع مما يدل على الرغبة الأكيدة والفقه العميق، وذلك لما يأتى:

- ١ - اختياره للأحاديث الصحيحة والمحتج بها.
- ٢ - إيمانه الواضح بوعد الله ووعد رسوله.
- ٣ - انه أراد بذلك أن يرغب المسلم فى الأعمال الصالحة بحيث أنه لا يعملها لمجرد أنها لازمة فقط ، فاللازم لا محيد عنه، ولكن من قام بهارغبة فى الثواب المرتب عليها، نال رضى الله وأدى الواجب، وتحصل على الثواب، وسلم من العقاب.
- ٤ - مما يدل على فقه الشيخ فى هذا الباب شمول هذه الأحاديث التى ساقها لشتى مجالات الأعمال فعلاً وكفاً، حقاً للخالق أو للمخلوق أو للنفس.

«انظر المجلد الأول فى الحديث صفحة ٥٥٣»

الفصل الثالث

في صلاة التطوع

- ومن فقه هذا الإمام أن جمع أحاديث في الصلاة غير المفروضة يبلغ عددها (٦٨) ثمانية وستون حديثاً اشتملت على النقاط التالية:-
- ١ - ما تأكد التطوع به من الصلوات، كرواتب الفرائض والوتر.
 - ٢ - ما هو مستحب في بعض الأوقات كصلاة الضحى والتنفل قبل العصر وصلاة الليل.
 - ٣ - بيان أوقات المؤكد من صلوات التطوع.
 - ٤ - بيان ما استحبت قراءته في بعض صلوات التطوع.
 - ٥ - صفة التنفل المطلق في الليل أو النهار.
 - ٦ - بيان فضل التراويح في رمضان، وفضل الاجتماع فيها، وعدد ركعاتها، ومن أول من جمع الناس على إمام واحد لها.. وغير ذلك.
- وهذه وتلك مما يدل على فقه هذا الإمام .
- «راجع المجلد الأول في الحديث صفحة ٥٦٨»

الفصل الرابع

في فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قراءة القرآن

وبعد أن ساق شيخنا محمد بن عبد الوهاب أحاديث الأحكام في صلاة التطوع، أعقبه بمجموعة أحاديث تتضمن الفقه في قراءة القرآن، منها ما يدل على جواز القراءة مع ملامسة الحائض، ومنها ما يدل على ترتيل القرآن وكراهية الهذله كهذ الشعر وأنه لا ينفع إلا إذا رسخ في القلب، ومنها ما يدل على التسبيح في القرآن فيسبح عند آية التسبيح ويتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل الله من فضله عند آية الوعد، ومنها أن قارئ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ومنها ما يدل على فضل القراءة ومقدار هذا الفضل، ومنها ما يدل على فضل سماع القرآن من غيره، ومنها ما يدل على كراهية التطريب للقرآن، ومنها ما يبين كيفية القراءة جهراً وإخفاءً ونطقاً وتكراراً عندما تقتضى الحال ذلك.

كما ردد صلى الله عليه وسلم قوله: «إن تعذبهم فإنهم عبادك» حتى أصبح. وذكر المؤلف أثراً تدل على قراءة الناس بصوت واحد، ونهى من نسي شيئاً من القرآن لا يقول نسيته بل يقول أنسيته.

ومنها ما يدل على تحريم القول في القرآن بغير علم، وأنه لا يقرب بعضه لبعض. وأن ما علم منه يقال وما جهل فيرد إلى عالمه.

ومنها ما يدل على عدم الغلو في القرآن وعدم جفوته وعدم التآكل به والاستكثار به، ومنها ما يدل على توقيت لقراءة القرآن كله بحيث يفهم من هذا التوقيت عدم الغلو وعدم الجفوة.

ومن آداب قراءة القرآن عدم الإحداث والتشاؤب وهو يقرأ، واستدل الشيخ على ذلك من السنة.

ومن فقه هذا الباب أن ذكر شيخنا أنه يكره تأول شيء من القرآن بأمر من أمور الدنيا.

ومن فقهه أيضاً التأدب بطريقة السؤال عن الآية بحيث يقرأ السائل الآية ويقف عند ما أشكل عليه ولا يقل هل هذه الآية كذا وكذا فإنه يلبس على المستول.

فما أعظمها من دلالة على فقه شيخنا لهذه الأحاديث.

وساق شيخنا آثاراً تدل على فضل ختم القرآن والدعاء عند ختمه.

ولسجود التلاوة وسجود الشكر فقه وآداب، ذكر عليها المؤلف جملة من الأحاديث كبيان مواضع سجود التلاوة في القرآن، وسجود القارىء والسامع والمصلى وغير المصلى وأن غير القاصد للاستماع لا يسجد، وأن سجود التلاوة ليس بلازم، وأنه يقوم ثم يخّر ساجداً.

والدعاء أثناء سجود التلاوة، وأنهم إذا كانوا جماعة فالقارىء هو الإمام وأن حكمها حكم النفل في السفر، ومن هذه الآثار ما يدل على أنها ليست صلاة.

وبين سجود الشكر متى يكون وما يدل على مشروعيته.

ثم بين شيخنا أوقات النهى عن الصلاة وما يكره فيه دفن الموتى.

فمثل هذه الأحاديث في هذه الموضوعات يعز على غير الفقيه جمعها، ثم استمر الشيخ يجمع أحاديث صلاة الجماعة والإمامة وأهل الأعدار، والخوف، والجمعة، والعيد، والكسوف، والاستسقاء، وصلاة الجنائز.

ولم أتعرض لفقه هذه الأبواب كبعض الأبواب السابقة في الطهارة وأول الصلاة مثل ما عرضت فقه فضل الأعمال، وصلاة التطوع وقرآءة القرآن، لكون منهجه في هذه الأبواب الأخيرة فيه شئ من المغايرة عن منهج الفقهاء.

الفصل الخامس

في الزكاة

لما أنهى الشيخ جمعه لأحاديث الأحكام والصلاة في الجملة، شرع يجمع أحاديث أحكام الزكاة على منهج الفقهاء، ولم يكديهم مسألة من مسائل الفقهاء إلا ذكر دليلها. وعناوين الأبواب توضح لك هذا المنهج، ويتضح لك أكثر حيناً تقرأ الأحاديث تحت هذه العناوين، وهي كالتالي:-

- ١ - ابتدأ بما يدل على وجوب الزكاة.
- ٢ - زكاة بهيمة الأنعام، وهي أحد الأموال الزكوية، ثم فصل في بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.
- ٣ - زكاة الخارج من الأرض.
- ٤ - زكاة الأثمان.
- ٥ - زكاة العروض.
- ٦ - زكاة الفطر.
- ٧ - باب الصدقة.

الفصل السادس

في بر الوالدين وصلة الأرحام

مما غاير به الشيخ محمد بن عبد الوهاب سائر العلماء الذين جمعوا أحاديث الأحكام أنه يذكر بعض الموضوعات عقب ما يناسبها من أركان الإسلام، فمثلاً فضائل الأعمال وقراءة القرآن ذكرهما في الصلاة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ذكرهما عقب الزكاة، لأن البر والصلة غالباً ما تكون في الأموال.

فناسب ذكر ذلك تلو هذه العبادة المالية وهي الزكاة.

وهذا فقه في محله ودلالة واضحة على عنايته بالنصوص سواء فيما يتصل بحق الله أو ما يتصل بحق المخلوقين.

والمنصف يراجع هذا المؤلف للشيخ يجد هذا الفقه واضحاً من خلال جمع هذه الأحاديث.

الفصل السابع

في الصيام

ومن فقه إمامنا أنه جمع أحاديث أحكام الصيام تحت عناوين أبواب الفقه، وسلك منهجاً لم يسلكه من اطّلت عليه من مؤلفي أحاديث الأحكام، حيث صدر كتاب الصيام بذكر شيء من فضائله وخصائصه، وخصائص شهر رمضان. وإذا استقرأت هذا المؤلف بعين البصيرة وطلباً للحقيقة، وجدت العناية الشديدة بأحاديث الأحكام التي يستدل بها الفقهاء. وعناية الشيخ بجمعها أكبر دليل على حبه للسنّة، فهل يرمى بالتعصب بعد ذلك؟!

الفصل الثامن

في المناسك (أى فى الحج والعمرة)

منهج شيخنا فى جمع الأحاديث المتعلقة بالحج والعمرة كالآتى :-

- ١ - جاء بما يفيد فضل الحج والعمرة .
- ٢ - جاء بما يدل على الوجوب .
- ٣ - جاء بما يدل على اكتفاء النساء بحجة الفرض .
- ٤ - جاء بما يدل على جواز الحج عن الغير إذا عجز .
- ٥ - جاء بما يدل على صحة الحج من الصغير وثواب من قام بمساعدته .
- ٦ - جاء بما يشير إلى أن الرقيق لا يميزه حجه عن حجة الإسلام بل يحج إذا أعتق .
- ٧ - جاء بما يدل على شرط وجوب الحج وهو استطاعة السبيل وبيان المراد به .
- ٨ - جاء بما يدل على فضل العمرة فى رمضان، وعدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٩ - جاء بما يدل على اشتراط المحرم لوجوب الحج على المرأة .
- ١٠ - جاء بما يدل على المبادرة بأداء فريضة الحج .
- ١١ - جاء بما يدل على رمى الجمرات عن الصبيان .
- ١٢ - جاء بما يدل على تجريد الصبى من المخيط إذا حج به وليه، وأنه يطوف به محمولاً إذا لم يقدر على المشى .
- ١٣ - جاء بما يدل على أن المسلم يحج عن نفسه أولاً ثم عن غيره ثانياً .
- ١٤ - جاء بما يدل على صحة حج المكارى، وبما يدل عليه من القرآن والسنة، وهو قوله

تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » (البقرة ١٩٨)

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلاها أو قرأها على السائل.

١٥ - جاء بما يدل على الاكتفاء بحجة الإسلام عن النذر عن من نذر أن يحج .
١٦ - جاء بما يدل على عدم دخول ديار المعذنين الذين ظلموا أنفسهم مخافة أن يصيبهم ما أصابهم إلا أن يكونوا باكين.
[ولعل مناسبة هذا الموضوع للحج للتنبيه على الحجاج، حيث أنهم قد يروا بديار الذين ظلموا أنفسهم فعذبوا] .

١٧ - جاء بما يدل على حمل الزاد في الحج وأنه لا يكفى التوكل - كما صنع أهل اليمن، فإذا وصلوا مكة أخذوا بسؤال الناس، فنزل قوله تعالى:

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ »
ج

(البقرة ١٩٧)

١٨ - جاء بما يدل على الاقتصاد في راحلة الحج وأثائه وأنه لا يدل على الشح وإنما يدل على التواضع، وعدم المباهاة في الحج وأن يتخذه نزهة وترفهاً.

١٩ - جاء بما يبين أشهر الحج، ويوم الحج الأكبر، وأن الإحرام قبل أشهر الحج ليس من السنة، وكذلك بين كراهية الإحرام قبل المواقيت المكانية.

٢٠ - جاء بما يدل على المواقيت المكانية.

٢١ - جاء بما يدل على سنية الاغتسال عند الإحرام.

ثم استمر شيخنا يجمع الأحاديث في أحكام الحج كمنهج من سبقه من الذين جمعوا أحاديث الحج.

ولقد أشرت إلى موضوعات الباب الأول لكونه منهج شيخنا اختلف عن غيره وعن منهج الفقه، حيث ذكر موضوعات في الباب الأول لم يتطرق إليها بعض الفقهاء ولا بعض من جمع أحاديث الأحكام.

الفصل التاسع

في الحج والعمرة

استوفى شيخنا جميع الموضوعات المتعلقة بالحج من حيث الإحرام ومحظوراته وما يتصل بالحرم والمدينة وما يزار فيها، وحينما ينظر المنصف إلى الأحاديث والآثار التي جمعها الإمام محمد بن عبد الوهاب فإنه يكاد يحكم أن شيخنا لم يقلت حكماً فقهياً إلا وأورد له دليلاً من حديث أو أثر.

وهذا بلا شك يدل على عنايته بالأدلة وسعة فقهه وبعد نظره. ورحمة الله عليه وسائر المسلمين ونفعنا الله بعلومهم.

ثم بوب الشيخ لدخول مكة كغيره، ولكنه تتبع أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته، فذكر ما يدل على سنية الاغتسال عند الدخول، ومن أين وصل، وأين أناخ راحلته، وبأى شئ بدأ في مكة وهو الطواف، وذكر ما يدل على صفة وعدد أشواطه وتقبييل الحجر أو استلامه، وما يدل على الطواف وجوازه، وبيان ما يستلم من الكعبة، وما يدل على فضل الحجر الأسود.

واستمر شيخنا في جمع أدلة صفة الحج منذ دخل الرسول مكة حتى آخر خطبه في أيام

منى.

تضمنت هذه الأدلة جميع ما حصل من عمرة وحج وقتع وقران وحل الإحرام بعد العمرة، والإحرام من مكة لمن حل وإقامته بمكة حتى اليوم الثامن الذي سار فيه إلى منى، وإقامته بمنى حتى سار إلى عرفة، ثم استدل على كل ما حصل بعرفة، وانصرافه منها، وصفة سيره أثناء الانصراف، وميئته بمزدلفة وإفاضته إلى منى.

واستدل على كل ما حصل في يوم النحر، وفي أيام منى.

وحقاً إن هذه الأحاديث التي جمعها الشيخ مستوفية لأحكام الحج. وهذا مما يدل على فقه الشيخ رحمه الله.

الفصل العاشر

في الهدى والأضاحى والعقيقة

كل باب جمع فيه شيخنا أحاديث أحكامه يكاد القارىء أن يستوفى مسائل الفقه فيه، لاستقصائه أحاديثه وآثاره وتطرقة لحكاية الإجماع عن ابن المنذر أحياناً. وهذا الصنيع يدرك المنصف أنه لا يصدر إلا من فقيه بدأ بالأضاحى من رقم ٥٤٠ إلى ٦٤٦ من آخر العقيقة.

جاء بالأدلة على مشروعية الهدى، وصفته، وأسعاره، ونوعيته. وصفة نحره وذبحه وتوزيعه، وبيان وقته، وكذا الأضحية استوفى فقهها في الأحاديث والآثار ثم العقيقة، وكذلك بيان ما يستحب من الأساء وما يكره. وما يستحب لغيره، وما غيره الرسول عليه الصلاة والسلام.. لا يكاد القارىء يفقد حكماً فقهياً في هذه الأبواب المفصلة بالذباتح، ومن أحب التأكد فليراجعه في مجموعة هذه الأحاديث التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفصل الحادى عشر

فى الجهاد

مما يدل على فقه الشيخ سياقه أدلة الجهاد فى شتى أحكامه، فذكر فضله ومتى استحب الجهاد، وتفضيل بر الوالدين على جهاد التطوع، وعناية الإمام بالجيش عند تجهيزه، وحكم الإغارة على العدو وهو غافل، وبيان وقت ابتداء القتال، وحكم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وحكم نصيحة الأمير للرعية، وبيان أين يمشى الأمير من الجيش، وحكم الاستعانة بالمشرك.

وذكر وصية الإمام لرعيته، كوصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان، وهى عشر أولها حكم المبارزة.

وبين معنى قوله تعالى:

« وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ »^ط

وبين حكم قطع النخيل والتحريق بالنار. وهكذا استمر شيخنا فى سياق أدلة أحكام الجهاد حينما ذكر باب الجزية والهدنة، وأحكام الذمة. ولم يترك شيئاً مما ذكره الفقهاء إلا وجاء بدليله من السنة النبوية. وبهذا تمت العبادات وعدد ما ذكر فيها من الأحاديث (٣٢٤٠) ثلاثة آلاف ومائتين وأربعين حديثاً كلها تدل على أحكام فقهية. فلا دلالة أكبر من هذا على فقهه.

الفصل الثاني عشر

في البيوع

ولما انتهى شيخنا من جمع أحاديث أحكام العبادات: شرع في أدلة أحكام المعاملات وصدرها بالبيع، وهو عبارة عن طريق من طرق كسب الرجل عملاً كان أو مبيعاً، ثم نوع أدلة أعمال اليد فذكر دليل تأجير النفس، والوظيفة لعمل المسلمين، والأكل من كسب الولد، ثم استدل على فضل التجارة وفضل الصدق فيها، والأدلة على أسباب محق البركة. منها كثرة الحلف، وذكر الأدلة على أفضل الأمكنة وهي المساجد، وما يدل على ذم الأسواق والاستعداد لدخولها والتحذير بما يحدث فيها، وأن التجارة لا بأس بها في البحر، حيث أن ركوبه لغير مصلحة منهي عنه.

وجاء بما يدل على أفضلية أوقات البيع والشراء، وما يدل على السماحة في البيع والشراء، وما يدل على الحلال الواضح والحرام الواضح، ليفعل هذا ويحتمل هذا، وأن الأفضل اجتناب الشبهة، ومخافة الوقوع في الحرام، وبعض هذه النقاط التي تقدمت معظمها لم يشر إليها أكثر مؤلفي الفقه.

وشيخنا قدمها على أدلة أحكام البيع مما يحرم ويجوز لأهميتها .
ثم استمر يسرد أدلة البيوع المحرمة ، ثم استوفى موضوعات أبواب الفقه .
وهكذا استمر يذكر أدلة الأحكام الفقهية في الوقف، والوصايا، والنكاح والطلاق وما يتعلق بهما، والنفقات، والجنايات، والحدود، والقضاء وما يتعلق به.
ثم ختم كتابه بأحاديث تتعلق بالطب.

والمقصود أن مجموعة هذه الأحاديث مستوفية لأدلة أحكام الفقه، ثم أن طباعة هذه المجموعة حظيت بتخريج الأحاديث والآثار وشرح الكلمات الغريبة، وكل موضوع فيه يدل على فقه شيخنا ومحبه للدليل ورغبته فيه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

الفصل الثالث عشر

من مؤلفات الشيخ

ومن مؤلفات الشيخ في الحديث «أحاديث الفتن والحوادث» صدرها بالأحاديث التي تحث على المبادرة إلى أداء الأعمال الصالحة، ثم استمر في ذكر ما سيقع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الفتن وأشراط الساعة وأخبارها بما يتصل بالدجال وعيسى عليه السلام والدابة وغير ذلك.

جمع في هذه المعانى مائتى حديث، طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحظيت بالتخريج والتعليق والدلالة الواضحة للقارىء بأنها مأخوذة من الصحاح والسنن والمسانيد، وكل ذلك يوضح لنا اعتماد شيخنا بفقهاء على الكتاب والسنة، والعناية بها، فجزاه الله خيراً، وجزى القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خير الجزاء، وأثابهم على جمعهم لمؤلفات الشيخ، وطبع ما لم يكن مطبوعاً، ووفق الله دولتنا إذ وافقت على ذلك.

الفصل الرابع عشر

في رسائل الشيخ الشخصية

ويمكن للقارى المنصف الاطلاع على رسائل هذا الإمام، ليتضح له محبته للدليل وإنكاره على من استشهد بالموضوعات أو الضعيف الذى لا أصل له، وإليك أذى القارى نموذجاً من أجوبته في الرسائل الشخصية، لعله يدعوك إلى قراءتها كى تتأكد من الحقيقة، ولا سيما لما تيسرت بسبب جمع الجامعة لها وطبعها؛ قال في صفحة ١٨ من مجلد الرسائل الشخصية في الرسالة الثانية:

«جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو من الصين» فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت وروى، أو ذكر فلان، أو ذكر في الكتاب الفلانى لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التى لم تصح فلا يجوز فتفتن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها).
فيا ترى من هذا كلامه يقلل اعتناؤه بالدليل ويذهب إلى التقليد.

الفصل الخامس عشر

في كتابة الشيخ بالسيرة النبوية

واختصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما كتبه قبله في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كابن هشام، واعتنى بالشيء الثابت الذي يعرفه القارىء من خلال هذا المختصر، ويلمح الطابع العام لمنهج محمد بن عبد الوهاب في محبته الدليل في أى مؤلف كان، وقد قدم لكتابه «مختصر السيرة» مقدمة عظيمة موجزة مفيدة يفهم منها الالتزام والتقيد بالشيء الصحيح والمحتج به.

وإليك يا أخى المسلم جزء من هذه المقدمة لعله يشوقك إلى قراءة هذا المختصر لتجد الأدلة الواضحة والساطعة على اعتماد الشيخ دائماً وفي جميع موضوعاته على الكتاب والسنة، حيث قال صفحة ٧، ٨:

(اعلم رحمك الله: أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك. الذى معرفته والعمل به. سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته. سبب لدخول النار. ومن أوضح ما يكون لذوى الفهم: قصص الأولين والآخرين: قصص من أطاع الله وما فعل بهم، وقصص من عصاه، وما فعل بهم.

فمن لم يفهم ذلك، ولم ينتفع به فلا حيلة فيه. كما قال تعالى:

«وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّجِيسٍ».

(ق ٣٦)

وقال بعض السلف: «القصص جنود الله» يعنى أن المعاند لا يقدر أن يردّها. فأول ذلك: ما قص الله سبحانه عن آدم، وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض. ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله. وأخر القصة قوله تعالى:

« قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. »

(البقرة ٣٨ - ٣٩)

وفي الآية الأخرى:

« فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا »

(طه ١٢٣ - ١٢٤)

الى قوله:

« وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ. »

(طه ١٢٧)

وهدهاء الذى وعدنا به: هو إرساله الرسل. وقد وفى بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

فأولهم: نوح. وآخرهم: نبينا صلى الله عليه وسلم.

فاحرص يا عبد الله على معرفة هذا الحبل، الذى بين الله وبين عباده، الذى من استمسك به سلم، ومن ضيعه عطب).

الفصل السادس عشر

في التفسير

ويتضح اجتهاد الشيخ في فتاواه لمن أمعن النظر فيها، وقوة فهمه لكتاب الله لمن قرأ الآيات التي فسرهما، وجمعت هذه التفاسير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورتبتها حسب السور، ولتيسر مؤلفات الشيخ بعد طبعها لم أنقل شيئاً من ذلك لعل المشكك في اجتهاد الشيخ ينهل بنفسه ليجد الماء الزلال.

الفصل السابع عشر

في كتابه زاد المعاد

إنه الاختصار الجميل، فيه الفائدة العظيمة لرءوس المسائل لمن قصرت همته عن قراءة أصل الكتاب، وفي هذا المختصر اتضح لنا ميول الشيخ إلى الدليل وترك أقوال المذهب المرجوحة، يظهر هذا جلياً في مسائل التيمم صفحتي ١٥، ١٦ حيث أثبت أن التيمم رافع لا مبيح، وأنه يكفي ضربة واحدة للوجه والكفين وعلى ظهر الأرض مطلقاً، أى أنه لا يشترط التراب الذي له غبار، وهذا ظاهر النصوص كما أشار إليه. فما أعظمه من منهج واضح، لاعتماد الشيخ في فقهه على الكتاب والسنة.

الفصل الثامن عشر

في مختصر الشرح الكبير والإنصاف

- وأما منهجه في مختصره لهذين الكتابين فهو يلمح منه النقاط التالية:-
- ١ - الأدب مع العلماء عند ذكر أقوالهم.
 - ٢ - حكاية الأقوال وبيان الوجهه.
 - ٣ - ذكر الدليل لما يرجحه.
- فأى دليل أعظم من هذا المنهج لمحبة الكتاب والسنة:

الفصل التاسع عشر

في مؤلفاته المبتدأة

أما مؤلفاته المبتدأة التي جمعها في القسم الثاني من الفقه في مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤلفات الشيخ تنبىء عن نفسها، ولانتشارها قديماً، ودراستها في أوساط الناس، وفي الدراسات النظامية، كشروط الصلاة، وآداب المشى إلى الصلاة، لم أذكر منها مثالا لاستدلاله على كل مسألة.

نعم اللهم إلا كتاب الطهارة فإنه لم يظهر إلا في مطبعة الجامعة.

والمؤلفات المبتدأة أشير إليها في هذا الكتاب، لعل القارىء يتشوق للإطلاع عليها في القسم الثاني من الفقه (قواعد تدور عليها الأحكام - مبحث الاجتهاد والخلاف - كتاب الطهارة - شروط الصلاة وأركانها وواجباتها - كتاب آداب المشى إلى الصلاة - كتاب الزكاة - كتاب الصيام - أحكام الصيام - أحكام تمنى الموت).

الفصل العشرون

في استنباطات الشيخ وتلخيصاته

وإذا أمعنت النظر في تجوال شيخنا في أنحاء العلوم، وجدت له الفكر الواسع والمدى الطويل، فتارة يؤلف، وتارة يختصر، وتارة يجمع، وتارة يلخص ويستنبط، كل هذا يحمل على القناعة باعتاده على الكتاب والسنة، وعلى فهمه وحسن فقهه، فهذه مسائل لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تلخيصاً مقتضباً وافية، أذكر لك مسألتين منها لتدعوك إلى الاطلاع عليها في ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (قوله في العزل «لا عليكم» ثم ذكر القدر: أن هذا لا حجة فيه على ترك السبب لأن الحمل يحصل مع العزل).

والمسألة الثانية (قوله):

«لأ يصيب المؤمن قضاء إلا كان خيراً له».

وردت عليه المعاصي فأجاب بأن المراد ما أصاب العبد لا ما فعله، وأنه يصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة).

وهل يحصل مثل هذا إلا من فاهم بالكتاب والسنة.

وكذلك اختصاره في تفسير سورة الأنفال، وذكره لبعض فوائد صلح الحديبية، وخطبه التي ملئت بالموعظة متضمنة الدليل واختتامها بقراءة آية.

خاتمة

فهل مثل هذا يصدر من غير عارف بالكتاب والسنة، بل لا يصدر إلا من عارف عامل، والذي عنده أدنى شك أو ريب، فليرجع إلى هذه المؤلفات التي طبعتها الجامعة فأوجدتها ويسرتها لكل طالب علم رائده الحقيقة، فلم يبق عذر لمن انطلت عليه وهميات ودعايات حاقدة، أو مقلدة تقليداً أعمى، أو كاذبة على هذا الشيخ الذي امتزج حب الكتاب والسنة بلحمه ودمه، وخلف أثره في مؤلفاته.

فنسأل الله أن ينفعنا بعلمه وسائر علماء المسلمين.. وهذا ما تيسر من الكتابة حول اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته على الكتاب والسنة، والذي سلكت فيه بيان شئ من القواعد التي سار عليها في الفروع، واكتفيت فيها عن التمثيل بالجزئيات من مؤلفاته الفقهية تلافياً للإطالة. وإنما استرسلت قليلاً في التمثيل من مؤلفاته في العقائد والأخلاق والآداب لكونها الأصل وأساس الدعوة، ومحط الأنظار، ولفت النظر في الباب الرابع إلى مؤلفاته ومصنفاته فيما عدا ذلك، معتذراً للقارىء عن قصور في التعبير، أو تقديم ما حقه التأخير، أو العكس أو تخريج بعض الأحاديث. وإمامنا غنى عن التعريف، فمؤلفاته واضحة تنبئ عن نفسها لاسيما وأن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جمعتها ورتبتها ونسقتها، لتيسر للقارىء الاطلاع على ما يريد من مؤلفات الشيخ في العقائد والأخلاق والآداب وأحاديث الأحكام، والفقه الذي اختصره أو ابتدأ تأليفه تسهيلاً وتيسيراً على القارىء، وما كتبه إسهاماً فيما عزم عليه جامعة الإمام محمد بن سعود على إقامة أسبوع عن الشيخ ودعوته.

والله ولى التوفيق.. وصلى الله على محمد..

خصائصُ التفكيرِ الفقهي عند
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تلككتور

عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أهمية الدعوة السلفية التي نهض بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والتي تركت أثراً فكرياً واضحاً في كثير من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر، استقطبت الباحثين ووجهت أنظار المفكرين، فاستقلت بدراسات موسعة وبحوث علمية مختلفة، والجانب العقدي منها والمتمثل في حياة الشيخ نفسه وإنتاجه العلمي فيها كان له منها النصيب الأوفى، وهذا عائد إلى طبيعة دعوته والأولية التي تصدى لها وركز عليها في دعوته، وهو تصحيح العقيدة الإسلامية لدى المسلمين. فبسلامتها يسلم للمرء كل شيء، وبفسادها يضيع كل شيء.

وإذا كان هذا هو الجانب الأهم في دعوته، فالجانب الثاني المهم هو تصحيح المسار الفقهي التشريعي بين المسلمين، والجوانب الإصلاحية التي نادى بها في هذا المجال، وخصائص تفكيره تجاه مسأله، وهذا لم يتجه إليه أكثر الباحثين، وهذه الدراسة تهتم بصورة خاصة بالخصائص الفكرية في اتجاهه الفقهي للتعرف على طبيعة دعوته واتجاهاته.

وهذه بمثابة مقدمة من شأنها أن تجلّي حقيقة هذه الدعوة في المجال الفقهي والتشريعي.

ويركز البحث هنا على :-

أولاً : الحالة الفقهية في العالم الإسلامي بعامته ونجد بخاصة .

ثانياً : الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية في الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ثالثاً : الخصائص والمميزات الفقهية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ويعتمد البحث في هذا الجانب منه على فحص وبحث التراث العلمي الذي ورثنا عنه بطريقة استقرائية واستنتاجية في نفس الوقت، مهتماً بالخصائص والموضوعات الرئيسية دون الوقوف لدى المسائل الجزئية إلا بالقدر الذي توضح فيه الفكرة الأساسية.

الحالة الفقهية في العالم الإسلامي بعامة ونجدبخاصة:

إن الباحثين في الفقه الإسلامي يختلفون في تسمية المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي تطوراً وركوداً، إلا أنهم يجمعون على أن الفقه الإسلامي دخل طور الشيخوخة وأهرم منذ القرن الخامس الهجري، حيث بدأ في التدهور والضعف والاعتماد الكلي على ما خلفه الفقهاء قبلهم من تراث فقهي وثروة علمية دون أن تكون لهم فيه مساهمة بزيادة أو تجديد .

يعنون العلامة محمد بن الحسن الحجري الثعالبي الفاسي هذه الفترة في تاريخ الفقه الإسلامي بقوله :

« القسم الرابع : في الطور الرابع للفقه وهو طور الشيخوخة والأهرم القريب من العدم » .

ثم يذكر الظواهر العلمية الفقهية والأسباب التي أدت إليها بقوله : « هذا الطور مبدأه من أول القرن الخامس الهجري إلى وقتنا هذا الذي هو القرن الرابع عشر ، وذلك أنه وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة وتم نضجه فزاد بعد حتى احترق وذهبت عينه ، ولم يبق إلا مرقه في القرن الخامس وما بعده إلى أن صار الآن أترأ بعد عين ، ذلك لأسباب منها :

قصور الهمم عن الاجتهاد الى الاقتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية والاختيار منها... ثم قصروا عن ذلك في هذه الأزمان واقتصروا على النقل عن تقدم فقط ، وانصرفت هممتهم بشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها، وفكرة الاختصار ثم التبارى فيه مع جميع الفروع الكثيرة في اللفظ القليل هو الذي أوجب الأهرم وأفسد الفقه بل العلوم كلها... إذ صاروا قراء كتب لا محصلي علوم، ثم في الأخير قصروا عن الشرح، واقتصروا على التحشية والقشور ومن اشتغل بالحواشي ما حوى شيئاً»^(١).

والفقه، أصبح يعني في العصور المتأخرة تعلماً وتعلماً، حفظ متون معينة وترديد

(١) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، خرج أحاديثه وعلق عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري

(المدينة المنورة المكتبة العلمية ١٣٩٧/١٩٧٧م ص ١٦٣)

عباراتها دون مجاوزة لها إلى غيرها من كتب الفقه فضلا عن الكتاب والسنة.

عكف الحنفية على كنز الدقائق، لحافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى المتوفى سنة ٧١٠هـ.

وعكف المالكية على مختصر خليل، تأليف العلامة الشيخ خليل بن اسحاق المالكي، المتوفى سنة ٧٦٧هـ.

وعكف الشافعية على متن منهاج الطالبين، تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

وعكف الحنابلة على كتاب المقنع في فقه الامام أحمد، من تأليف موفق الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن قدامة، المتوفى سنة ٦٢٠هـ.

هذه الكتب وما يدور في فلكها هي محور الدراسة والتعليم والتأليف، وكثيراً ما يعنى استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة الزين والانحراف، فيتصدى لأى محاولة من هذا القبيل بالنقد الشديد، نظراً لسد الفقهاء باب الاجتهاد وإصرارهم على قفله، ومن لم يتبين منهم هذا المبدأ كفقهاء الحنابلة وقولهم باستمرار الاجتهاد وفتح باب له لمن أوتى القدرة العلمية المؤهلة. فقد كان هذا منهم نظرياً أكثر منه عملياً، يبرز هذا المعنى ما ذكره أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى فى أقسام المجتهدين فى عبارته التالية :

« والمجتهد أربعة أقسام: مجتهد مطلق، ومجتهد فى مذهب إمامه أو فى مذهب إمام غيره، ومجتهد فى نوع من العلم، ومجتهد فى مسألة منه أو مسائل». وفى معرض حديثه عن المجتهد المطلق وتعريفه له يقول :

« وهو الذى اذا استقل بإدراكه للأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية العامة والخاصة، وأحكام الحوادث منها مع حفظه لأكثر الفقه ولا يقلد أحداً ولا يتقيد بمذهب أحد.. ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق، مع أنه الآن أيسر منه فى الزمن الأول لأن الحديث والفقه قد دونا، وكذا ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات والآثار، وأصول الفقه، والعربية وغير ذلك، لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة، ونار الجد والحذر خامدة اكتفاء بالتقليد، واستعفاء من التعب الوكيد، وهرباً من الأثقال، وأرباً فى تمشية الحال وبلوغ

الآمال، ولو بأقل الأعمال، وهو فرض كفاية قد أهملوه وملوه ولم يعقلوه ليفعلوه»^(٢).

هذه هي الحالة العلمية الفقهية التي كانت تعيشها البلاد الإسلامية عموماً. وهنا نريد من خلال هذه الصورة أن نتلمس ما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية في مسقط رأس شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب خصوصاً لندرك مدى تأثره بها.

من الطبيعي أن تكون تلك الصورة للحالة العلمية والفقهية في العالم الإسلامي صادقة تماماً على نجد، فتعيش التخلف الفكري الفقهي الذي يعيشه العالم الإسلامي صورة مطابقة، وهذا الجانب العلمي وإن لم يتعرض له الكثير من الدارسين لهذا الجزء في جزيرة العرب، فقد تعرض له الباحثة الفقيه الشيخ عبد الله البسام، وأعطى صورة وافية لما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية فيها بقوله: « منذ عرفنا علماء نجد حتى قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فإن علمهم يكاد ينحصر في الفقه، أي: في المسائل الفرعية الفقهية، والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - فعلمهم لا يكاد يخرج عن تحقيق هذا النوع من العلم؛ فعلم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً، وعلوم اللسان لا يهتمون منها إلا بعلم النحو في مختصرات كتبه التي يتعلمون فيها ما يقوم أسنتهم عن اللحن، وما عدا هذا فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه، ويندر منهم من يتعدى الفقه إلى غيره من العلوم فيشارك في تحصيله مشاركة قليلة.

أما فقه الإمام أحمد فهم يجيدونه إجابة تامة، ويعنون به عناية فائقة، حيث يدرسون كتبه دراسة إمعان، ويبحثونها بحث تحقيق وتدقيق^(٣).

وفما يتصل بالوسط العائلي للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإنه عاش وسطاً علمياً متشبعاً بالفقه في عائلة توارثت القضاء، فوالده الشيخ عبد الوهاب تولى قضاء العيينة

(٢) صفة الفتوى والمستفتي، الطبعة الأولى (بيروت: منشورات المكتب الإسلامي ١٣٨٠) ص ١٦، ١٧.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى (مكة المكرمة - مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٩٨) ج ١

ثم حريملاء، وكذلك جده من قبل الشيخ سليمان بن علي، انتهت اليهم الرئاسة في العلم والفقہ في نجد^(٤).

في هذا الوسط العلمي العام والخاص المتميز بمظهر فقهي معين يدور في آفاق تقليدية محدودة وإطارات فكرية ملتزمة، عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته العلمية الأولى وتدرج في مراحلها.

وفي مثل هذه الأجواء التي تحكم فيها الانغلاق التام، ليس بالوسع أن يتكون بين أحضانها فقيه يتمتع بحرية فكرية واجتهاد مخلق، بل سيكون بالضرورة وقانون الحياة صورة عصره ومرآة جيله، فقيهاً تقليدياً متمسكاً بحرفية النصوص لا يتجاوزها ولا إلى الكتاب والسنة.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب عضو في ذلك المجتمع وجزء من تلك البيئة، يتأثر بها ويتجاوب فكراً وشعوراً بإيجابياتها وسلبياتها.

ولكن إلى أي مدى كان منه هذا التجاوب استقبالا أو رفضاً؟

إن التاريخ يثبت أنه لم يكن هناك أي صدى وتأثير لتلك البيئة العلمية والاجتماعية على تفكير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل كان أقوى من أن يتأثر بسلبياتها أو يخضع لمؤثراتها، فأقلت منها ومن أغلالها وأثقالها، فتميز بتفكير منطلق وعقلية مستقلة بدأت تتبين ملامحها في مرحلة شبابه.

الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

إن أول ما يثير فضول الباحث قبل أي شيء آخر، هو التعرف على المصادر العلمية والروافد الفكرية التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية والفقهيّة بصورة متباينة عن أبناء جيله وفقهاء عصره.

إننا لا نجد بين مشائخه الذين تتلمذ عليهم في صباه ومدارج شبابه، غير أن العلاقة والتأثر بشيخ الإسلام عبد الحليم بن تيمية، وتلميذه شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية واضح قوى.

(٤) عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد الطبعة الثانية (الرياض: وزارة المعارف السعودية،

١٣٩١ ج ١ ص ١١٤)

وإذا كانت كافة الدلائل تشير إلى هذا فإنه مما يستحق البحث تحديد الفترة التي تعرف بها على فكر هذين العالمين الجليلين، هل حدث له هذا أيام طلبه العلم ببلدته العيينة وقبل رحيله إلى الحجاز والبصرة، أم أن اهتمامه بفكرهما جاء صدى ونتيجة تنقله واحتكاكه بالعلماء في تلك البلاد ؟

إن هذه التساؤلات تبدو للوهلة الأولى غير ذات جدوى ، ولكن الباحث كما يهيمه أن يعرف مصدر هذا الاستقلال الفكري الجديد، يهيمه أن يعرف متى وكيف ظهر، وهل هو ذاتي صادر من داخل رغبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ أم هو بعامل خارجي شجعه على تنبيه والتحمس له ؟

إن المؤرخين للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يحققوا هذه النقطة كما ينبغي ولهذا جاءت رواياتهم متضاربة .

١ - ففريق لم ينوه عن هذه الصلة قصداً ولا استطراداً :
ويتبين هذا من عرض نصوصهم لحياته العلمية .

يذكر المؤرخ عثمان بن بشر في معرض حديثه عن نشأته وحياته العلمية قوله :
« وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد مشى في نجد وغيرها .. فلما تحقق الشيخ - رحمه الله - معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة وصار ينكر هذه الأشياء... ولما رأى أنه لا يغنى القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول، تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلما وصلها وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن سيف من رؤساء بلد المجمع، القرية المعروفة في ناحية سدير من نجد ... فأخذ الشيخ عنه، قال الشيخ : كنت عنده يوماً فقال لي : أتريد أن أريك سلاحاً أعدته للمجعة ، قلت : نعم فأدخلني منزلاً فيه كتب كثيرة فقال : هذا الذي أعدت لها، ثم انه مضى به إلى الشيخ العلامة محمد حياة السندی المدني فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله، فأخذ عنه ،

وحكى أن الشيخ وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرآه محمد حياة السندی فأتى إلى الشيخ وقال ما تقول ، قال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، فأقام في المدينة ما شاء ، ثم خرج منها إلى نجد^(٥) .

وهنا لم يحدد هذا المؤرخ الجليل تأثر الشيخ بكتاب أو عالم معين ، وإنما شمل وعمم دون الإشارة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .
ومن الكتاب والمؤرخين الذين تتجه كتاباتهم هذا الاتجاه الأستاذ أحمد عبدالغفور العطار فيقول:

« ولما تجاوز محمد سن الطفولة زاد شغفه بالعلم، واستظهر أحاديث من الصحيحين والأمهات، وكلما تقدمت به السن تقدم في علمه وربا عقله، وما كاد يتم العشرين من عمره حتى صار عالماً مرموقاً في بلده...»^(٦) .

٢ - وفريق آخر أثبت تعرفه وتعلقه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم منذ صباه وقبل مغادرته مسقط رأسه تحديداً وتعييناً ، ومن هؤلاء عبدالله بن سعد الرويشد ، ففي معرض حديثه عن نشأة الإمام العلمية يقول :

« تعلم على والده فدرس القرآن وحفظه على يديه، وعليه تعلم علوم العربية والفقه الحنبلي ، وهكذا نشأ نشأةً سالحةً وظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة منذ صباه، وأكثر من قراءة القرآن والاطلاع على الكتب المتداولة ، وظهرت بوادر ألمعيته واتقاد ذهنه ، وأعجب بكتب ابن تيمية وابن القيم ومال إليها ، ورأى كثيراً مما نعاها ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات ماثلاً أمام عينيه في معتقدات وأعمال أهل عصره وبخاصة العامة منهم ، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رآه والده أهلاً للإمامة في الصلاة، فقدمه إماماً للناس في المسجد»^(٧) .

في هذا الاتجاه يسير أحمد بن حجر بن محمد آل أبوظامى فيقول:

«درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكباً على كتب

(٥) عنوان المجد ج ١ ص ١٩، ٢٠، ٢١ .

(٦) محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الرابعة - بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢/١٩٧٢م ص ٣٢ .

(٧) الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ: مصر مكتبة عيسى البابي الحلبي ج ١ ص ١١ .

التفسير والحديث والعقائد، فكان يعتنى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ويكثر من مطالعة كتبهما.. ولما أب الشيخ من رحلته الطويلة وراء العلم والتحصيل لازم أباه واشتغل عليه في علم التفسير والحديث وغيرها، وعكف على كتب الشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله، فزادته تلك الكتب القيمة علماً ونوراً وبصيرة ونفخت فيه روح العزيمة، ورأى الشيخ بثاقب نظره ما بنجد وبالأقطار التي رحل اليها من العقائد الضالة والعادات الفاسدة، فصمم على القيام بالدعوة «^٧ م».

٣ - ومن يذهبون إلى أن لرحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى البلاد الحجازية والبصرة دوراً كبيراً في دعوته الإصلاحية، وأن احتكاكه بالعلماء السلفيين في مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة أثر في اتجاهه العلمي، إذ أثار فيه نوازع الإصلاح الديني والاجتماعي، فعاد إلى بلاده وهو ممتلئ حماساً لإعادة أهل بلاده إلى الدين الإسلامي الصحيح، وكان هذا أحد الآثار المباركة لارتحاله خارج نجد.

ومن تبنى هذا الموقف الدكتور عبدالله صالح العثيمين إذ يقول في هذا الصدد:

«وبالرغم من أن محمد بن عبد الوهاب كان قد حضر - بدون شك - دروس عدة من العلماء في المسجد النبوي، فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة كانت أوثق من صلته بسواهما من العلماء، وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط إنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحى أيضاً، وقد أتت صلته بهما في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه، وكانت معرفته بابن سيف أسبق من معرفته بالسندى، وإن كان تأثير هذا الأخير عليه أعمق - فيما يبدو - من الأول.

وكان ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلى والحديث الشريف، وقد أجاز محمد بن عبد الوهاب في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلماً وتعليماً، وكان من المعجبين بالإمام المشهور ابن تيمية، ولاشك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب هذا العالم الجليل، وكان أيضاً مدركاً للحالة التي وصلت اليها الأوضاع في نجد من الناحيتين الدينية والاجتماعية، وكان يرى أن إصلاحها لا يتم إلا بالتعليم.

(٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (مكة المكرمة. مطبعة

الحكومة، ١٣٩٥) ص ١٨٠، ١٥.

أما محمد حياة السندی فكان حجة في الحديث وعلومه، وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية مختلفة، وكان من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية، ومن الداعين للاجتهاد في ميدان الشريعة، وبالإضافة إلى ذلك كان من أشد المحاربين للبدع في الدين والأعمال التي قد تؤدي إلى الشرك... ويستمر الدكتور العثيمين في تأكيده هذه النقطة فيقول:

«وحيث اقتنع الشيخ محمد بكفاية المدة التي قضاها متعلماً في المدينة، عاد إلى العيينة، ومن الممكن ملاحظة أمور كان لها تأثير في نفسه في أثناء إقامته في المدينة، منها: المناخ التعليمي الذي كان حافظاً على الدراسة ومهيئاً لمعرفة أنواع من العلوم، ومنها: بدءه قراءة كتب ابن تيمية المهمة وتلمذه على محمد حياة السندی المحارب للبدع والتعصب المذهبي والداعي إلى الاجتهاد، وكان ذلك في مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكري»^(٨).

والذي يبدو أن هذا التضارب بين الروايات السابقة هو نتيجة الاجتهاد الفردي حول هذه النقطة، دون أن يؤيد أحد من أولئك الكتاب والمؤرخين ما دونه بشيء من التوثيق العلمي التاريخي.

إلا أنه من الممكن اعتبار ما كتبه المؤرخ عثمان بن بشر الرواية المعتمدة الموثقة لاعتبارات متعددة أهمها:

أنه أقدم المصادر التاريخية وأقربها تاريخاً لحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى قيل عن تاريخه بـ «أنه المصدر الوحيد لما وقع في نجد من الحوادث منذ فجر النهضة الإصلاحية وظهور الدعوة السلفية إلى ما قبل وفاة الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود بخمس عشرة سنة»^(٩) أي من سنة ألف ومائة وثمان وخمسين من الهجرة إلى سنة ألف ومائتين وسبع وستين، كما أنه اعتنى في سوابقه بذكر حوادث ما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منتصف القرن التاسع الهجري إلى نهاية سنة ألف ومائة وست وخمسين من الهجرة^(١٠). فهو كتاب متخصص وثيقة تاريخية صحيحة

(٨) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره (الرياض: دار العلوم) ص ٣٣، ٣٤، ٣٥.

(٩) عنوان المجد تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ج ١، ص ٧.

(١٠) انظر المصدر نفسه ج ١، ص ٢.

في تاريخ الدعوة السلفية، ومن ثم ستكون رواية ابن بشر موضع الفحص والدراسة في تعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب على فكر ابن تيمية .

لم يرد في رواية ابن بشر في تاريخ نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يشير إلى توجيه خاص من أحد ممن تلقى العلم على أيديهم إلى دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإنما تشير إلى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدافع شخصي ورغبة ذاتية تولدت عنده إلى إعادة الإسلام إلى صفاته ونقائه كما عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان هذا نتيجة انكبابه على كتب التفسير والحديث وكثرة ملازمته لها وتأمله لمعانيهما، والمقارنة بين ما جاء فيهما من عقيدة وتشريع، وبين ما عليه العمل بين المسلمين من انحراف عن جادة الإسلام عقيدة وتشريعاً. وهذا هو الذي تشير إليه عبارة المؤرخ عثمان بن بشر في قوله السابق.

«... وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه...»^(١١) الخ عبارته، وهو في هذا المنحى والاتجاه يختلف عن الكثيرين من بنى جيله وعصره، إذ كانت الأهمية القصوى والتركيز الشديد على دراسة الفقه المذهبي وحفظ نصوصه، وبذلك يكون قد فتح الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنفسه آفاقاً أوسع هيأته بالفعل لدعوته الإصلاحية التي انتدب نفسه لها.

وأما تعرفه على فكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة، فمن المهم عرض الحقائق التالية بين يدي هذا الموضوع:

أولاً: إن الصلة بين نجد والشام كانت قوية، حيث كانت الأخيرة بالنسبة لبلاد نجد مركزاً تجارياً وعلمياً في آن واحد، وكان لهذا أثره العلمي الكبير، فالعدد الكبير من علماء نجد تلقوا علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة بالشام، «وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار كالشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة تلميذ مؤلف الإنصاف الشيخ على ابن سليمان المرادوى، وصاحب جمع الجوامع الشيخ يوسف بن عبد الهادي، ومن العلماء النجديين الذين تلقوا العلم على حنابلة الشام الشيخ أبو نغمي بن راجع تلميذ الشيخ مرعى

(١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩

ابن يوسف مؤلف الغاية (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى)، وكذلك الشيخ زامل بن سلطان تلميذ الشيخ موسى الحجاوي مؤلف الإقناع. فأمثال هؤلاء العلماء النجديين الكبار بلغوا في العلم مبلغاً كبيراً، وانتهت اليهم الرئاسة العلمية في بلدان نجد، وهم قد اعتنقوا المذهب الحنبلي، فأثروا في أهل بلادهم، فصار جمهور النجديين حنابلة» (١٢).

ثانياً: إن ابن تيمية وابن القيم أعلام مشهورون وفقهاء نابهون في المذهب الحنبلي، لهم اجتهاداتهم وترجيحاتهم المشهورة، فالتعرف على فكرهم من قبل طالب العلم والتمذهب بالمذهب الحنبلي أمر بديهي وحقيقة ميسورة.

ثالثاً: إن الاتصال الفكري بين الحنابلة في الشام والحنابلة في نجد قوى ووثيق، إذ كانت مؤلفات الشاميين تصل إلى نجد بصورة مستمرة، وكان هؤلاء تأليف عن شيخ الإسلام ابن تيمية في اجتهاداته وجهاده للبدع والخرافات، مما جعله رمزاً لبطولة العلماء وكفاح المخلصين في وسط الحنابلة أين كانوا، ولعل في (سابقة) التي ذكرها ابن بشر ما يشير إلى هذا المعنى إذ يقول: «وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف توفي الشيخ العالم العلامة مرعى بن يوسف الحنبلي المقدسي الأزهرى. كانت له اليد الطولى في معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة في فنون من العلوم.. فمنها دليل الطالب.. وصنف غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى.. وذكر لى شيخنا عثمان بن منصور أنه بيضا مرتين، واحدة أرسلها إلى نجد وواحدة أرسلها إلى الشام، فلماذا نجد في بعض النسخ منها زيادة وتقصانا عن الأخرى.. وصنف مرعى غير ذلك مصنفات كثيرة منها: كتاب بهجة الناظرين في العالم العلوي والسفلي، وصفة الجنة والنار، وكتاب المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وكتاب الدرّة المضيئة في مناقب ابن تيمية...» (١٣).

ونخلص من هذا إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تعرف على فكر ابن تيمية وابن القيم من قبل رحلته إلى الحجاز والشام، إذ أن هذين العلمين كانا من أشهر أعلام

(١٢) عبدالله البسام، ج. ١، ص ١٩ - ٢٠.

(١٣) السوابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

الحنابلة في الوسط العلمي للحنابلة، ولم تكن شهرتهم لدى علماء الحنابلة بنجد بأقل من أى وسط حنبلي آخر.

الا أن انتاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودراسته للمذهب الحنبلي، سهل له التعرف على فكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في وقت مبكر جداً أثناء طلبه للعلم في بلاده مسقط رأسه، ووقوفه على جهادها ما قوى فيه العزيمة للدعوة إلى الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة، فرحل الى ما رحل من أقطار وهو متشبع بفكر الدعوة الإصلاحية التي أصبح يعيشها فكراً، ووطن نفسه للدعوة لها جهراً، وأن احتكاكه بعلماء السلف بمكة المكرمة والمدينة المنورة زاد من حماسه لها وتفانيه في سبيلها. فأعطته دفعة قوية للاستمرار في اتجاهاته الفكرية العقدية والفقهية، وضاعفت من ملازمته وعكوفه على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فتشبع بمنهجها أسلوباً وفكراً، فورث عنها خصائصها العلمية واتجاهاتها المنهجية والنزعة الاجتهادية .

يتفق السلف والخلف من فقهاء الحنابلة على وجوب الاجتهاد في من تحققت فيه شروط، يقول القاضي أبو يعلى الفراء من متقدمى الحنابلة في كتابه العدة «مسألة في صفة المفتى في الأحكام الذى يحرم عليه التقليد»، ثم يذكر هذه الصفة بقوله: «الذى يحرم عليه التقليد فيها أن يكون عارفاً بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومجمله ومحكمه، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، وهو المعرفة بما قصد به بيان الأحكام الحلال والحرام، فأما ما قصد به أخبار الأولين وقصص النبيين والوعد والوعيد فلا حاجة به إليه... ويعرف أيضاً المتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والعام والخاص للمعنى الذى ذكرناه، ويحتاج أن يعرف إجماع أهل الأعصار عصاراً بعد عصر، لأنه يكون الأصل ما أجمعوا عليه فيرد الفرع اليه، ويحتاج أن يعرف من لغة العرب والإعراب ما يفهم عن الله تعالى وعن رسوله معنى خطابها، وأن يكون عارفاً باستنباط معانى الأصول والطرق الموصلة إليها، ليحكم في الفروع بحكم أصولها، ويكون عارفاً بمراتب الأدلة، وما يجب تقديمه منها. فإذا كان بهذه الصفة وجب عليه أن يعمل في الأحكام باجتهاده وحرام عليه تقليد غيره»^(١٤).

(١٤) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء، العدة في أصول الفقه. مصور.

ويأتى شيخ الإسلام ابن تيمية ليقرر هذا المبدأ ويؤكد في أكثر من مؤلف فينقل نص القاضي أبي يعلى فيقره لفظاً ومضموناً^(١٥)، ويعرض هذا الموضوع في فتاويه بأسلوبه وطريقته الخاصة فيقول:

«نقل عن غير واحد الإجماع أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذى جاء به الرسول، فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع»^(١٦).

كما يقرر هذا المبدأ من الحنابلة المتأخرين: أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى فيقول:

«ويحرم تقليد على مجتهد أداه اجتهاده الى حكم»^(١٧) وهكذا فإن نصوص الحنابلة متواترة على وجوب الاجتهاد ممن استوفى شروطه وتحققت فيه مؤهلاته.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو المؤهلين من الفقهاء إلى الاجتهاد وتحريم التقليد، فقد مارسه تأسيساً وترجيحاً، بل إن اجتهاداته الفقهية معروفة لدى فقهاء المذاهب الأخرى، وترجيحاته في إطار المذهب الحنبلى مشهورة بين فقهاء معلومة لديهم. ولا شك أن الاجتهاد الفقهي إحدى خصائص التفكير الفقهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والتي كان لها تأثير كبير على فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يدع الاجتهاد، ولكنه يدعو إليه عندما تختلف الآراء وتتعارض الأقوال، فحينئذ يتوجب الرجوع إلى الكتاب والسنة يستخلص منها الحكم الذى تطمئن اليه نفسه.

ففى جوابه عن سؤال وجه إليه بخصوص الروايات المختلفة عن الإمام أحمد أو تعدد الأقوال عن أصحابه واستدلال كل بدليل يقول:

«إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول: فى محل النزاع التراد الى الله والرسول

(١٥) المسودة، تحقيق محمى الدين عبد الحميد (مصر: مطبعة المدنى) ص ٥١٤

(١٦) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، ج ١٩ ص ٢٦٢.

(١٧) شرح الكوكب المنير، الطبعة الأولى (مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ - ١٩٥٣)، ص ٤٠٦

لا الى كلام أصحابه، ولا الى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعاً^(١٨)، وقد يكون صواباً، وقولك: إذا استدل كل منها بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما خطأً للدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجمله فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه...»^(١٩).

والشيخ محمد بن عبد الوهاب وإن لم يؤثر عنه اجتهادات لم يسبق اليها إلا أن منحاه منحنى اجتهادى، بمعنى أنه يسلم بالرأى اذا كان يعتمد على استدلال قوى مبنى على فهم سليم، وهذا هو الموقف الذى أعلنه ونشره فى مؤلفاته ومراسلاته الى كل من يرغب الوقوف على حقيقة أمره.

فمن ذلك كتابه الى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الذى جاء فيه:

«ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن اذا اختلفوا، هل يجب على أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة الى الله والرسول مقتدياً بأهل العلم؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله؟ فأنتم على هذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسماه شركاً وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو اليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بالمناظرة التى فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدلت بها ليس هذا معناها فاضرع الى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد الى الله ناظراً أو مناظراً واطلب كلام أهل العلم فى زمانه»^(٢٠). وعلى أساس هذا المبدأ كان اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب وترجيحه لاختيارات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فى أكثر الأحيان، وترجيحه لغيرها أحياناً أخرى.

على أن ما خلفه من تراث علمى يشير الى معرفته بعلم أصول الفقه الذى يعتبر

(١٨) هذا هو نص العبارة ولعل ثمة سقط

(١٩) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، ص ٢٧، ٢٢ - ٢٣

(٢٠) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية القسم الخاص، ص ٢٥٤

شرطاً أساسياً في بلوغ درجة الاجتهاد حتى قيل (لا ثقة بفقهِه لا يعتمد على أصول)، ومظاهر هذا عنده تتجلى في أمرين اثنين:

الأول: مناقشته لأهم المسائل والقواعد الأصولية.

الثاني: تلخيصه وعرضه لبعض المسائل الأصولية من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولا يستطيع الخوض فيها إلا عالم متمرس بمسائله عارف بقوانينه، وفي كلا الحالين لا يمكن أن يقتحم أسوار هذا العلم إلا عالم ذو دراية وممارسة له.

ففي مناقشته لنسخ القرآن بالسنة يتعرض لهذا الموضوع من خلال الأمثلة التي يوردها العلماء في هذا الصدد، فيقول:

«ثبت أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وأن يجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فقال طائفة هذا نسخ للقرآن، فإن أرادوا النسخ العام الذي هو تقييد المطلق فصحيح، وإن أرادوا النسخ الذي هو رفع الحكم فضعيف، فإنه لم يثبت أن الله أراد بقوله:

(وَأَحِلَّ لَكُمْ مَّا وَّرَاءَ ذَٰلِكُمْ)

(النساء: ٢٤)

تحليل ذلك، فإن قيل هو عام بين الدليل المخصص أن الله لم يرد تلك الصورة كقوله: (الزانية والزاني) الآية لم يرد به الأمة، وقوله: (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) لم يرد الحامل ولا التي لم يدخل بها، ولم يثبت أن السنة نسخت القرآن، قال تعالى: (ما ننسخ من آية، فالقرآن لا ينسخه إلا مثله، وقال كثير: السنة خصصت القرآن وهم أكثر وأفضل من أولئك، وقد يقال: السنة فسرت القرآن، ولهذا في حديث معاذ وكلام عمر وابن مسعود وغيرها أن يحكم بكتاب الله فإن لم يوجد فسنة رسول الله، فلو كان في السنة ما يقدم على دلالة القرآن لم يكن كذلك بل السنة تفسر المراد منه...»^(٢١).

وفي موضوع التعارض والتعادل والترجيح الذي هو ثمرة أصول الفقه ونقطة

(٢١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ملحق المصنفات، ص ٧٥ - ٧٦

الارتكاز فيه، يلخص موقف ابن القيم في معضلة من معضلاته بتقرير الفاهم وأسلوب العالم فيقول:

«قال ابن القيم في أعلام الموقعين: إذا قال الصحابي قولاً فإما أن يخالفه صحابي آخر أولاً، فإن خالفه مثله لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر، وإن خالفه أعلم منه كالخلفاء الراشدين أو بعضهم، فهل يكون الشق الذي فيه الخلفاء أو بعضهم حجة على الآخرين؟ فيه قولان للعلماء. هما روايتان عن أحمد، والصحيح أنه أرجح، فإن كان الأربعة في شق فلاشك أنه الصواب، وإن كان أكثرهم في شق، فالصواب فيه أغلب، وإن كانوا اثنين واثنين، فشق أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب، فإن اختلفا، فالصواب مع أبي بكر.»^(٢٢) وقد استغرق هذا البحث خمسا وثلاثين صفحة، وقدم لإثباته والاستدلال له ستة وأربعين وجهاً. كما نفذ من هذا البحث إلى بحث الاحتجاج بفتوى التابعي^(٢٣).

النزعة المذهبية:

وهذا الجزء من البحث يقودنا إلى التعرف على موقفه من قضيتين هامتين هما: اختلاف المذاهب الفقهية أولاً، والتقييد بها ثانياً.

والحقيقة المسلمة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينتمي إلى أسرة عريقة في المذهب الحنبلي، إذ غالب أفرادها من الفقهاء والقضاة الحنابلة، ولكنه يتميز عنها بأنه أضاف إلى حنبليته عنصراً جديداً: هو ما اكتسبه من دراسته وعكوفه على التراث العلمي لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فأمدته بخصائص فكرية وفقهية خاصة برزت بنتائجها وأثارها على مواقفه من كثير من القضايا الفقهية.

وقبل التعرف على موقفه خاصة من تلك القضيتين اللتين كانتا ولا تزالان مثار جدل وخصومة يحسن أن نتعرف قبل ذلك على موقف سلفه أعنى شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة حتى يتضح مدى عمقها وتأثره بها في نفسه.

أما فيما يتصل بالقضية الأولى: اختلاف المذاهب الفقهية فقد ألف ابن تيمية كتاب

(٢٢) المصدر نفسه القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٥

(٢٣) المصدر نفسه، القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٣٥

(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وهذا الكتاب بهذا العنوان يعتبر فريداً في صياغته فريداً في موضوعه، فلئن شاركنه كتب أخرى موضوعاً إلا أنه مؤلف أساساً وبالذات للدفاع عن الأئمة، وعرض الأسباب التي أدت إلى اختلافهم، ليلتمس لدى القارئ والدارس الأعذار عما قد تحدّثه نفسه من إدانتهم في التفرق والاختلاف، وفي نفس الوقت يعرفنا قدر هؤلاء الأئمة والجهد المخلص الذي بذلوه في فهم الكتاب والسنة، وأقتبس هنا جزء من مقدمة هذا الكتاب لندرك مدى إنصاف ابن تيمية للأئمة الفقهاء وتقديره للتراث العلمي الذي تركوه، فيقول:

«... وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عن الأمة قبولاً عاماً، يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل. فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد أن يكون له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.
والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.
والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ^(٢٤).

وهذا اعتراف بفضل الأئمة وإنصاف لهم وتقدير لجهودهم العلمية، وهو أقصى المطلوب، ومن ثم فلم يؤثر عن الإمام ابن تيمية قول أو تأليف يمس جانب الأئمة أو يعرض بهم، بل إنه عند الاختلاف يناقش الدليل مناقشة علمية هادئة. ويؤكد ابن تيمية هذا المبدأ في مؤلفاته وكتابات في أكثر من موضع من هذا قوله:

«وقد اتفق الصحابة على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهدهم في مسائل تنازعوا فيها كمسائل في العبادات، والمناكح، والموارث، والعطاء، والسياسة وغير ذلك.. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل

(٢٤) رفع الملام عن الأعلام بنهاية الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، الطبعة الأولى، ج ١٢ - ص ٢٩٩ -

الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم، وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببيكاه أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة.. ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ..

فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام هى لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به من شرعة رسوله ومنهاجه، كما يثاب كل نبي على طاعة الله فى شرعه ومنهاجه.

ثم يتحدث فى عبارة واضحة عن الموقف الذى يجب أن يتخذه المسلم بالنسبة للأئمة ومذاهبهم فيقول:

«فمن ذمهم ولا مهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى، فقد اعتدى واتبع هواه بغير هدى من الله، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك فى تقليده مسلك العدل فهو مقتصد، اذ الأمر مشروط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢٥).

ولقد جاء موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب متطابقا مع موقف شيخه ابن تيمية فى هذه القضية، مقدرا لجهود الأئمة الفقهاء، ومعتزا بانتسابه اليهم وانتائه الى جمهورهم. هذا ما أعلنه صراحة وأعرض هنا له بعض هذه المواقف التى تكشف عن هذا الجانب فى تفكيره.

فى ختام إجابته على عبدالعزيز الحصين عن مسائل شرعية يقول:

«فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف

(٢٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج ١٩، ص ١٢٢.

والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، ولكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم...»^(٢٦).

كما جاء في افتتاحية خطابه الى علماء مكة:

«إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام وتابعى الأئمة الأعلام...» الى أن يقول:

« وأنا أخبركم بما نحن عليه خبراً لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن والله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البيهتان الذى أشاع الأعداء أنى أدعى الاجتهاد ولا أتبع الأئمة، فإن بان لكم أن هدم البناء على القبور، والأمر يترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع فى كثير من البلدان لوتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وإياهم على ضد ذلك، فإن كان الأمر كذلك فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة مثل (الإقناع) و(غاية المنتهى) و(الإنصاف) التى عليها اعتماد المتأخرين وهو عند الحنابلة (كالتحفة) و(النهاية) عند الشافعية، وهم ذكروا فى باب الجنائز هدم البناء على القبور... وبعضهم يحكى الإجماع على ذلك، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه...»^(٢٧).

وفى رسالة له إلى أحمد بن محمد العدبلى البكبكي، صاحب اليمن جاء فى افتتاحيته قوله:

«... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

لفانا (وأفانا) كتابكم وسر الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم وسؤالكم عما نحن عليه وما دعونا الناس إليه، فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل ونوضح لكم القول الراجح بالدليل، ونسأل الله أن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وسبيل...» إلى أن يقول:

(٢٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، (فتاوى ومسائل)، ص

(٢٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٤٠

«وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن ادريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى...»^(٢٨).
كما بعث الى اسماعيل الجراعى باليمن خطابا يوضح فيه موقفه من كتب المتأخرين فيقول :

«وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا نعمل به».

وفي كتابه إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني يقول:

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة. ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها...»^(٢٩).

ولقد دلت الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا عمليا بمؤلفاته الفقهية التي تنتمي معنى ومضمونا إلى المذهب الحنبلي.

وينفرد المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر^(٣٠) برواية تحمل الكثير من الدلالات للباحث في هذا الصدد، فقد جاء في معرض الحديث عن مؤلفاته العلمية قوله:

«واختصر من الشرح الكبير والإنصاف مجلداً لبيان الخلاف وأمر بالقراءة فيه ، فلما سمع بذلك المنتسبون للعلم من أهل نجد كذبوا عليه أنه طعن في كتب المذهب كالإقناع والمنتهى التي على قول واحد، فأخذ من شرح الإقناع نبذة في أحكام الصلاة والزكاة والصيام من باب آداب المشي الى الصلاة الى باب ما يفسد الصوم، وأمر بالقراءة فيها

(٢٨) المصدر نفسه

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧

(٣٠) هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدى الحنبلي، ولد في بلدة جلاجل من بلدان سدير بنجد سنة ١٢١٠، وتوفي بها سنة ١٢٩٠ هـ. صنف مؤلفات عديدة هي: سهيل في ذكر الخيل، الاشارة في منازل السبع السيارة، بغية الحاسب، الحصائص ومبدأ النقائص في الطفيليين، والثقلاء، وفهرس طبقات الحنابلة لابن رجب على حروف المعجم، وكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد. انظر ترجمته للشيخ عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ في تصديره لكتاب بعنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١١ طبعة وزارة المعارف السعودية عام ١٣٩١ هـ.

وتعليم العامة ما يلزمهم معرفته من أحكام صلاتهم وصيامهم وتكذيباً لأولئك فيما قالوه...» (٣١).

ومن جملة هذه الوثائق والمواقف تتحدد مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نحو المذهبية واختلاف الفقهاء في العبارات التالية:

أولاً: اتباعه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

ثانياً: اعتبار اجتهادات الفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ما لم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

ثالثاً: إذا تعارضت أقوالهم وتباينت أحكامهم فالمرجع في ذلك هو الكتاب والسنة. ونستطيع في عبارة موجزة أن نطلق على هذا الموقف المعتدل المنصف بأنه (الاجتهاد في التقليد).

وهذه المبادئ والأسس أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بها نفسه في فتاواه ومؤلفاته. ومن النماذج الكثيرة المتعددة التي تبين التزامه هذه الأسس والمبادئ سؤاله عن العروض وإجزائها في الزكاة إذا أخرجت بقيمتها. والمسألة الثانية عن صحة المضاربة بها في الشركة. وفي الجواب عن هاتين المسألتين يقول:

«فأما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما: المنع لقوله: في كل أربعين شاة شاة، وفي مائتي درهم خمسة دراهم وأشباهه.

والثانية: يجوز قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة فقال: عشره على الذي باعه فهل يخرج تمراً، أو ثمنه؟ قال: إن شاء أخرج تمراً وإن شاء أخرج من الثمن. وإذا أثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها إلى الله ورسوله، قال البخاري في صحيحه في أبواب الزكاة (باب العروض في الزكاة) وقيل طاووس قال معاذ لأهل اليمن اتنوني بعرض ثياب خبيص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقال

(٣١) المصدر نفسه، ص ١١٦

صلى الله عليه وسلم (وأما خالد فقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله) ثم ذكر في الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز.

واستدلال من منعه بقوله: في كل أربعين شاة شاة وأمثاله لا يدل على ما أرادوا، لأن المراد هو المقصود وقد حصل كما أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المستجمر بثلاثة أحجار- بل نهى أن ينقص عن ثلاثة أحجار- لم يجمدوا على مجرد اللفظ بل قالوا: إذا استجمر بحجر واحد له ثلاث شعب أجزاء.

ولهذا نظر أنه يؤمر بالشئ فإذا جاء مثله أو أبلغ منه جاز.

وأما المسألة الثانية: فعن أحمد أن المضاربة لا تصح بالعروض، واختاره جماعة ولم يذكروا على ذلك حجة شرعية نعلمها، وعن أحمد أنه يجوز، وتجعل قيمة العروض وقت العقد رأس المال، قال الأثرم سمعت أبا عبد الله يسأل عن المضاربة بالمتاع فقال جائز، واختاره جماعة، وهو الصحيح لأن القاعدة في المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) (٣٢).

الأمثلة على هذا الاتجاه الفكري واضحة في مؤلفاته وفتاواه، وهو يعطى معنى الاعتزاز بالتراث الفقهي مع المحافظة على الاستقلال الفكري والشخصية العلمية.

النزعة الانتخابية:

يأتى انسجاماً مع المبادئ والمواقف السابقة ظاهرة فكرية أخرى في التفكير الفقهي لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ذلك هو انتخاب الآراء واختيار الأقوال حسب الأصول والأسس السابقة التي اتخذ منها ميزاناً ومقياساً للترجيح، ليس هذا فحسب بل إنها واضحة أيضاً في مؤلفاته عامة والفقهيّة خاصة، ولن يكون أقل إثباتاً على هذا الاتجاه اختياره لشخصية شيخ الإسلام تقي الدين، عبد الحليم ابن تيمية مثلاً يحتذى به، وعنواناً يعتز به من بين أمثلة كثيرة من علماء السلف الصالح.

أما انتخابه لقول من الأقوال وترجيحه له ولو خالف المذهب الحنبلي فهو ما توفرت عليه مؤلفاته الفقهيّة وفتاواه.

(٣٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى،

على أنه من الجلى الواضح في هذا الصدد ميله الكبير الى اختيارات شيخ الإسلام
تقى الدين، عبدالحليم ابن تيمية، ولم يمنعه إنصافه في كثير من الأحيان اختياره لآراء
أخرى سواء في إطار المذهب الحنبلى أو المذاهب الأخرى، من ذلك اختياره تقديم بينة
الداخل اذا تداعى خصمان والكل معه بينة في قوله:

«إذا تداعيا عينا والكل معه بينة قدمت بينة الداخل لقول أهل المدينة»^(٣٣).

وفي السؤال عن جواز إخراج الجدد في الزكاة يجيب بقوله:

«فهذه المسألة أنواع، أما إخراجها عن جدد مثلها فقد صرحوا بجوازه فقالوا: اذا زادت
القيمة بالغش، أخرج ربع العشر مما قيمته كقيمته، وأما إخراج المغشوش عن الخالص مع
تساوى القيمة كما ذكر في السؤال، فهذه هي التي ذكر بعض المتأخرين المنع منها،
وبعضهم يميز ذلك، وهو الصحيح، بدليل ما تقدم في إخراج القيمة أنه يجزى فإن إخراج
المغشوش يميزه من لا يميز القيمة، بل قال الشيخ تقى الدين، نصاب الأثمان هو
المتعارف في كل زمن من خالص ومغشوش وصغير وكبير...»^(٣٤).

وغير هذا كثير منشور في كتبه الفقهية وفتاواه.

أما في مجال التأليف فإن السمة البارزة لنشاطاته في هذا المجال أنه عمد إلى مؤلفات
هامة في موضوعها ذات اتهامات خاصة في فروع علمية متعددة، لخصها وبسطها
للقارى لتكون سهلة التناول قريبة الفهم، ويهنا هنا من هذه المؤلفات ما يقع في إطار
الدراسات الفقهية.

وقع اختياره على تلخيص كتابين من أهم كتب المذهب الحنبلى هما كتاب «الشرح
الكبير، من تأليف شمس الدين، أبى الفرج، عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامة، المقدسى،
المتوفى سنة ٦٨٢، وكتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف».

الأول منها مدونة واسعة في الفقه الحنبلى، يعنى مؤلفه الى ذكر اختلاف الآراء مع
سرد الدليل لكل قول، والآخر يعرض لآراء الفقهاء الحنابلة عموماً في المسائل التى
بحثها.

ويلاحظ بشكل ملموس أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعطى اهتماماً خاصاً لآراء

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٦

شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب، إذ عرضها بشكل بارز مميز دون غيرها، واختارها بالتدوين عن بقية الآراء تجسيدا لتقديره وقناعته بأرائه.

كما تجلت نزعة الانتخابية بشكل بارز ودقيق في تلخيصه لموضوع أصولي هام، وهو حجية قول الصحابي من كتاب أعلام الموقعين، وسنعرض بالدراسة والتحليل لهذين الكتابين في دراسة مؤلفاته الفقهية إن شاء الله. وكل هذه الاتجاهات والأعمال تدل بوضوح على عمق وأصالة هذه النزعة فيه.

المرونة الفقهية:

الفقه الإسلامي في حد ذاته نظام تشريعي كامل، يفترض سلوكاً وتصرفات معينة وفق فلسفة تشريعية خاصة، وهو من قبل الأفراد التزام المسلم المكلف بسلوك وتصرف خاضع لأحكام الإباحة أو التحريم، أو الوجوب أو الندب أو الكراهة، وهذا هو مجال تباين الآراء، واختلاف الفقهاء.

ومن ثم يقاس تفاوت أحكامهم وتباين آرائهم بما يتناسب والرؤية الاجتماعية لها يسراً وسهولة أو عنتاً وصعوبة، فيحكم عليها بالمرونة أو التشدد.

وقد لازم كلمة (فقه) و(فقيه) في العصور المتأخرة في أذهان العامة معنى التشدد والتزمت، كما أن كلمة (حنبلي) و(حنابلة) مفهوم التعصب والتزمت الديني في كامل معناه.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما هو فقيه فهو ينتمي إلى المذهب الحنبلي دماً وفكراً ونضالاً، وهي صفات تضافى على شخصيته كثيراً من تلك الظلال والانطباعات.

وإذا جاز أن ينطلي مثل هذا القول على العامة، فإنه لا يمكن أن يجد سبيله إلى أذهان المتعلمين والدارسين، فالدراسات العلمية كشفت عن مرونة فقهية تشريعية عند الحنابلة وبين علمائهم ما عز نظيرها عند غيرهم في المذاهب الأخرى.

جاء في كتاب (مصادر الحق في الفقه الإسلامي) العنوان التالي:

«المذهب الحنبلي أبعد المذاهب تطوراً في تصحيح الشروط» ثم يستطرد بعد ذلك

قائلاً:

«ولعل أبعد تطور للفقه الإسلامي في مسألة اقتران الشرط بالعقد كان في مذهب

الإمام أحمد بن حنبل لاسياً إذا استكملنا هذا المذهب بما أضافه إليه ابن تيمية، وهو من أكبر فقهاءه.

فالمذهب الحنبلي كالمذهب المالكي تخطى مبدأ وحدة الصفقة، ولم يتقيد بهذا المبدأ كما تقيد به المذهبان الحنفي والشافعي، ومن ثم استطاع أن يسير أشواطاً بعيدة في هذا التطور.

والحنابلة كالمالكية، الأصل عندهم في الشرط أن يكون صحيحاً ويصح معه العقد، بل هم يسرون في هذا الأصل إلى مدى أبعد من المالكية في تصحيح الشروط.. أما الجمع بين شرطين في العقد فممنوع في مذهب أحمد... والشرطان المنهى عنهما الشرطان اللذان فيها منفعة لأحد المتعاقدين دون أن يقتضيها العقد أو يلائها، بقول ابن تيمية: إن الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة، ولا يحرم ويبطل منها إلا ما دلّ على تحريمه نص أو قياس عند من يقول به...» (٣٥).

إلى أن يقول:

«ونرى من ذلك أن ابن تيمية لا يجعل الشرط فاسداً إلا إذا كان منافياً للمقصود من العقد، وهذا طبيعي، وإلا إذا كان مناقضاً للشرع فيحل حراماً، وهذا أشبه في الفقه الغربي بالشرط الذي يخالف القانون، أو النظام العام، ولم يعرض ابن تيمية لتحريم اجتماع الشرطين ولا لتحريم اجتماع البيعتين في بيعة أو اجتماع البيع والسلف، ومن ثم يكون تطور الفقه الإسلامي في تصحيح الشروط قد وصل على يد ابن تيمية إلى غاية تقرب مما وصل إليه الفقه الغربي الحديث» (٣٦).

والشيخ محمد بن عبد الوهاب ورث خصائص هذه المدرسة في قمة تطورها فكراً والمتمثلة في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية.

وتبدو مظاهر المرونة الفقهية واضحة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جانبين

رئيسيين:

الأول: موقفه من آراء مخالفيه في الفروع.

الثاني: مسائل الأحكام والفتاوى.

(٣٥) عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة (جامعة الدول العربية: معهد

البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧، ج ٣، ص ١٦١، ١٦٦

(٣٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٢

أما الجانب الأول فموقفه من مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها وجه الصواب أنه لا يجوز الإنكار على المخالف أو الاعتراض عليه، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي يمكن أن ينطبق عليه الحديث «اختلاف أمتي رحمة» وعلى العكس من ذلك ما تبين فيه وجه الصواب.

ففي جوابه عن قولهم «لا إنكار في مسائل الاجتهاد ولا على من قلد مجتهداً حياً أو ميتاً؟ يقول:

فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائناً من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ، ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)

(الاسراء ٣٦)

إلى أن يقول:

(فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع^(٣٧)، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم الا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم واتخاذهم أرباباً من دون الله، وإذا قيل: قال الله قال رسوله قال: هم أعلم منا بهذا هو طريق الضالين^(٣٨).

(٣٧) لعل هذه الكلمة (بالمنع) لا معنى لها هنا، وهذا واضح من سياق الكلام

(٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤

أما الجانب الثانى: فلعل الأهم من سرد مسائل جزئية الاستدلال بالقواعد الأصولية الاستنباطية التى قررها وأكدها والتى تدخل تحتها فروع ومسائل لا حصر لها، ففى رسالته المعنونة بـ «أربع قواعد تدور عليها الأحكام» يقرر فى القاعدة الثانية ما نصه: «القاعدة الثانية: أن كل شئ سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يجرمه أو يوجهه، أو يستجبه أو يكرهه لقوله تعالى:

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَكُمْ) (المائدة ١٠١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «سكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»^(٣٩).

وهو فى هذا الاتجاه فى تأسيس الأحكام يقتضى آثار كبار فقهاء المسلمين أمثال ابن تيمية والشاطبى وغيرهم من الأئمة الذين أثبتوا أفقاً واسعاً فى تفكيرهم الفقهى، فالحكم هو العفو فيما سكت عنه الشارع، فسكوته ليس نسياناً وإنما هو منفذ رحمة وعطف من الله جل وعلا، وبعد تقرير الشيخ للقواعد الأربع التى بدأها أولاً بتحريم القول على الله بلا علم، وثانياً: بأن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، وثالثاً: التمسك بالدليل الواضح والانصراف عن المتشابه، ورابعاً: أن بين الحلال والحرام أمور متشابهة يقدم عليها أمثلة فقهية ويدلل على صحتها بمسائل يقول فى نهايتها:

«وهذه القواعد تدخل فى جميع أنواع العلوم الدينية عامة وفى علم الفقه من كتاب الطهارة إلى باب الإقرار خاصة»^(٤٠).

وفى المسألة السابقة صحة المضاربة بالعروض، يعلل لها بقوله:

«لأن القاعدة فى المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله»:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).

وهذا الاتجاه الفقهى المرن يغطى كل مسائل المعاملات من هذا النمط، كما تتجلى هذه المرونة بأوضح صورها فى تبيينه واختياره لآراء ابن تيمية الذى أبدى مرونة فقهية منقطعة النظير فى مجال العقود بالذات.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣، ٤، ٥، ١٠.

(٤٠) المصدر نفسه، مختصر سيرة الرسول والفتاوى ص ٩٤.

وكل هذه الحقائق تثبت أن (الحنبلية الفقهية) عنوان المرونة ومظهر مشرف على اتساع الأفق الفقهي وتطوره.

هذه جملة من أبرز خصائص التفكير لمدرسة شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الفقهية، وهي تبدو منسجمة متوافقة، ففيها المذهبية المعتدلة وفيها الإنصاف والتقدير الكامل لتراث السلف في غير ما إفراط أو تفريط. وهي المدرسة التي أعجب بها شيخ الإسلام محمد بن عيّد الوهاب وانصهر في بوتقتها، وكان لها أكبر الأثر على أعماله الفكرية، وهو ما نحاول تبينه في الدراسة التالية.

مؤلفاته الفقهية:

« مختصر الإنصاف والشرح الكبير »: يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف بين مؤلفاته الفقهية، وهو يستدعى وقفة خاصة ودراسة موضوعية لاستخراج بعض الحقائق التي تهمنا في موضوع هذا البحث.

إن النسخة المطبوعة التي قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بضمها إلى مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جاءت خلوا من مقدمة الكتاب أو خطبة الكتاب، وهي التي عادة ما يوضح فيها المؤلف الباعث على تأليفه، والمنهج الذي يسير عليه والتعريف بالمصطلحات المدونة في ثناياه.

اعتمد المحققون في طبع هذه النسخة على نسختين، نسخة مطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر، وأخرى مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٤٦٥.

وبخلو هذا الكتاب عن جزء هام فيه يترك المجال مفتوحا للباحثين لتلمس أهداف وتبين منهج المؤلف استنتاجا أو استقراء، وقد أثبت المحققون لهذا الكتاب العبارة التي وجدوها مدونة على غلاف النسخة المخطوطة بالمكتبة السعودية وهي كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا منقول من الشرح الكبير والإنصاف أول كل باب من الشرح وآخر كل باب من الإنصاف...»^(٤١).

ويذكر المحققون في مقدمة الكتاب أن مؤلفات الشيخ رحمه الله على قسمين: منها ما ألفه ابتداء، ومنها ما اختصره من أصوله المطولة لتيسير الانتفاع به، وقد توجهت الرغبة منه - رحمه الله - إلى اختصار كتابين من أشهر وأوسع ما صنفت في الفقه الحنبلي لما رأى

(٤١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثاني (الفقه) ج ١، ص ٥

في زمنه من الحاجة لذلك هما الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومؤلفه الفقيه علاء الدين علي بن سليمان المرادوي الحنبلي (٨١٧ - ٨٨٥ هـ). والثاني: الشرح الكبير، ومؤلفه شمس الدين، أبو الفرج، عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة، المقدسي (٥٩٧ - ٦٨٢ هـ). وتم ما أراده رحمه الله بمختصر لطيف بدأ كل باب منه بما اختاره من الشرح وختمه بما استدركه من الإنصاف^(٤٢).

إن هذين الكتابين يمثل كل واحد منهما مرحلة معينة في تطور المذهب الحنبلي حتى وصل إلى ما وصل إليه عند المتأخرين.

أما كتاب الشرح الكبير فهو شرح لكتاب المقنع، من تأليف موفق الدين أبي عبدالله محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ). وقد ذكر المؤلف في مقدمته بأنه اعتمد في جمعه على كتاب المغنى من تأليف موفق الدين ابن قدامة السابق، وزاد فيه من غيره ما لم يجده فيه من الفروع والروايات، ولم يترك من كتاب المغنى إلا شيئاً يسيراً.

والمعروف أن كتاب المغنى كتاب حجة واستدلال، وهو موسوعة في أقوال أئمة السلف وعلماء الأمصار، أصحاب المذاهب المختلفة ومسائل الإجماع، نحا فيه مؤلفه منحى المجتهدين في اتباع الدليل، فمن جاء كتاب الشرح صورة كاملة لكافة ملامح ومميزات كتاب المغنى، وسلك في معالجة المسائل والبحوث الفقهية مسلك عمه موفق في كتاب المغنى، فهو يذكر المسألة من المقنع فيجعلها كالترجمة، ثم يذكر مذهب الموافق فيها والمخالف لها ويذكر ما لكل من دليله ثم يستدل ويعلل للمختار، ويزيف دليل المخالف، فمسلكه مسلك الاجتهاد إلا أنه اجتهاد مقيد في مذهب أحمد^(٤٣).

وهو معدود في طبقة المتوسطين من الحنابلة.

أما كتاب الإنصاف لأبي سليمان المرادوي فهو أيضاً شرح لكتاب المقنع، ضم بين دفتيه كل ما قيل في المذهب الحنبلي من أقوال ووجوه وروايات، ثم بين فيه الصحيح من المذهب والراجح من الأقوال دون التعرض للدليل، وقد بين في مقدمة الكتاب المصادر الفقهية التي اعتمدها والمنهج الذي سلكه في الترجيح بشكل مفصل مفيد. ومما جاء في هذا قوله:

(٤٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤

(٤٣) عبدالقادر بن بدران، المدخل الى مذهب الامام أحمد (مصر ادارة الطباعة النيرية) ص ٢٢٢

«إن طريقتي في هذا الكتاب النقل عن الإمام أحمد والأصحاب، أعزوا الى كل كتاب ما نقلت منه وأضيف الى كل عالم ما أروى عنه، فإن كان المذهب ظاهراً أو مشهوراً، أو قد اختاره جمهور الأصحاب وجعلوه منصوراً، فهذا لا إشكال فيه، وإن كان بعض الأصحاب يدعى خلفه...»^(٤٤).

ويتحدث بن بدران عن خصائص هذا الكتاب بقوله: «وطريقته فيه أنه يذكر في المسألة أقوال الأصحاب، ثم يجعل المختار ما قاله الأكثر منهم، سلك في ذلك مسلك قاضي عجلون في تصحيحه لمنهاج النووي وغيره من كتب التصحيح، فسار كتابه مغنياً للمقلد عن سائر كتب المذهب...»^(٤٥) وهو معدود في طبقة المتأخرين.

ومن طبيعة الكتابين يتضح أن الأول يهتم بالاختلاف وتعدد الروايات في دائرة الفقه الإسلامي عامة، وينتهي بالاختيار والترجيح، وهو مسلك اجتهادي واسع، يفتح للقارى مجالات وأفاقاً متعددة من التفكير وكسر القيود الفكرية المذهبية، وهو المرتبة الأعلى في التفكير الإسلامي ومطمح كل فقيه لم ينلها مع الاعتراف على مدى الأجيال والعصور الإسلامية إلا عدد محدود. بينما يهتم الكتاب الثانى (الإنصاف) بعرض الروايات والأقوال المتعددة في نطاق المذهب الحنبلى حتى آخر مراحل تطوره، والترجيح بينها، وهذا لا يتيح للباحث تلك الآفاق وإنما يفتح له مجالات التفكير في حدود محصورة تأخذ بيده في النهاية الى درجة الاجتهاد المذهبي.

فكلا الكتابين يؤهلان الباحث الطموح في النهاية الى الخروج عن ربة التقليد المحض إلى آفاق الاجتهاد المحدود واللا محدود.

ومن هنا نستطيع أن نستخلص هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تأليفه لهذا الكتاب، ذلك هو فتح مجال للتفكير الفقهي المنطلق بين تلاميذه حتى تتسع صدورهم لمذاهب غيرهم فيجنبهم هذه العصبية المذهبية، وهى وسيلة مجدية مشمرة في التخفيف من غلواتها في عصور سيطرت فيها على تفكير العالم الإسلامى فأثرت على علاقاتهم العلمية والاجتماعية والسياسية فكان لها أسوأ الآثار.

منهجه وأسلوبه:

عنوان كتابه هذا بـ (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)، والاختصار تقريب الشئ

(٤٤) أبوسليمان علاء الدين الرادوى، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف الطبعة الأولى ١٩٧٤ ج١، ص ١٦.

(٤٥) ابن بدران، ص ٢٢٢.

ويكون بتقليل المسائل وحذف بعضها أو بتقليل الألفاظ مع تأدية المعنى كاملاً كما يكون أحياناً بكلتا الطريقتين معاً بتقليل المسائل والألفاظ مع استكمال المعنى. يقول موفق الدين ابن قدامة :

«وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلمه وحفظه فإن الكلام يختصر ليحفظ» (٤٦).

وتصرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشرح الكبير بتقليل العبارات وحذف التعليقات، والأدلة أحياناً، والاستغناء ببعض منها أحياناً كثيرة، وحذف بعض الأقوال، أما المسائل والموضوعات الفقهية التي وردت بعنوان مستقل في الشرح الكبير فإنه لم يتصرف فيها بالحذف، بل أوردتها مدمجة مع بعضها البعض دون تمييز بينها في التبويب، الأمر الذي خالف به صنيع مؤلف كتاب الشرح الكبير (الأصل).

والأسلوب الذي اتبعه في اختصاره أسلوب محكم متماسك لا يشعر القارئ فيه بفجوة أو بتر للأفكار والمعاني.

وبنظرة فاحصة على المسائل التي تذكر في نهاية الأبواب الفقهية المعنونة بخط بارز في هذه العبارة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» فليست في الحقيقة اختصاراً من هذا الكتاب (الإنصاف) بالمعنى الدقيق المعروف والذي سبق بيانه، فالباحث يدرك من تتبعه لها ومقابلتها مع ما في الإنصاف أنها مسائل مختارة من مواضيع مختلفة من كل باب جرى عرضه، يربط بينها أمران موضوع الباب واختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية، بالإضافة إلى أنه لم ينقل من الإنصاف شيئاً في أربعة وعشرين باباً فقهياً، تتبين من الرجوع إلى الكتاب نفسه.

وان هذه الأمور مجتمعة ترجح أن يكون مقصود المؤلف بهذه العنونة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» هو مجرد الإشارة إلى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإذا جاء عنوان الكتاب بـ «مختصر الإنصاف والشرح الكبير» فهو من قبيل التغليب. وإلا فما جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة جميع لاختيارات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في موضوعات فقهية خاصة من كتاب الإنصاف تشير إلى الجانب الاجتهادي في شخصيته العلمية.

(٤٦) المغنى، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية ج ١، ص ٤ تصوير

وهذا يدل على منتهى الإقناع والإخلاص والتقدير من الشيخ محمد بن عبد الوهاب لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية، يسلك نفس هذا المنهج ويتخذ مثل هذا الموقف بالنسبة لآراء ابن تيمية في كتابه (كتاب الطهارة)، إذ كثيرا ما ينوه عن اختياراته دون تجاوز. وإذا كان قد نقم عليه خصومه ووجدوا لهم طريقا في الطعن عليه بادعائه الاجتهاد ونبذ المذاهب متمثلا هذا في تأليفه المختصر والإنصاف وغيره من المؤلفات الفقهية، فلأنها تحمل آراء شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته وللاعتبار الخاص الذى ميزه به دون باقى الفقهاء مما أثار حفاظهم عليه.

وكان رد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما جاء فى رواية المؤرخ بن بشر تأليفه (كتاب آداب المشى إلى الصلاة).

كتاب آداب المشى إلى الصلاة:

جاء هذا الكتاب خلوا من مقدمة التأليف التى من خلاها نتبين هدف المؤلف ومنهجه فيه، ومن أجل هذا كانت رواية ابن بشر السابقة هى مفتاح هذا الكتاب وفيها الغناء فى إشباع فضول وتطلع الباحث.

ألف الشيخ هذا الكتاب بعد تأليفه كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) جوابا لخصومه، وردا لدعواهم الباطلة فى نبذ المذهب الحنبلى، وكان جوابا عمليا دامغا، فقد استخلصه من كتاب معتمد فى المذهب الحنبلى هو (كشاف القناع عن متن الإقناع) تأليف الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتى، وهو فى الحقيقة اختصار منه لمجموع الأبواب التى حواها هذا الكتاب ابتداء من باب آداب المشى إلى الصلاة إلى باب ما يفسد الصوم.

وفى هذا الكتاب يلتزم فى عرض الأحكام المذهب الحنبلى كما هو فى كتاب كشاف الإقناع، تأكيدا لالتزامه وتحقيقا فى انتسابه له، فإنه فى هذه المرة لم يحاول أن يخص آراء شيخ الإسلام ابن تيمية بالذكر كما عهدنا صنيعه فى كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) و(كتاب الطهارة).

ومنهجه فى هذا الكتاب عرض المسائل المختلفة فى الموضوع الفقهى فى عبارة

مختصرة على أنه وإن كان اختصاراً من الكشاف فإنه لم يخل من ذكر أدلة الأحكام في أسلوب موجز ، لا يجرم الدارس من معرفة الحكم مع الدليل المستنبط منه .
وهذه أحسن الأحوال التي يكون عليها التقليد الفقهي فهو تقليد ولكن تقليد المتبصر المدرك للدليل الذي يعتمد عليه الحكم، وتدرج بالقلد إلى أفق أوسع.
وهذا الأسلوب يشير إلى المنزح الاجتهادي في تفكير الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ أنه الأسلوب الذي لم يحد عنه في التأليف الفقهي، فإننا نجد في مؤلفات، ورسائل فقهية أخرى.

كتاب الطهارة:

عرض فقهي كامل لأحكام وأبواب الطهارة في أسلوب واضح مبسط اعتنى فيه بذكر الخلاف في إطار المذهب الحنبلي حيناً، والإشارة إلى بعض المذاهب اتفاقاً أو اختلافاً أحياناً أخرى، ووجه اهتماماً خاصاً بالتنويه عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، كما لم تفته الإشارة إلى ذكر أدلة المسائل الفقهية كثيراً.

وأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا الكتاب أو الرسالة شكلاً ومضموناً يأتي منسجماً ومتجانساً مع مؤلفاته الأخرى، ولذا فإنه لم يصعب على المحققين تبينه، إذ أن اسمه لم يرد في صلب المخطوطة، فقد جاء في مقدمة التحقيق قولهم:

«فهذا كتاب الطهارة للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استندنا في نسبه إليه إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه تحت رقم ٨٦/٥٢٠، حيث لم يرد في صلب المخطوطة ما يشير إلى ذلك إلا عبارة نعتقد أن فيها شيئاً من التحريف، حيث قال في نهاية المخطوطة، ولهذا سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولعل صحة العبارة: وعن هذا سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم إن أسلوب المخطوطة يتطابق تماماً مع أساليب كتاباته وتصانيفه ورسائله رحمه الله، وخاصة كثرة الإشارة إلى اختيارات شيخ الإسلام» (٤٧).

كتاب شروط الصلاة وأركانها:

هو استكمال للتأليف في موضوع الصلاة، فيكون هذا الكتاب كاللتمة للموضوع

(٤٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثاني (الفقه) ج ٢، ص ٣

السابق وهو في نفسه موضوع تمهيدى سابق على (كتاب آداب المشى إلى الصلاة)، ولهذا فإنه يمكن اعتبار الكتب الثلاثة (كتاب الطهارة، وكتاب شروط الصلاة وأركانها، وكتاب آداب المشى إلى الصلاة) مؤلفا واحدا في موضوع فقهي واحد.

مبحث الاجتهاد والخلاف:

عنوان هذا الكتاب يختلف عن موضوعه، إذ أن محتواه هو حجية قول الصحابي والاختلاف في ذلك، وهذا العنوان أثبتته المصححان كما وجداه على النسخة الأصلية ويتحدثان عن هذا في قولهم:

«وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط الناسخ هذه العبارة: هذه الرسالة تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى وهى مبحث الاجتهاد والخلاف».

ويبدو أن المصححين غير مقتنعين بسلامة هذا العنوان، وما دوناه هو أداء للأمانة العلمية، ولاشك أن مضمون الرسالة يمثل جزء من العنوان، فلعل لهذه الرسالة بقية فيتطابق العنوان والمحتوى.

وموضوع حجية قول الصحابي من الموضوعات الأصولية التى شغلت حيزا كبيرا في هذا العلم، وأنتج القول به وعدمه اختلافا بين الفقهاء لخصه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم، وهو تلخيص مركزتين بأسلوب سهل مبسط، توصل فيه الى نفس النتائج التى توصل اليها ابن القيم، وذلك: (أن الصحابي اذا لم يخالفه في قوله صحابي آخر واشتهر بينهم فإنه يعتبر حجة)، وذكر ستة وأربعين وجها ودليلا على هذه النتيجة، ثم نفذ من ذلك الى بحث حجية قول التابعى، وفي نهايته يعرض رأيه بأسلوب هادى متزن في قوله:

«وقد اختلف السلف: فمنهم من يقول: يجب اتباع التابعى فيما أفتى به كذلك، ومن تأمل كتب الأئمة ومن بعدهم، وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعى».

وينتقل من هذا الموضوع إلى بحث أمور هامة تتعلق بالفتوى والمفتى، ما خلاصته أن على المفتى الجواب عن المسألة بقدر الإمكان فإن لم يأمن غائلة الفتوى وخاف أن يترتب عليها شئ أكبر من الإمساك عنها، أمسك ترجيحاً لدفع أعلى المفسدتين.

كما له العدول عن جواب المستفتى عما سأله عنه الى ما هو أنفع منه^(٤٨).

(٤٨) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثانى (الفقه) ج ٢، ص ٣٦، ٣٧.

ومن أهم النقاط التي تعرض لها خلال هذا العرض مسألة جدية أن يعيها المنتصبون للإفتاء وذلك في قوله :

«ومن فقه المفتى إذا سأله عن شيء فمنعه أن يدلّه على ما هو عوض منه، ورأيت شيخنا يتحرى ذلك في فتاواه، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشتري صاعاً من التمر الجيد بصاعين من الرديّ ثم دله على الطريق المباح»^(٤٩).

وهذه دقائق لا يدركها إلا الراسخون في العلم وفهم المجتمع.

من خلال الدراسات السابقة للتراث الفكري الفقهي لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تجلت لنا خصائصه الفكرية في هذا الجانب متميزة بتقدير التراث الفقهي، تعطيه حقه من التقدير في غير مبالغة أو مغالاة تؤدي إلى الجمود وذويان الشخصية، فهو متذهب وهو حنبلي ولكنه بعيد عن الجمود. فالواجب في نظره اتباع العلماء في إجماعهم، فإذا اختلفوا فالمرجع والمرجع هو الكتاب والسنة مع مرونة فقهية في تطبيق أحكامها، فالأحكام على العفو والإباحة ما لم يرد دليل صريح بالتحريم، ولا اعتراض على المخالف في مسائل الاجتهاد.

إنها صورة مثالية تأخذ من التراث وتستفيد منه وتعتمد عليه في اعتدال لا جمود، واجتهاد يتمشى وروح الشريعة الإسلامية، ومرونة لا يغير ملامحها التشريعية بواقعية تعيش ظروف عصرها.

إن هذه النوعية من الفقه والفقهاء هي ضالة العصر المنشودة، وهي أيضاً المثل الوسط الذي لا يجمد على القديم لدرجة العبادة والتقدس، ولا يتمرد عليه لحد الإنكار والجمود.

إن الأمة الإسلامية لو اهدت إلى إيجاد جيل من الفقهاء يحمل هذه الخصائص والصفات، فإنها ستعيد للفقه الإسلامي إشراقه وحيويته ودوره في حياتنا الحاضرة؛ ولم يعد الإسلام عبر قرونه تقديم نماذج متجددة من هذه الأمثلة لإبقائه حياً متجدداً، مهما تقادم الزمن، والله يقضى بالحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(٤٩) المرجع السابق

مصادر البحث

ابن قدامه، موفق الدين محمد
المغنى، المدينة المنورة: منشورات المكتبة السلفية، تصوير.

ابن تيمية، عبدالحليم
مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الرياض. رفع الملام عن الأئمة
الاعلام، الطبعة الأولى.

ابن حمدان، أحمد
صفة المفتى والمستفتى
الطبعة الأولى، بيروت، منشورات.
المكتب الاسلامى، الطبعة الأولى.

ابن عبد الوهاب، محمد، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن
سعود.

ابن بدران، عبدالقادر
المدخل إلى مذهب الإمام أحمد
مصر: ادارة المطبعة المنيرية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله
عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الثانية الرياض: وزارة المعارف السعودية.
السوابق: الطبعة الثانية.
الرياض: وزارة المعارف السعودية.

أبوطامى، أحمد بن حجر بن محمد
الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه.
مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ.

المسودة تحقيق محيى الدين عبد الحميد
مصر: مطبعة المدنى.

البسام، عبدالله
علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى.
بيروت: منشورات المكتب الاسلامى، ١٣٨٠.

الحجوى، محمد بن الحسن الثعالبي
الفكر الاسلامى فى تاريخ الفقه الاسلامى
تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى
المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الرويشد، عبدالله بن سعد
الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ
مصر: مكتبة عيسى البابى الحلبي.

السنهورى، عبدالرزاق
مصادر الحق فى الفقه الاسلامى، الطبعة الثالثة جامعة الدول العربية: معهد البحوث
والدراسات العربية ١٩٦٧م.

العطار، أحمد عبدالغفور
محمد بن عبد الوهاب الطبعة الرابعة

بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

العثيمين، عبدالله صالح
الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره
الرياض: دار العلوم

الفراء، أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد
العدة في أصول الفقه. مصورة خاصة

الفتوحى، أحمد بن عبدالعزيز
الكوكب المنير
مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

المرادوى، أبوسليمان علاء الدين
الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف
الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

مطبعة دار الفقه الإسلامي - بيروت - لبنان
